شوقي أبو خليل

موضوعية فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب المطول

دار الفكر

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م
(١٥٠٠ نسخة)

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - برقياً : فكر - تلكس Tx FKR 411745 Sy

الصف التصويري : على أجهزة C. T. T. السويسرية
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

المقدِّمَة

☆ « كانت صيحة لويس التّاسع بعد هزيمته في الحروب الصليبيَّة : لنبدأ حربَ الكلمة ، فهي وحدها القادرة على تمكننا من هزيمة المسلمين » .

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسَّلام على محمد رسول الله ، وبعد .

١ ـ قرأت في شهر آذار ١٩٨٤ ، مقالة في مجلة الثقافة الأسبوعية الدمشقيَّة ، تحت عنوان : « أرواد ، المملكة المنسيَّة » ، فاستغربت بُعْدَها عن الموضوعيَّة في البحث ، وتجنُّبها المنهج العلمي السَّليم ، فإذا ذُكر الفتح العربي الإسلامي ، وصفته بالاستيلاء : « واستولى العرب على سوريَّة بكاملها ، إلاَّ أن أرواد أبت الاستسلام ، ولكن معاوية أخضع الجزيرة بعد محاولتين داميتين ، وحصار طويل ، وهدم أسوارها ، وجاءت الحملات الصليبيَّة ، وأعاد الفرنج فتح الموانئ للتجارة الأُوربيَّة ، فكان هذا سبباً لازدهارٍ دام قرنين » .

وقال كاتب المقالة : « صمدت أرواد زمناً قصيراً لكي تسقط من جديد بيد العرب ، ويهدم هؤلاء من جديد حصونها وأسوارها » .

« لسنا نجد بناءً أكثر عظمة وأصالة من هذه الأسوار التي خلَّفتها فينيقية القديمة ، والتي كانت تحيط بكامل الجزيرة ، وتنتصب حاجزاً دفاعياً تصدُّ الأمواج الهائجة ، والأعداء الطامعين » .

« إنَّ الفـاتحين من المصريين والآشوريين إلى البـابليين والفرس واليـونـان والرومـان إلى الإفرنـج « مستثنيـاً العرب المسلمين » ، كلهم احترمـوا أسـوارهـا الجبَّارة ، ومبانيها العظيمة ، كل هذه الشعوب وقفت بـإجلال أمـام هـذه المعـالم ، لأنها قدَّرتها واعتبرتها آية عمرانية باهرة ، وتحفة حضاريَّة رائعة » .

كتبتُ ردّاً وتعليقاً على هذه المقالـة ، جعلتُ عنوانـه : « لا تكتبوا تـاريخكم بروح الغرباء عنه » ، ومما جاء فيه بعد مقدِّمة :

[المحاولتان الـداميتـان ليستـا ضـد أرواد وحصونهـا ، إنَّهما ضـد تمركز الروم فيها ، واتخاذها قاعدة لعملياتهم العسكريَّة ضد شواطئنا العربيَّة ، ولم يهدم العرب المحرِّرون الحصون والأسوار ، فعشرات المـدن أسوارهـا بـاقيـة حتى يـومنـا هـذا ، ومئات الحصون ما زالت سليمة حتى وقتنا الحاضر ، ولا يمكن عند كتابة التـاريخ اعتماد الروايات الشَّاذة الغريبة دون تمحيص أو تحقيق . فإن هدم معاويـة جـانبـاً من أسوار أرواد ، وهذا ما لم يكن ، بدليل قول كاتب المقالـة : « إن الفـاتحين من المصريين والآشوريين إلى البابليين والفرس واليونان والرومـان إلى الإفرنج ، كلهم احترموا أسوارها الجبارة ، ومبانيها العظيمـة » ، كل هـذه الشعوب وقفت بـإجلال أمام هذه المعالم ، لأنها قـدَّرتهـا واعتبرتهـا آيـة عمرانيَّـة بـاهرة ، وتحفـة حضـاريَّـة رائعة ، فكيف احترم الإفرنج أسوارها الجبَّـارة ، وقـد هـدمهـا العرب المحرِّرون ؟ ألا تدل هذه العبارات على وجودها عند مجيء الإفرنج ؟

فإن هدم معاوية جانباً من أسوار أرواد ، فإنَّـه هـدم جـانبـاً من تحصينـات الروم ليس غير .

ونستغرب بعـدهـا « صمـود أرواد زمنـاً قصيراً لكي تسقـط من جـديـد بيـد العرب ، ويهدم هؤلاء من جـديـد ، حصونهـا وأسوارهـا » ، نستغرب هـذا القول متسائلين : كيف صمدت قبلاً « وأبت الاستسلام ، ولكن معاويـة أخضع الجزيرة

بعد محاولتين داميتين ، وحصار طويل » ، وكيف أنها لم تصمد ولو زمناً أقصر من قصير في وجه الحملات الصليبيَّة ؟

وعبارة « فيهدم هؤلاء من جديد حصونها وأسوارها » ، عبارة على الرغم من بعدها عن الحقيقة ، تحمل معنى البعد عن الانتساب والانتماء « لهؤلاء » !! كيف لا ، ونحن « لسنا نجد بناءً أكثر عظمة من هذه الأسوار التي خلَّفتها فينيقية القديمة ، والتي كانت تحيط بكامل الجزيرة ، وتنتصب حاجزاً دفاعياً تصدُّ الأمواج الهائجة ، والأعداء الطامعين » ، أليس العرب الذين استولوا على أرواد ، وهدموا أسوارها ـ كما قال كاتب المقالة ـ من هؤلاء الأعداء الطامعين ؟.

ومن المؤلم أن توصف حروب الشعوب كلِّها بالفتح ، بما فيها حروب الآشوريين الذين بنوا دولتهم على الجماجم وركام المدن ، وأنين الجرحى ، وآلام الثكالى .. هؤلاء فاتحون ، أما الذين قال عنهم المؤرِّخون الأُوربيون الموضوعيون : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » ، فهم : مستولون ، أعداء ، هَدَّامون ..

وغريب ألاَّ تزدهر أرواد ـ وهي جزء هام في ساحل بلاد الشَّام ـ منذ التحرير العربي ، وحتى الاستعمار الفرنسي إلاَّ قرنين أيام الصليبيين ، إذن .. أين كانت أرواد أيَّام الأُمويين ، وخاصة أيام الوليد وهشام وعمر بن عبد العزيز ؟.

وأين كانت أيام الرشيد والمأمون ؟

وأين كانت أيام ازدهار التجارة العالميَّة المارَّة من سواحل بلاد الشَّام ، والذَّاهبة إلى أُوربة أيام المماليك ؟] .

وختمتُ ردِّي بما يلي :

[نرفض رفضاً قاطعاً كلَّ قول لا يجعل حروبَ العرب المسلمين في العراق

وبلاد الشَّام وشمال أفريقية حروب تحرير ، فهذه البلاد عربيَّة قبل الاسكندر بألفي عام وأكثر ، ومن قبل الرومان ، فالفينيقيون الذين استوطنوا ساحل بلاد الشَّام من حيفا وحتى مصبِّ نهر العاصي ، هاجروا مع إخوانهم الكنعانيين من شبه جزيرة العرب عام خمسمئة وألفين قبل الميلاد ، وقد وجد العالمان الفرنسيان « فيرولو » و « دوسو » في الملاحم الفينيقية التي اكتُشِفَت في أُغاريت « رأس شمرا » أن الفينيقيين أنفسهم يذكرون بالفخر بأن أجدادهم قد هاجروا من منطقة النَّقب التي كانت محطَّة من محطَّات انتقال القبائل العربيَّة من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار والحضر إلى ساحل بلاد الشَّام . فحروب العرب المسلمين في بلاد الشَّام قطعاً حروب تحرير ، وليست استيلاءً يعني القهر والأخذ والتملك ، وليسوا أعداءً لتصمد في وجههم الأسوار في أرواد ، ولْيسوا برابرةً همجاً كي يدمِّروا الأسوار ، في حين احترمها الفاتحون الآخرون ، ووقفوا بإجلال أمامها .

ارحموا تاريخكم ، وشيئاً من الموضوعيَّة والعلميَّة والمنطق السَّليم في تحليلاتكم ومحاكماتكم ، ولا تكتبوا تاريخكم بروح الغرباء عنه] .

وبزيارة إلى إدارة المجلَّة الناشرة ، قدَّمتُ ردّي وملاحظاتي على مقالة « أرواد المملكة المنسيَّة » ومن خلال حديثنا عن المقالة المذكورة ، والفرق الشاسع ، والبون الحضاري بين كلمتي « الفتح » و « الاستيلاء » ، قال صاحب المجلة ومديرها المسؤول : هذا مما قدَّمه فيليب حتّي في كتابه : « تاريخ العرب المطوَّل » ، لقد استخدم فيليب كلمة « استيلاء » بشأن فتوحاتنا العربيَّة ، وركَّز عليها . فقلت في نفسي : وهل هذه الهفوة ، الهفوة الوحيدة في كتاب فيليب حتّي « تاريخ العرب المطوَّل » ؟ وقطع عَلَيَّ صاحب المجلَّة أفكاري قائلاً : واجب عليك دراسة كتاب فيليب حتّي ، وتقديم ما فيه من هفوات ، فقلت مجيباً : أعدك بذلك ، سأُقدّم ما عليه ، وسأُقدّم ما له .

٢ ـ وفي طريقي إلى داري ، رحت أُفكِّر ملياً في الحديث الـذي دار في إدارة المجلّـة ، وإذ في سـاحـة الفكر خواطر عن الهجمـة المركَّزة على تراثنـا وحضـارتنـا وتاريخنا .. حتى على ذاتيتنا ، وتذكرت كتـابـاً طبع عـام ١٩٨٣ م ، فـإذا بمؤلفـه يقدم لنا فيه آراء من أخطر ما سمعت ، منها :

« يزعمون أن مهد السَّاميين الأصلي هو الجزيرة العربيَّـة . وأن كل سـاكن فيها يكون عربيّاً .. » .

« إنَّ الآراميِّين لم يكونوا عرباً ، ولم يسموا عرباً » .

« الآراميُّون عرب بالانتقال بعد الفتح العربي الإسلامي » .

« الكنعـانيُّـون غير سـاميين » ، « ولقـد تـوهَّم كثيراً من جعـل الكنعـانيين ساميين » ، وحجَّة المؤلِّف بذلك الجـدول التوراتي الـذي لم يـذكر الكنعـانيين بين أبناء سام ، ورفض قول بروكلمان في كتابه : « تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّـة » : إن بني إسرائيل هم الـذين أسقطوا الكنعـانيين من الجنس السَّامي لأسبـاب سيـاسيَّـة ودينيَّة .

وجعل المؤلِّف عنواناً لفصل كامـل تحت عنـوان : « الآراميُّـون والعرب » ، وذكر أربع ممالك (آراميَّة مستقلة حسب رأيه) ، وهي : الرُّها والأنبـاط وتـدمر والحَضَر ، دون ذكر أنَّهم عرب أقحاح .

وهنا شُدِدْت أكثر لدراسة كتاب فيليب حتِّي ، الذي اعتمـده هـذا المؤلِّف في مراجعه وركَّز عليه في حواشيه ، ولكنِّي لم أبدأ العمل في هذه الـدراسـة لانشغـالي في حينه في إعداد عمل آخر .

٣ ـ وكان الذي دفعني إلى البـدء جـدِّيـاً في هـذه الـدِّراسـة ، حضوري درس تاريخ في إحدى ثانويَّاتنا بحكم عملي ، فإذا بـالمـدرِّسـة تقـدِّم لنـا درسـاً عنوانـه :

« حروب التحرير والفتح » ، وفوجئت بقولها : واستولى العرب على المدائن ، واستولى العرب على دمشق ، واستولى العرب على حصن بابليون ، واستولى العرب على الاسكندريّة .. فقاطعتها بلطف وأدب ، بمداخلة سألت فيها الطالبات : ما الفرق بين التحرير والفتح ؟ وأتممت الحصّة الدرسيَّة بروح من يتحدَّث عن أمجاده ، وبقلبِ المعتزِّ بتاريخه ، ولم أبتعد في ذلك كله عن روح العلم والموضوعيَّة في البحث .

خرجت من الحصّة ، وبكلمات أدبيَّة في ثناياها تعنيف وعتب ولوم ، وقسوة أحياناً ، قوّمت درسها ، وقلت لها في آخر تقويمي : « لا تقدّمي تاريخنا ، ولا تلقيه على أبنائنا بروح الغرباء عنه » .

☆ ☆ ☆

الأسباب الثلاثة السّابقة ، كانت دوافع تأليف هذا الكتاب :

وفعلاً .. بدأتُ دراسة كتاب فيليب حتّي « تاريخ العرب المطوّل » ، وكنت حريصاً ألاّ أظلمه بكلمة ، وألاّ أفتري عليه بقول ، فتجاوزت عن كثير من الهنات التي قد تؤوّل أو تفسَّر لتؤخذ على محمل حسن ، ونجد له فيها منفذاً يبتعد به عن اتهامه بالطعن أو الدسّ أو التشويه ، لذلك .. لا أدّعي أنّني قدّمت كُلَّ ما يُقَال عن كتاب « تاريخ العرب المطوّل » ، لكنّني قدمت أهَمَّ ما يجب أن يُقَال ، عندما قدَّمت أهم وأبرز وأكثر ما فيه من تشويه أو سوء فهم ، وقدَّمت هفواته وافتراءاته .

وللحقيقة ، سيجد القارئ بعد هذه المقدّمة ، وبعد التعريف بفيليب حتّي وكتابه الذي نحن في صدد دراسته ، صفحاتٍ سجلتُ فيها آراءه التي تحسب له ، على ما فيها ، ليكون عملنا علمياً نزيهاً ، لا يهدف النقد للتجريح والتشهير ، بل النقد للتصويب ، خدمة للعلم والحقيقة .

فلا يمكن لعربي محبٌ لتاريخه المجيد ، معتز بتراثه الخالد ، أن يسكت إذا قرأ ـ مثلاً ـ أن أبرز أحداث تاريخه : أساطير ، وأن يُرْوى تاريخه بعبارات التَّمريض والارتياب ، والتشكيك والتوهين ، مثل : قِيلَ ، رُوِيَ ، إن صَحَّ ، لعلَّ ، ربَّما ، زعموا ، فيما يقال ، فيما رووا ، على قول الروايات ..

وأنَّ المصادر العربيَّة ليست كافية لدراسة حياة النبي ﷺ وللبحث في تاريخ فجر الإسلام .

وأنَّ النبي ﷺ انتسبَ إلى قريش ، وشتَّان بين القول : النبي من قريش ، وبين أنه انتسب إليها !

وأنْ يوصَفَ المجاهدون المسلمون « بقراصنة البحر المرَّاكشيين » .

واعتبر فيليب حتِّي الفتح العربي لإسبانية مشكلة .

وبعد مصرع غَرْناطة قال : أُقصي المسلمون عن البلاد وظهر جليّاً محيّا إسبانية النصرانيّة .

ومن مصادره الأساسيَّة : الأغاني ، ألف ليلة وليلة ، وتاريخ ابن العبري ؟!

وأقحم « العبرانيين » وباسم « الإسرائيليين » إقحاماً في كثير من أحداث تاريخنا العربي ، كقوله : « ربما كانت نواة هذه الجماعة إسرائيليَّة صرفة هجرت فلسطين في القرن الأوَّل للميلاد » .

واعتبر ثورة عرابي ضد التَّدخُّل الأُوربي في مصر « فتنة » ومجرَّد « فتنة » !؟

والأغرب والأعجب ، أنَّه إذا ذكر حروب التحرير والفتوحات العربيَّة الإسلاميَّة ، ذكرها بكلمة : استيلاء أو اكتساح ، أو اغتصاب ، أو تَسَلُّط ، أو استعمار .. مُبْعِداً كلمة « الفتح » لما فيها من معنى حضاري ، أمَّا إذا ذكر

الصليبيين قال : « ولما فتح الفرنجة بيت المقدس » ، وقال : « الفتح النورماندي لصِقلِّيَّة » ، وقال : « فتح الفرنسيُّون مرَّاكش » ، « وتمَّ للصليبيين فتح بيروت وصيدا » ، « الفتح الروماني » .

هذه بعض النقاط الهامَّة ، أوردتها في هذه المقدِّمة ، لنلمس خطورة كتاب « تاريخ العرب ـ مُطَوَّل » ، الذي تُرْجِمَ إلى لغاتٍ عديدة ، على أنَّه تاريخنا العربي المطوَّل ، مغفلاً الكثير الناصع ، ومختصراً ما يجب شرحه ، ومسهباً فيما يجب اختصاره .

لقد تكلَّم عن تاريخ الجزيرة العربيَّة في الجاهليَّة قبل الإسلام في سبعة فصول تقع في مئة واثنتين وخمسين صفحة ، بينما تحدَّث في تسعة فصول عن الإسلام ودعوته حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، مع كل التغيُّرات التي أنتجتها هذه الدعوة ، والمجتمع الجديد الذي بناه الإسلام ، والفتوحات وانتشار الإسلام ، وكذلك اللغة العربيَّة وتأثيرها ، كل ذلك يقع في ثلاثٍ وتسعين صفحة فقط .

وفي الفصل الثامن يتحدَّث عن حياة الرسول الكريم ﷺ ودعوته ، وكل ما يتعلَّق به منذ ولادته حتى وفاته في أربع عشرة صفحة ، وفي الفصل التَّاسع يتحدَّث عن القرآن الكريم وتعاليمه وتأثيره في سبع صفحات ، بينما في الفصل السَّابع يتحدَّث عن الحجاز قبيل الإسلام في ست وثلاثين صفحة ، منها عشر صفحات عن وثنيَّة البدو ، أكثر من ضعف حديثه عن حياة الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام ، وحديثه عن وثنيَّة البدو فقط ، أكثر من حديثه عن القرآن الكريم . فما الذي أوجب ذلك ؟!

وكتب عن القديس يوحنا الدمشقي أكثر مما كتب عن الدولة النُّوريَّة ، وسجَّل مقاييس الجمال القديمة بالتفصيل : « جمال أعضاء المرأة ، صفحة : ٤١٢ » ، ولم يذكر عبد الله بن سبأ مطلقاً في فتنة عثمان رضي الله عنه مثلاً .

وشرح الموشّح الأندلسي بثلاث صفحات ، ولم يذكر كلمة واحدة عن معركة الموحِّدين الشهيرة « الأَرَك » .

إنَّ مِنْ أَوَّل ما يتَّصف به العلماء من أخلاق ، البحث عن الحقيقة ، وإن كتبوا ، كتبوا الحقيقة بتجرُّد ولو خالفت الأهواء .

ومعروف عنهم الرجوع عن الخطأ ، وإلاَّ فالمنهج العلمي بعيد ، والموضوعيَّة مطروحة جانباً ، وهناك هِدف آخر غير الحقيقة ، وغير العلم .

أهو التَّعصُّب ؟

أَم العمالة لجهة مشبوهة ؟

أَمْ هو تشويه تاريخنا وتراثنا عن حقد وصليبيَّة ؟

أَمْ هو الجهل وسوء الفهم ؟

لن نفرض جواباً لهذه التساؤلات ، سينتقي القارئ بنفسه إحداها بعد إتمام قراءة هذا الكتاب .

دمشق في : ٨ /١٤٠٥/٩ هـ
الموافـق : ١٩٨٥/٦/٢٥ م

شَوقي أَبو خَليل

☆ ☆ ☆
☆ ☆
☆

فيليب حتّي

« وتاريخ العرب المطوّل »

☆ « إن الإسلام دين صحراوي ، وإننا لا أمل لنا إلاّ في المتفرنجين الذين يكونون بمثابة أيد عربية بعقول أوربيّة » .

اللورد كرومر

ولد الدكتور فيليب حتّي في شملان (لبنان) سنة ١٨٨٦ م ، ودرس في الجامعة الأمريكية في بيروت ، فنال شهادة بكالوريوس في العلوم منها سنة ١٩٠٨ م ، ثم سافر إلى أمريكا والتحق بجامعة كولومبية ، ونال الدكتوراه منها في اللغات الشرقيّة وآدابها سنة ١٩١٥ م ، وعُيِّن بعد تخرُّجه أستاذاً فيها ..

وعندما انتهت الحرب العظمى الأُولى ، عاد إلى وطنه بطلب من الجامعة الأمريكية ، عُيِّن أستاذاً لتاريخ العرب ، واستمر في هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٦ م ، ثم التحق بجامعة برنستون أستاذاً لتاريخ العرب أوّلاً ، ثم رئيساً لقسم الدراسات الشرقيّة فيها ، وظلَّ في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٤ م حين أُحيل على التقاعد .

ولم ينقطع عن العمل بعد ذلك ، بل عُيِّن أستاذاً زائراً في جامعة هارفرد ، وهو عضو في مجلس أمناء جامعة بيروت الأمريكية في الولايات المتَّحدة ،

ورئيس لجنة التربية في هذا المجلس[1] ، وعُيِّن مستشارا لوزارة الخارجية الأمريكيَّة في شؤون الشرق الأوسط .

له من المؤلفات :

١ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المطبعة البوليسية ـ لبنان ـ ١٩٥٨ م . ترجمة جورج حداد وعبد المنعم رافق ، عدد صفحاته : ٤٥٢ وهو في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة تحت رقم : [ب/٢٠٠٧] .

٢ ـ لبنان في التاريخ (منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر) . بيروت ـ مطبعة دار الثقافة ١٩٥٩ ، عدد صفحاته : ٦٩٧ . ترجمة أنيس فريحة ، وهو في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة تحت رقم : [و/٩٦٤١] .

٣ ـ العرب « تاريخ موجز » . بيروت ـ مطبعة دار العلم للملايين سنة ١٩٤٦ ، صفحاته : ٢٧٢ . وهو في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة تحت رقم : [ص/٩٤٧٧] .

٤ ـ السُّوريُّون في الولايات المتحدة الأمريكية . مصر ، مطبعة المقتطف سنة ١٩٢٢ ، عدد صفحاته : ٤٥ . وهو في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة تحت رقم : [ق/٤٢٢ (٧)][2] .

٥ ـ ما أتحف به متكلِّمو العربيَّة المدنيَّة الغربيَّة . مطبعة الصَّفدي ـ سان باولو سنة ١٩٥١ . وعدد صفحاته : ٢٢ ، وهو في دار الكتب الوطنيَّة الظاهريَّة تحت رقم : [ق/٢٣٧ (٢)] .

---

(١) راجع مقدّمة كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ط ١٩٥٨ ، دار الثقافة بيروت .

(٢) مجلَّداً مع كتاب (الماسونيَّة) لميخائيل يوسف أبو راشد .

٦ ـ تاريخ العرب (مُطَوَّل) في ثلاثة أجزاء [الذي نحن في دراسته خلال صفحات هذا الكتاب] .

صفحات هذا الكتاب وطبعاته :

١ ـ الجزء الأول : ط ١٩٤٩ ـ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، من ص ١ إلى ٢٤٨

٢ ـ الجزء الثاني : ط ١٩٥٣ ـ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، من ص ٢٤٩ إلى ٥٨٦

٣ ـ الجزء الثالث : ط ١٩٥١ ـ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، من ص ٥٨٧ إلى ٩٥٦

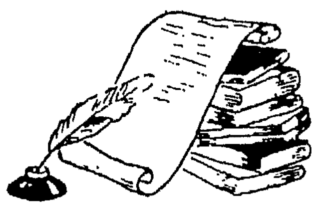
جاء في مقدّمة الجزء الأول : « لقد وُضِعَ كتاب تاريخ العرب في الأصل باللغة الإنكليزيّة ، وطُبِعَ أَوّل مرّة في مطبعة مكملان « Macmillan » في لندن عام ١٩٣٧ ، ثم توالت طبعاته منذ ذلك العهد حتى بلغت أربعاً آخرها سنة ١٩٤٩ ، ونُقِل في خلال هذه السّنوات إلى اللّغات الألمانيّة والإفرنسيّة والأُورديّة والتركيّة » .

« أما هذه الترجمة التي نقدّم الجزء الأوّل منها ، فقد قام بها أَوّل الأمر تلميذي وزميلي الدكتور ادورد جرجي الأستاذ المشارك في كليّة برنستون للاّهوت ، ولقد عُرِض القسم الأوفر من المخطوطة على أنيس الخوري المقدسي ، أستاذ الأدب العربي في جامعة بيروت الأمريكيّة ، فتلطّف وراجعه وهذّب بعض عباراته ، فله شكرنا الجزيل . وأخيراً عهد إلى تلميذي الدكتور جبرائيل جبّور الأستاذ المشارك في الجامعة نفسها أن يحرّر الكتاب ويساهم معنا في نشره ، فراجعه ونقّحه بدوره ، ووقف على طبعه وتعهّده بعنايته الخاصّة .

ولهذه الترجمة العربيّة ميّزة خاصّة وهي أنّه سيظهر فيها لأوّل مرّة قسم

جديد لم يظهر بعد في الطبعة الإنكليزيّة ، أو في أيٍّ من الطبعات الأُخرى ، وهو القسم الذي يبحث تاريخ العرب منذ أوَّل العهد العثماني حتى زمننا الحاضر .

ولعل القارئ يلذ له أن يعرف أن للكتاب موجزاً ظهر عام ١٩٤٣ عن مطبعة جامعة برنستون بعنوان : « The Arabs: A Short History » ، وقد أصدر المجلس الحربي الأمريكي منه طبعة خاصّة للجيش عدد نسخها خمسون ألفاً ، وفي عامنا هذا (١٩٤٩) أخرجت مطبعة برنستون الطبعة الخامسة من الموجز ، وكذلك أصدرت في العام الفائت مطبعة مكملان في لندن طبعة خاصّة منه ، ولقد نُقِل الموجز حتى الآن إلى الإسبانيّة والبرتغاليّة والهولنديّة والعربيّة ، وقد ظهرت الترجمة العربيّة عن دار العلم للملايين في بيروت عام ١٩٤٦ بعنوان : العرب تاريخ موجز » .



حَقَائِقُ تُحْسَبُ لَهُ

☆ « فبعد الرسول تغيّرت طبيعة بلاد العرب الجدباء وأخذت تنشئ رجالاً وأبطالاً ينـدر وجـود من يشـاكلهم في أي صقـع كان . فكأنّ أعجوبة حلّت بها » .

د . فيليب حتّي

من الأفكار السّلبيــة ، والعبــارات الصحيحــة ، التي قــدّمهــا فيليب حتّي بموضوعيّة خلال كتابه تاريخ العرب المطوّل :

- ١ -

[وإن دعـوة المـؤذّن إلى الصـلاة لتجلجـل في معظم ســاعــات اليـوم الأربــع والعشرين مطوّقة الشطر الأكبر من الكرة الأرضيّة ، وتتألّق على هامـة العرب تلـك الهالة الوهّاجة التي تقترن دائماً بأسماء الفاتحين العالميين ، فلقد استطاعت هـذه الأمّـة في مدى قرن واحـد أن تنشئ دولـةً عظيمـةً واسعـة الأرجـاء ، بسطت سلطـانها من شواطئ المحيط الأطلسي إلى تخوم الصّين ، وفاقت على امبراطوريّة رومة في أوجهـا ، وفي أثنـاء هـذه الحقبـة من التّوسع الـذي لم يسبق لـه نظير استطـاع العرب بواسطـة الاختلاط مع الأمم المغلوبـة « أن يكسبـوا إلى دينهم ولغتهم وشكلهم عـدداً من أبنـاء هذه الأمم ما استطاعت أمّة قبلهم أو بعـدهم أن تكسب مثلـه وتهتضمـه ، ولا نستثني من ذلك اليونان ولا الرومان ولا الأنكلو سكسون ولا الروس »[1]] ، صفحة : ٢ .

(١) القول الأخير نقله عن : D.G.Hogarth, The penetration of Arabia (Newyork, 1904) P.7

- ٢ -

[يمثِّل العشيرة رئيس رسمي هو الشيخ . وليس الشيخ زير نساء كما صوَّرته هوليود في أشرطتها الناطقة والصامتة ، بل هو المُسن المُقدَّم على أفراد القبيلة الذي تظهر زعامته بما يبديه من أصالة الرأي والسَّخاء والشَّجاعة . فتقدمه على أهل القبيلة مبنيٌّ على كبر سِنِّه وأخلاقه الشخصيَّة . وليس الشيخ صاحب الأمر المطلق في الشؤون الشرعيَّة والحربيَّة وسواها ، بل يفرض عليه مشاورة مجلس القبيلة الذي يتألف من زعماء البطون والأفخاذ] ، صفحة : ٣٥ .

- ٣ -

[ولقد استطاع محمد في سحابة عمره ، وهو غير طويل ، أن يهيئ الوسائل لنشوء أُمَّة فتية لم تكن قد نهضت من قبل تتألف من قبائل تأبى الاتحاد في بلاد كانت حتى ذلك الوقت تعبيراً جغرافياً قليلة الشأن ، وأن يؤسِّس ديناً دحر النصرانيَّة واليهوديَّة في الشرق الأدنى ، وحلَّ محلَّهما ، وهو لا يزال دين جزء كبير من الجنس البشري ، واستطاع فوق ذلك أن يضع حجر الأساس لامبراطورية ما لبثت أن حوت بين أطرافها المترامية أجمل مقاطعات العالم المتمدِّن في ذلك العصر ، وكان محمد أُمِّياً ، ومع ذلك فقد أُنزل على يديه كتاب لا يزال ثُمْنُ سكان العالم يحسبونه آية العلم والحكمة والدين[١]] ، صفحة : ١٦٨

- ٤ -

[وقد أدرك الإسلام نجاحاً لم يتَّفق لدين آخر من أديان العالم في القضاء على فوارق الجنس واللون والقوميَّة ، وخاصة بين أبنائه ، فهو لا يعترف بفاصل بين أفراد البشر ، إلا الذي يقوم بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، ولا شك أن الاجتماع في مواسم الحج أدَّى خدمة كبرى في هذا السَّبيل] ، صفحة : ١٨٦

---

(١) المسلمون اليوم حوالي مليار مسلم ، يشكّلون ثلث سكان العالم .

ـ ٥ ـ

[فبعد الرسول تغيرت طبيعة بلاد العرب الجدباء ، وأخذت تنشئ رجالاً أبطالاً يندر وجود من يشاكلهم في أي صقع كان ، فكأن أعجوبة حلَّت بها ، فالحملات العسكرية التي قام بها خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبي وقَّاص ، فاتحين بها العراق وفارس وسورية ومصر ، هي من أعظم الحملات التي يرويها تاريخ الحروب المدوَّن ، وقد كشفت عن نبوغ قوَّادها وتفوقهم في أساليب القتال ، وخلَّدت أسماءهم مع أسماء نابليون وهانيبال ويوليوس قيصر والاسكندر] ، صفحة : ١٩٣ .

ـ ٦ ـ

[وأوثق ما في الإسلام من أسباب المنعة هو هذا الإيمان الرَّاسخ بوحدانيَّة الله ، وذلك الاعتقاد البسيط الخالص بسمو الملك الفعَّال ، ومن هنا ما يتولَّد في المؤمن من شعور القناعة والاستسلام الذي لا نعرف له مثيلاً عند أبناء الأديان الأُخرى ، وبعد .. فلا عجب إذا كانت حوادث الانتحار نادرة في البلاد العربيَّة] ، صفحة : ١٧٧

ـ ٧ ـ

[ودين محمَّد دين عملي صريح ، وقلَّما يشير القرآن إلى هدف عال يصعب نواله ، ويكاد أن يكون خلواً من العقد اللاَّهوتيَّة[1] ، وليس فيه أثر للأسرار الرمزيَّة المقدَّسة ، أو مراتب الكهنوت ..] ، صفحة : ١٧٨

ـ ٨ ـ

[والقرآن معجزٌ من حيث أسلوب وأناقة سبكه] ، حاشية الصفحة : ١٧٨

---

(١) بل هو خُلُوٌّ من العقد اللاهوتية

- ٩ -

[إنَّ الجزية التي فرضها الفاتحون العرب على أبناء البلدان المُنْسلخة عن فارس وبيزنطة كانت أقل مما كان يُفْرَضُ عليهم في ظل الحكومات السَّابقة ، ولقد انفتح أمام الأُمم المغلوبة باب الحريَّة ، فصاروا يمارسون عقائد أديانهم دون إزعاج] ، صفحة ١٩٤

- ١٠ -

[تمسَّك بعض كتاب النصرانيّة بفكرة أخرى خاطئة ، وهي أن المسلم العربي إنما اكتسح البلدان رافعاً القرآن في يد والسيف في الأُخرى ، ولا صحة لهذا الزعم ، فإن العرب في حروبهم خارج الجزيرة كانوا يعرضون على أهل الكتاب من يهود ونصارى أمراً ثالثاً غير القرآن والسَّيف هو أقرب إلى مطامع المحاربين ، وأصلح لهم من كلا الأمرين الأوَّلَيْن][1] ، صفحة : ١٩٥

- ١١ -

[وبالإسلام استطاع الشرق الأدنى أن يسترجع ماضيه المجيد لا في ميدان السِّياسة فحسب ، بل في ميدان الثقافة أيضاً ، حيث تسنى له أن يعيد سيادته الفكريَّة] ، صفحة : ١٩٨

- ١٢ -

[أما القصَّة التي تقول إن عَمْراً أحرق مكتبة الاسكندرية بإشارة من الخليفة وأحمى بها حمامات المدينة مدة ستة أشهر ، فينكرها البحث العلمي ، فلقد أحرق مكتبة البطالسة العظمى يوليوس قيصر حين غزا البلاد المصريّة سنة ٤٨ ق.م ،

---

(١) الجزية : هي الأمر الثالث ، وهي ضريبة بسيطة مقابل حماية الذميين ، وانتفاعهم بالمرافق العامة ، واعفائهم من الخدمة الالزامية .

أما « المكتبة الصُّغرى » التي نشأت من بعد ، فلقد أُتلفت بأمر الامبراطور ثيودوسيوس حوالي سنة ٣٨٩ م ، واندثرت مكاتب الاسكندرية من بعد ذلك ، فلم يَكُ في الاسكندرية مكتبة عظمى يوم الفتح ، زد على هذا أن أحداً من الكتاب المعاصرين لهذه الحوادث لم يَتَّهم الخليفة أو عُمَّاله بإحراق مكتبة ما بالاسكندريَّة ، ولا نعرف أحداً روى هذه القصَّة قبل عبد اللطيف البغدادي المتوفّى سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، ولسنا نفهم الباعث إلى اختلاق هذا النبأ الذي اعتد به المؤلفون المتأخِّرون وزادوا عليه] ، صفحة : ٢٢٢

- ١٣ -

[واعتزت قرطبة بما حوته من مظاهر الثقافة ، فقد كان فيها مئة وثلاث عشرة داراً (للعلم) ، وواحد وعشرين ربضاً ، وسبعون خزانة كتب ، وحوانيت شتى تباع فيها الكتب ، ومساجد وقصور أكسبتها شهرة في الخافقين ، فأخذت من الروَّاد وأهل الأسفار بمجامع القلوب ، وزهت بشوارع تمتد بضعة أميال مضاءة بقناديل تطل عليها من المنازل المحاذية ، بينما لم يتحقَّق للندن أن يكون فيها قنديل واحد عمومي حتى ما بعد ذلك بسبع مئة سنة ، وأما في باريس بعد بضعة قرون ، فقد كان الذي يتخطّى عتبة داره في يوم ماطر ، لا يأمن الخوض في لجة من الوحل ، وبينما كانت جامعة أكسفورد تحسب الاستحمام عادة وثنيَّة كان علماء قرطبة قد مرَّ عليهم زمن طويل وهم ينعمون بحمامات شَيِّقة] ، صفحة : ٦٢٦

- ١٤ -

[وكان كُلَّما احتاج أُمراء ليون أو نافار أو برشلونة جَرَّاحاً أو مهندساً أو مغنياً أو خِيَاطَة ، وجَّهوا طلبهم لقرطبة ، فسار صيت العاصمة الإسلاميَّة حتى أقاصي ألمانية ، حيث وصفت راهبة سكسونية قرطبة بأنَّها جوهرة العالم] ، صفحة : ٦٢٧

- ١٥ -

بعد ماذكر قول العالم الهولندي دوزي عن الأندلس : « إن كل فرد تقريباً كان يحسن القراءة والكتابة » قال : [هذا ، بينما كانت أوربة النصرانيَّة لاتعرف من العلوم إلاَّ مبادئ بسيطة مقصورة بالأكثر على رجال الدين] ، صفحة : ٦٣٣.

التَّمْرِيضُ والارتِيَابُ

☆ مشكلتنا أن لا نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، وعندما نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، فهذا حقُّنا ، وهذه هي الكتابة السَّليمة ، وهذا رجوع إلى أصالتنا ، وتمسُّك بذاتيتنا .

سؤال وجدته يفرض نفسه عليَّ قبل الشروع في أهم عبارات التَّمريض والارتياب ، والتَّشكيك والتَّوهين ، التي أوردها حتِّي في كتابه ، ألا وهو :

هل تكفي مصادرنا العربيَّة الإسلاميَّة لكتابة تاريخنا اليوم ؟

وهل تفي هذه المصادر بالحاجة ؟

أمْ نبتعد عن البحث العلمي ، وعن الموضوعيَّة ، إذا اعتمدناها وحدها ؟

وأُجيب : مصادرنا العربيَّة الإسلاميَّة كافية ، وتفي حاجتنا ، ونكون في منتهى الموضوعيَّة والبحث العلمي .

ولئن سئلت لماذا ، أُجيب :

١ ـ دراسة تاريخ أُمتنا بشكلها السَّليم والموضوعي ، يجب أن تكون من مصادرنا ، ومؤرخينا الثقات .

٢ ـ دعوات دراسة التاريخ الإسلامي دراسة تعتمد المصادرَ الأجنبيَّة ، أي ما كتبه المستشرقون في وقت متأخِّر ، دعوة ساذجة سطحيَّة ، أمام من تهيَّأ لهم دراسة التاريخ الإسلامي دراسة سليمة تستلهم وقائعه وحقائقه وخصائصه

ومقوِّماته من معينه الصافي[1] . علماً أن هذه الدعوات جهود مبشِّرين مستشرقين ، زرعوا الألغام ، وبثُّوا السموم ، وروَّجوا الشبهات والشكوك في طريق مَنْ يكتب التاريخ الإسلامي .

٣ ـ علم « مصطلح التاريخ » ، أو : المنهج العلمي في دراسة التاريخ ، علم لبابه وجوهره عربي إسلامي ، أسَّسه العلماء المسلمون عندما وضعوا القواعد للتوصُّل إلى الحديث الشريف الصحيح ، ولو اطَّلع الأُوربيُّون على مصنفات أئمة الحديث الشريف ، لما تأخَّر تأسيس علم « مصطلح التاريخ » ، أو البحث المنهجي في دراسة التاريخ حتى أواخر القرن التاسع عشر ، والمنصفون الأُوربيُّون يعلمون أن ما يفاخرون به اليوم ، عِلْمٌ نشأ وترعرع في بلادنا العربيَّة الإسلاميَّة .

الموضوعيَّة والنزاهة ، والبحث العلمي بما فيه من تمحيص وتدقيق وتثبُّت ودراسةٍ للرَّاوي والرِّواية .. نحن قدمناه إلى الغرب ، ولم يطبِّقه أبناؤه عندما كتبوا تاريخنا ، ولا عندما كتبوا تاريخهم أيضاً ، لأنَّهم وظَّفوا الأحداث من وجهة نظرهم القوميَّة والدينيَّة ، ليجعلوه معين اعتزاز وتحقيق ذاتية ، وكأن الدعوة القائلة بضرورة المراجع الأجنبيَّة ووجهات نظر الأُمم الأخرى ، دعوة للتصدير إلى دول العالم الثالث ، وخاصَّة العالم الإسلامي ، ودليل ذلك ، الغرب إلى يومنا هذا يكتب الحروب الصليبيَّة من وجهة النظر الأُولى ، حملات صليبيَّة مقدَّسة[2] ، كانت وما زالت ، ونحن نقول : فتح الأندلس ، وهم يقولون : الغزو العربي للأندلس ...

وعلى ما سبق ، يجب أن نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، وهذا يعني منتهى

---

(١) انظر : نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، د. عبد الرحمن علي الحجي ، دار القلم ، الطبعة الثانية : ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص : ١١ وما بعدها ، وهذا لا يمنع مناقشة ورفض بعض الروايات الغريبة إن وُجِدت .

(٢) ويريد أصحاب دعوات المراجع الأجنبيَّة كتابتها : « حروب الفرنجة » !!

الموضوعيَّة والإنصاف ـ علماً أن البحث عن الحقيقة رائد هذه النظرة ، لأنَّها تقول مالها ، وتذكر ماعليها ـ لأن ماقدّمه مؤرخونا الثقاة في مؤلفاتهم التاريخيَّة كتبوه بعد تمحيص واختيار الرواية الصحيحة ، مع مقابلة ودراسة دقيقة للرّواية والرَّاوي ، وما كتبه المستشرقون وجهة نظر لهم ، ساقهم إليها إما سوء فهمهم ، أو تعصُّبهم وحقدهم .

ومن المهم جداً ، أن نكتب تاريخنا ونقدّمه بخصائصه وحقائقه على ضوءٍ من طبيعتِهِ والمبادئ التي صاغته وأنتجته ، وإلاَّ فلا يصبح تاريخاً لأُمتنا العربيَّة الإسلاميَّة .

ومشكلتنا أن لا نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، ولا يوجد مؤرخ يكتب تاريخ بلاده ـ بموضوعيَّة ـ من وجهة نظر الأمم الأُخرى ، وعندما نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، فهذا حقُّنا ، وهذه هي الكتابة السليمة ، وهذا رجوع إلى أصالتنا ، وتمسُّك بذاتيتنا .

من هذا المنطلق ، سنعرض عبارات التمريض والارتياب التي أوردها حتّي في كتابه ، وكيف أنَّه لا يرى سوى القليل من الأخبار الموثوقة في تاريخ صدر الإسلام كلِّه ، لماذا ؟ يجيبنا حتّي : « مهما يكن من أمر ، فإنَّه ليس لدينا غير المصادر العربيَّة لدرس حياة النبيّ وللبحث في تاريخ فجر الإسلام »[(١)] ، وكأنَّ هذه المصادر العربيَّة ، كما يقولون : « شُوَيَّة »[(٢)] ، فهي لا تكفي ، وهو بذلك لا يرى أخبار تاريخنا الموثوقة ، إلاَّ في المصادر الحبشيَّة ، أو الفارسيَّة ، أو البيزنطيَّة ، أو الغربيَّة !!

(١) تاريخ العرب « مطوّل » ، ص : ١٥٦

(٢) الشُّوايَةُ : الشيءُ الصغير من الكبير ، (اللسان : شوا) .

الموضوعية تفرض علينا أن الخبر الوارد في مصادرنا الموثوقة ، خبر موثوق ، لا داعي لتمريضه وتوهينه والارتياب بصحته ، لأمر ما ، حَسُنَت النيَّة في تمريضه أَمْ ساءت .

☆ ☆ ☆

١ ـ يقول حتّي [ص : ٥٤] : « وإن صحَّ أن ملكة سبأ (وفي القرآن بلقيس)[1] هي شخصية تاريخية ، وأنها قدمت إلى مَلِكِ إسرائيل الحكيم بعطايا طريفة مما امتازت به أرض الجنوب » .

ونحن نقول : إن وردت في القرآن الكريم فهي حقيقة ، وقولنا هذا مبني على ضوء المعارف الحديثة ، مع الإيمان والتسليم .

يقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه : « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة » : « لقد قمت أوَّلاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق ، وبموضوعية تامة ، باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعيَّة ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنصّ العربي ، استطعت أن أُحقِّق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أيَّةِ مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث » صفحة : ١٣

ويقول في الصفحة ٢٤٦ : « صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النصّ مكانةً خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نصّ القرآن في هذه الصحة لا

---

(١) هذه العبارة من ضمن قول فيليب حتّي .

العهد القديم ، ولا العهد الجديد » ، وطالب الدكتور بوكاي : « بحتميَّة دراسة الأمور العلميَّة والتاريخية الواردة في الكتب المقدَّسة على ضوء القرآن الكريم فقط دون سواه ، فهو وحده لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث » .

هذا اليقين بصحة القرآن الكريم ودقته ـ اليقين الذي لا يقترب منه شك ، ولا يخالطه ارتياب ـ يجعلنا تجاه حقائق علمية وتاريخية ثابتة ... وعلى ذلك فكل ما جاء في القرآن يجعلنا في طمأنينة شاملة من حيث سلامة النص ودقة علومه .

☆ ☆ ☆

٢ ـ وقال حتِّي في الصفحة ٨٥ : أُسطورة انفجار سد مأرب ، « وليست أُسطورة انفجار السد ـ والواقع أن الأخبار حاكتها أُسطورة منَّقة ـ إلاَّ حكاية يمكن القول إنَّها ترمي إلى الإتيان بخلاصة وجيزة فذَّة لما رجعت أَسبابه إلى عوامل اقتصاديَّة وعمرانيَّة واجتماعيَّة .. » .

والحقيقة التاريخية تقول :

بُنِيَ سَدُّ(١) مأرب في الدور الثاني للدولة السَّبئيَّة ، الذي بدأ : ٦٣٠ ق . م ، وانتهى : ١١٥ ق . م ، وهو الدور الذي تغلَّب فيه السبئيُّون على مَعِين وورثوها ، ولقِّبوا بألقاب (ملوك) ، وأصبحت عاصمتهم مدينة مأرب ، التي تقع على بعد مئة كيلو متر إلى الشرق من صنعاء .

وقد بدئ ببناء سدِّ مأرب في أواخر الدور الأَوَّل ، وبقي قائماً حتى أيام الدولة الحميريَّة التي قامت على أنقاض دولة سبأ منذ : ١١٥ ق . م ، وقد ظهر من الكتابات المنقوشة على السدِّ ، أن أوائل بناته « سمعلي ينوف » ، ثم ابنه

---

(١) السَّدُّ والسُّدُّ : ما كان مسدوداً خلقةً فهو سُدٌّ ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ ، (اللسان : سدد) .

« يتعمر بيين » ، ثم « كرب أل بيين » ، ولم تزل الإضافات تترى عليه في عهد الملوك حتى اكتمل حوالي عام ٣٠٠ م في عهد الحميريين .

وشاهد الهَمْداني أنقاضه في القرن الرابع الهجري ، ووصفه في كتابه « الإكليل » وصفاً ينطبق على ما استنتجه المكتشفون الحديثون من أنقاضه .

بُني سدٌّ مأرب في مضيق بين جبلين يسمَّى كل منهما باسم « بلق » ، وفي واد يسمَّى « وادي أذنه » ، الذي كانت تندفع فيه السُّيول نحو الشمال الشرقي ، ومكانه يبعد مسيرة ثلاث ساعات عن مأرب ، وقد زار أنقاضه كل من « أرنو وهاليفي وغلازر » ووصفوه بما يتَّفق مع رواية الهمداني .

ويظهر أنَّه بدأ يتصدَّع فيما بعد ويُرَمَّم ، وآخر ما كان من ذلك عام : ٥٣٩ م في عهد الاحتلال الحبشي ، ثم قلت العناية به في أواخر هذا العهد فتهدَّم وتفرَّقت قبائل يمنيَّة في الجزيرة العربيَّة على إثر ذلك ، والأوس والخزرج ، عرب يثرب - المدينة المنوَّرة - من مهاجري اليمن بعد انهيار السدّ ، والغساسنة وصلوا الشام بعد انهيار السد أيضاً ، فأين الأسطورة ؟!

السَّدُّ حقيقة ، تثبت بقاياه اليومَ ذلك وتثبت بقاياه وأطلاله أنه تهدَّم في وقت من الأوقات قبل البعثة ، بسبب عدم ترميمه ، وبسبب فيضانات عنيفة جارفة صَدَّعته ..

فأين الأسطورة وقد انفجر السد فعلاً ؟!

☆ ☆ ☆

٣ - ويقول حتّي في الصفحة : ١٠٦ في معرض حديثه عن جَبَلَة بن الأيهم :

« وبينما هو يطوف البيت الحرام ، إذ وطئ إزاره كما يحكى أعرابي من بني فزارة فحلَّه ، فلطمه جَبلَة وهشَّم أنفه ، فرفع الأعرابي أمره إلى الخليفة ، فبعث

إليه عمر أن يرضي الأعرابي ، وإلاَّ أقاده[1] منه ، فلما دنا جنح الليل ، خرج هو وأصحابه فلم يثنِ حتى دخل القسطنطينية » .

وعبارة التمريض هنا : كما يُحكى ، والحقيقة تقول في : فتوح البلدان ص ١٤٢ ، وابن خلدون ٢٨١/٢ ، وابن عبد ربه ١٤٠/١ ـ ١٤١ ..

قال أبو عمرو الشيباني ، لما أسلم جَبلة بن الأيهم الغسَّاني وكان من ملوك آل جفنة ، كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج إليه في خمسمئة من أهل بيته من عَكّ وغسّان ، حتى إذا كان على مرحلتين ، كتب إلى عمر يعلمه بقدومه ، فَسُرَّ عمر وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال ، وأمر جَبلة مئتي رجل من أصحابه فلبسوا السِّلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة أذنابها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جَبلة تاجه وفيه قُرطا ماريّة وهي جدته ، ودخل المدينة ، فلم يبقَ بها بِكْرٌ ولا عانس إلا خرجت تنظر إليه وإلى زيّه .

فلما انتهى إلى عمر رحَّب به وألطفه وأدنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحجَّ ، فخرج معه جَبَلة ، فبينا هو يطوف بالبيت ، وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطئ إزاره رجل من بني فزارة ، فانحل ، فرفع جَبَلة يده فهشَّم أنف الفزاري ، فاستعدى عليه عمر ، فبعث إلى جبلة فأتاه ، فقال : ماهذا ؟

قال : نعم ياأمير المؤمنين ، إنه تعمَّد حل إزاري ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف .

فقال له عمر : قد أقررت ، فإما أن ترضي الرجل ، وإما أن أقيده منك .

قال : وماذا تصنع بي ؟

قال : آمره يهشم أنفك كما فعلت .

---

(١) القود : القِصاص ، (اللسان : قود) .

قال : وكيف ذاك ياأمير المؤمنين ، وهو سُوقة[1] وأنا ملك ؟ « أَوَعَيْنُـه مثل عيني ؟ »[2] .

قال : إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله بشيء إلاّ بالتقى والعافية .

قال جبلة : قد ظننت ياأمير المؤمنين أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .

قال عمر : دع عنك هذا ، فإنك إن لم تُرْضِ الرجل أقدته منك .

قال : إذاً أتنصَّر !

قال : إن تنصَّرت ضربت عنقك ، لأنَّك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك .

فلما رأى جَبَلة الصِّدقَ من عمر ، قال : أنا ناظر في هذا ليلتي هذه .

وقد اجتمعت بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خلقٌ كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلما أمسوا ، أُذِنَ له عمر في الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدؤوا ، تحمل جَبَلة بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكَّة وهي منهم بلاقع[3] ..

فلما انتهى إلى الشام تحمل في خمسمئة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية ، فدخل إلى هرقل فتنصَّر هو وقومه ، فَسُرَّ هرقل بذلك جداً ، وظنَّ أنَّه فتح من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأنزل عليه من النُّزل ماشاء ، وجعله من محدثيه وسمَّاره .

وقد ساءت حتّي هذه الصُّورةُ في المساواة المطلقة و « الديمقراطيَّة » في أسمى

---

(١) السُّوقة : الرَّعية التي تسوسها الملوك ، يقال للواحد سُوقة وللجماعة سُوقة ، (اللسان : سوق) .

(٢) فتوح البلدان : ١٤٢

(٣) مكان بَلْقَعٌ : خالٍ ، والبلقع والبلقعة : الأرض القَفْر التي لا شيء بها ، (اللسان : بلقع) .

صورها ، والتي نعمت بها أُمتنا في الوقت الذي كان فيه الغرب في ظلماته ، فمرَّضها وأضعفها بعبارة : « كما يُحْكى » .

☆ ☆ ☆

٤ ـ وبعد أن كرَّر حتّي كلمة « أساطير » في الصفحتين : ١٢٣ ، ١٢٤ ، قال في الصفحة ١٢٥ :

« ويمكن أن يعتبر النثر المسجَّع الذي ابتكره الكهان والعرَّافون خطوة أُولى في سبيل ابتداع الفن الشعري ، وفي القرآن نماذج لهذا الأسلوب » .

كأن لغة القرآن الكريم وأُسلوبه استمراريَّة متطوِّرة لنثر مسجَّع « ابتكره الكهان والعرَّافون » ، ولم يذكر لنا حتّي النماذج المذكورة في القرآن الكريم أو بعضها على الأقل .

ولو كان الأمر كما يدّعي حتّي لاستجاب العرب للتحدّي القائم : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[1] .

وعلماء اللُّغة ذووا الاختصاص ، يجزمون بأن القرآن الكريم خرج عن أساليب العرب ، ولولا خروجه هذا ماأفحم العرب عندما رأوا نوعاً من الكلام غير ماتؤديه طباعهم ، « فمن ثَمَّ لم يقم للعرب قائمة بعد أن أعجزهم القرآن من جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم ، ومن جهة الكلام الذي هو سيد عملهم »[2] .

ولما حاول بعض العرب معارضة القرآن الكريم كمسيلمة الذي أخذ يقلّده ، فجاء بشيءٍ لا يشبهه ، ولا يشبه كلام نفسه ، فأخطأ الفصاحة من كل جهاتها .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة بعد مصرع مسيلمة :

(١) الطور : ٣٤

(٢) إعجاز القرآن للرافعي ، ط ٣ ، ص ٢١٨

أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة ، فقالوا : أَوَتعفينا ياخليفة رسول الله ؟ قال : لابُدَّ من ذلك ، فقالوا : كا يقول : ياضِفْدَع بنتُ ضِفْدَعين ، لحسن ماتنقنقين ، لاالشارب تمنعين ، ولا الماء تكدِّرين ، امكثي في الأرض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يعتدون[1] .

وكان يقول : والمبذِّرات زَرْعاً ، والحاصدات حَصْداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خُبْزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاَّقمات لقماً ، إهالة وسمناً .

وكان يقول : الفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل .

فاسترجع أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : ويحكم ، أيُّ كلام هذا ؟

ومما يذكر : أن عمرو بن العاص وفد إلى مسيلمة ، فقال له مسيلمة : ماذا أُنْزِلَ على صاحبكم في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أُنزل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال : وما هي ؟ قال عمرو : أُنزل عليه : ﴿ وَالعَصْرِ إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ .. ﴾ السُّورة ، ففكَّر مسيلمة ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : ولقد أُنْزِلَ عليَّ مثلها ، فقال له عمرو : وما هي ؟ فقال مسيلمة : ياوبر ياوبر ، إنما أنت إيراد وصدر ، وسائرك حفر نقر . ثم قال : كيف ترى ياعمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنَّك لتعلم أني أعلم أنكَ تكذب .

☆ ☆ ☆

٥ ـ ويقول حتّي في الصفحة ١٥٦ :

١ ـ « ولما بلغ محمَّد الثانية عشرة من عمره فيما يروى ، رافق عمَّه أبا طالب في

(١) الكامل في التاريخ : ٢/٢٤٤ ، البداية والنهاية : ٦/٣٢٦ ، الطبري : ٣/٢٨٤ ، والاكتفاء : ٢/١٦أ .

رحلة إلى الشام ، زعموا أنه قابل في أثنائها راهباً مسيحياً يعرف بالراهب بحيرا » .

٢ ـ « ومع أنَّه ليس بين أنبياء العالم من وُلِدَ في ضوء التاريخ إلاَّ محمَّد ، فإن نشأته محاطة بالغموض ، فليس لدينا عن سعيه في طلب الرزق ، ومحاولاته لبلوغ آماله وإدراك الغرض الذي كان يرمي إليه ، وما قاساه من المشقَّة والألم في سبيل تحقيقه سوى قليل من الأخبار الموثوقة » .

٣ ـ « مهما يكن من أمر فإنَّه ليس لدينا غير المصادر العربيَّة لدرس حياة النبي ، وللبحث في تاريخ فجر الإسلام » .

في الفقرة الأُولى دسيستان ، فعبارة « فيما يروى » تنقضها مراجعنا التالية : [الكامل في التاريخ : ٢٣/١ ، الطبري : ٢٧٨/٢ ، الرَّوض الأُنف : ٢٠٦/١ ، عيون الأثر : ٤٠/١ ، الوفا بأحوال المصطفى : ١٣١/١ ، طبقات ابن سعد : ١١٩/١ ، البداية والنهاية : ٢٨٦/٢] ، وعشرات المصادر العربيَّة تؤكد هذه الرحلة ، وهي كافية كما قدمنا في مطلع هذا الفصل .

والدسيسة الثانية في الفقرة الأولى : « زعموا » ، ونحن لن نقف عندها طويلاً ، فإن قابله محمد ﷺ وهو ابن الثانية عشرة ، أَمْ لم يقابله ، فإن ذلك لم يؤثِّر في حياته ﷺ شيئاً .

وفي الفقرة الثانية دسيستان أيضاً ، الدسيسة الأُولى : نشأته ﷺ محاطة بالغموض ، ونحن نتساءل أين الغموض ، وما درست حياة بدقَّة كما درست حياة محمد بن عبد الله ؟

أين الغموض ؟ في نسبه أَمْ في مولده ؟
في وفاة أبيه ثم أُمّه ، أَمْ في ضم عبد المطلب إليه ؟
في رعيه الغنم بمكة ، أَمْ في حضوره حرب الفجَّار ؟
في حضوره حلف الفضول ، أم في عمله بالتجارة لخديجة ؟

وفي زواجه من خديجة بنت خويلد ، وهي من أوسط قريش نسباً ، وأعظمهم شرفاً ، أمْ في أمانته واستقامته في قومه ؟ في حضوره ﷺ عندما هدمت قريش الكعبة وأعادت بناءَها ، أمْ في خلوته بالله عز وجل في حراء ؟ ...

الغموض في نشأته موجود حقاً ، موجود في فكر ودراسة حتّي ، والمعلومات غزيرة وفيرة في كتب السّيرة ، وفي مصادرنا العربيّة الإسلاميّة ، وفي فكر المطّلع الدارس .

والدسيسة الثانية في الفقرة الثانية عبارة : « سوى قليل من الأخبار الموثوقة » ، وهذه العبارة عبارة يقولها جاهل في علم « مصطلح التاريخ » كما قدّمنا في مطلع هذا الفصل .

وفي الفقرة الثالثة : « ليس لدينا غير المصادر العربيّة لدرس حياة النبيّ وللبحث في تاريخ فجر الإسلام » . ونقول : وهي مراجع كافية وافية ، موثوقة محقّقة ، « وبالنسبة لدراسة السّيرة الشريفة على وجه الخصوص ، لابُدَّ من الاعتماد أولاً على القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث المعتمدة ، وما رواه المسلمون من الأخبار الصحيحة في المؤلفات الموثوقة ، مع تمحيصها واختبارها ومقابلتها ، وإذا ما استقينا معلوماتنا على هذا الأساس عن هذه المصادر فسيبدو مضحكاً ما نجده في كتب المستشرقين الماكرين ومن تابعهم ، وأن ما يَذْكرونه صور لا يعرفها التاريخ الإسلامي وينكرها ، وذلك نفسه أيضاً سيدعنا في حصانة ضد كل انحراف أو إنتاج متهافت مغرض ... »[1] .

مراجعنا العربيّة كافية ، فأيّة أُمّة في نهاية القرن السادس ومطلع القرن

---

(١) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص : ١١٢/١١١ ، د . عبد الرحمن علي الحجّي ، دار القلم .

السابع للميلاد ، كانت مهتمة بما يجري في أرض الجزيرة العربيـة آنـذاك ؟! الفرس أم الروم ؟! فعند مَنْ ـ غير العرب ـ نجـد المصـادر عن حيـاة محمـد ﷺ وتـاريخ فجر الإسلام .

☆ ☆ ☆

٦ ـ وفي الصفحة ١٦٢ يقول حتّي : « فعمل محمّد بنصيحة سلمـان الفـارسي ، وكان هذا فيما يقال قد أشار عليه بحفر الخندق[١] حول المدينة » .

في مصادرنا : [البداية والنهايـة : ٩٥/٤ ، السّيرة الحلبيّـة : ٣٣٠/٢ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : ١٣٥/٣ ، الطبري : ٥٦٦/٢ ، الروض الأُنف : ٢٧٧/٣ ...] ، قال سلمان الفارسي : « يا رسول الله ، إنـا كنـا بـأرض فـارس إذا تخوفنـا الخيل ، وإذا حوصرنا ، خَنْدَقنـا علينـا » ، فـإن ذلـك كان من مكايـد الفُرْس ، وأول من فعلـه من ملـوك الفُرْس (منـو شهر بن أيرج بن أفريـدون) ، كان في زمن موسى بن عمران عليه السّلام .

أُعجب المسلمون بـالفكرة ، لا سيما وأنّهـا فكرة مجرّبـة ، تشلُّ حركـة الخيل ، وهي قوّة فعالة رئيسة عند قريش ، وعنـد ذلـك ركب رسول الله ﷺ فَرَسـاً لـه ومعـه عـدد من المهـاجرين والأنصـار ، فـارتـاد واستطلـع مـوضعـاً يصلـح لحفر الخندق ، ويضمن موقعه الدفاع المحكم عن المـدينـة المنوّرة ، فـاختـار ﷺ موضعـاً منـاسبـاً ، لقـد جعل جبل سَلْعٍ خلف ظهره ، وخـطَّ الخنـدق من أُجُم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المـذاد ، ثم قطّعـه لكل عشرة من النـاس أربعون ذراعـاً يعملون فيه .

هذا ملخّص ماذكرته مصادرنـا العربيّـة الإسلاميّـة ، فـأي موجب للتمريض والارتياب « فيما يقال » ؟

---

(١) وفي اللسان : خندق كلمة فارسية الأصل ، وقد تكلمت به العرب .

أمْ أن، حتّي لم يطَّلع وهو في أمريكـة يؤلّف كتـابـه على مصـادرنـا ، واطلع على نتف تشكيك قـالهـا المستشرقون في كتبهم ، فـألّف كتـابـه « مطوّلاً » اعتماداً عليها ؟

وكما في الصفحة ١٦٣ : « فدخل محمد الكعبة وأمر بأصنامها فحطِّمت ، وطهَّر البيت الحرام منها ، وكان عددها على ماقيل يبلغ ثلاثمئة وستين » .

وعبارة « على مـاقيل » ، عبـارة تمريض وارتيـاب ، والحقيقـة في مصـادرنـا تقول : ثم حطَّم رسول الله ﷺ الأصنام ، فقـد كان حول البيت الحرام يوم الفتح ستون وثلاثمئة صنم ، فجعل يطعنها بقوس آخـذ بسِيَتـه[1] في يـده ، فيهوي الصنم حتى مرَّ عليها كلها وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يُبْدئ الباطلُ ما يعيد »[2] .

☆ ☆ ☆

٧ ـ وفي الصفحة ١٦٥ : « وكانت القبـائل والأنحـاء التي لم ترسل ممثليهـا قبلاً تسرع الآن في إرسال وفودهـا من أقـاصي عُمَـان وحضرموت واليمن ، وبينهم ممثلو طيبئ وهمذان وكندة ، على قول الروايات » .

هذه الوفود التي ارتاب حتّي بوجودها : « على قول الروايات » ، حقيقة في كتب السِّيرة : [السِّيرة النبويَّة لابن كثير : ٧٦/٤ ، طبقات ابن سعـد : ٢٩١/١ ، الكامـل في التـاريـخ : ١٩٥/٢ ، الطبري : ٢٣٩/٣ ، ابن خلـدون : ٥١/٢ ، الاكتفـاء : ١٦٣/١ ب ، ابن هشـام : ١٨٩/٤ ، الروض الأُنف : ٢٤٨/٤ ..] ، فلماذا ، ولمصلحة مَنْ ، هذا التمريض والارتياب ؟!

☆ ☆ ☆

(١) سِيَـةُ القوس : طرف قـابهـا ، وقيـل : رأسهـا ، وقيـل : مـااعـوجَّ من رأسهـا ، مـاعُطِف من طرفيها ، ولها سِيَتان ، (اللسان : سية) .

(٢) السِّيرة النبويَّة لابن كثير : ٥٧١/٣ ، السِّيرة الحلبيَّة : ٩٩/٣ ، عيون الأثر : ١٧١/٢ ..

٨ ـ وفي الصفحة ١٦٧ : « ويبدو الاختلاف بين العهد الجاهلي والعهد الإسلامي في كلمات نسبتها الرواة إلى جعفر بن أبي طالب قيل كلَّم بها النجاشي يوم أحضر هذا المهاجرين ، وسألهم في دينهم » .

وعبارات التمريض والارتياب هنا : « كلمات نسبتها الرواة إلى جعفر » ، وفي : « قيل كلَّم بها النجاشي » .

ومصادرنا تقول[1] : دعا النجاشي المهاجرين المسلمين ، فتشاوروا قبل حضورهم في الأمر ، واتفقوا أن يقولوا ماعلمهم إياه رسول الله ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما جاؤوا وجدوا النجاشي قد نشر بأيدي أساقفته الصحف من حوله ، فقال : ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

فتقدَّم جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهليَّة ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه[2] ، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكفِّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأَمَرَنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ وعدَّد على النجاشي أُمور الإسلام ـ ثم قال جعفر : فصدَّقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرَّمنا ما حرم علينا ،

---

(١) ابن هشام : ٢٩٠/١ ، الكامل في التاريخ : ٥٥/٢ ، البداية والنهاية : ٧٠/٣

(٢) قومه يعرفون نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، وحتَّى يقول : نشأته محاطة بالغموض ؟!!

وأحللنا ماأحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذَّبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لانُظلم عندك أيها الملك .

هذا ماذكرته مصادرنا الصحيحة ، فلماذا التضعيف والتمريض ؟ ولصالح من ؟

☆ ☆ ☆

٩ ـ وفي الصفحة ١٩١ و ١٩٢ : « أما الوفود التي قيل إنَّها قصدت النبيَّ لتقديم الطاعة والإقرار بولايته .. » .

وكلمة التمريض هنا : « قيل » ، وهي مرفوضة ، لأن كل مصادرنا ذكرت أن سنة ٩ هـ ، هي « عام الوفود » التي جاءت تؤمن بالله الواحد ، وبنبوته ﷺ ، وهذه الوفود التي أمَّت المدينة المنوَّرة يلمس المرء عند معظمهم صدق الإيمان ، وكانت المبايعة على : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وزِيَال الشِّرك ، وألاَّ نشرك بالله إلهاً غيره .

وأخبار هذه الوفود في مصادرنا التالية : [السِّيرة النبويَّة لابن كثير : ٧٦/٤ ، طبقات ابن سعد : ٢٩١/١ ، الكامل في التاريخ: ١٩٥/٢ ، الطبري : ٢٣٩/٣ ، ابن خلدون : ٥١/٢ ، الاكتفاء : ١٦٣/١ ب ، ابن هشام : ١٨٩/٤ ، الروض الأُنف : ٢٤٨/٤ ..] .

☆ ☆ ☆

١٠ ـ وفي الصفحة ١٩٢ يقول حِتِّي عن سجاح : « وهي امرأة نصرانيَّة فيما رووا ، ادعت النبوَّة ، وتعاطت العرافة » .

ومصادرنا ترفض عبارة التمريض : « فيا رووا » ، فهي تقول : سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقفان التغلبية ، أُم صادر ، من الجزيرة[1] « وهي من نصارى العرب » ، ادَّعت النبوَّة ، ومعها جند من قومها ومن لحق بهم ، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق ..

انظر : [البداية والنهاية : ٣٢٠/٦ ، الكامل في التاريخ : ٢٣٩/٢ ، الطبري : ٢٦٩/٣ ، ابن خلدون : ٧٢/٢ ، المسعودي : ٣١٠/٢ ، الروض الأُنف : ٢٢٦/٤ ..] .

☆ ☆ ☆

١١ ـ وقال حتِّي في الصفحة ١٩١ : « ولعل مبايعة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق بينه وبين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجرَّاح ، الكتلة الثلاثية التي أدارت شؤون الإسلام وهو بعد في مهده » .

وكلمة التمريض هنا « لعل » ، وقول حتِّي هذا قول سبقه إليه المستشرق الفرنسي القس هنري لامانس[2] H. Lammens ، ولو كانت هناك « مؤامرة ثلاثيَّة » ، فكيف خفيت على جميع الناس المعاصرين لها ، فلم يذكر أحد شيئاً من ذلك ؟ وكان بين المؤمنين وحولهم من اليهود والمنافقين والمشركين وكثير من الأعداء الذين يتربَّصون الفرص ، ويختلقون التهم ، فكيف بهم أن يروا مثل هذا التآمر ولا يشيعونه أو ينقلونه أو يفضحونه ؟ ما سمعنا أحداً قط أشار أو قال

---

(١) الجزيرة الفراتية ، شمال موقع مدينة بغداد ، بين الدجلة والفرات .

(٢) لامَّانس [١٨٦٢ ـ ١٩٣٧ م] : بلجيكي المولد ، فرنسي الجنسيَّة ، من علماء الرُّهبان اليسوعيين ، تلقَّى علم اللاَّهوت في انجلترة ، استقر في بيروت فتولَّى إدارة جريدة « البشير » مدَّة ، ودرَّس في الكليَّة اليسوعيَّة ، وصنَّف كتباً عن العرب والإسلام بالفرنسية وكتباً بالعربية ، ومات في بيروت ، (الأعلام : ١٠٧/٩) .

مثل هذا الكلام ، فكيف كتمت هذه الأخبار عن أولئك القوم ، وعُرفت لهؤلاء بعد مرور القرون الطويلة ؟

إنّه التعصُّب والعداء ، والمهارة في الاتهام ، وشجاعة في الاختلاق والاجتراء ، وإلاَّ كيف اكتشف هؤلاء المستشرقون « المؤامرة الثلاثيَّة » التي عجزَ أي إنسان عن اكتشافها فاكتشفتها عبقرية لامانس ، وردَّدها حتِّي وأمثاله ؟! والمقصود هو الإسلام من خلال رجاله ، الرجال القدوة ، فهناك تسدد سهامهم[1] .

☆ ☆ ☆

١٢ ـ وفي الصفحة ٢٠٥ يقول حتِّي : « وتجلَّت ميول السوريين فإذا هي في جانب الفاتحين ، وقد نسب إلى أهل حمص مخاطبتهم المسلمين بهذا الكلام : لَوِلَايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم » .

وعبارة التمريض هنا هي : « وقد نُسِبَ » ، والبلاذري في فتوح البلدان ، صفحة ١٣٧ يقول : قدم ممثلو أهل حمص إلى أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح عندما قرر المسلمون الانسحاب إلى اليرموك جنوباً وهم يبكون وقالوا : « يا معشر المسلمين ، أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم ـ أي الروم ـ غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا » ، وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل .

فهل أزعجت هذه الصورة الحضاريَّة المشرقة حتِّي فمرَّضها وارتاب بها بقوله : « وقد نُسِبَ إلى أهل حمص .. » ؟

☆ ☆ ☆

(٢) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص ٤٠

١٣ ـ ويقول حتّي في الصفحة ٢٣٤ : « والواقع أن عمر رفعته التقاليد الإسلاميّة إلى أعلى مرتبة بعد النبيّ ، ورأى فيه الكتاب المسلمون عنوان الورع والعدل والبساطة في الشيوخ فصوّروه نموذجاً للفضيلة التي يجدر بالخليفة أن يزدان بها حتى أصبحت سيرته مثالاً يَحْتَذِيه كل خليفة ذي ضمير حي ، وقد زعموا أنه لم يكن لعمر إلاّ قميص خَلِق ، وإزار قطري مرقوع برقعة من أُدْم .. رُوِي أن عمر جَلَد ابنه جلداً على الشرب والخلاعة فمات تحت حَدّه ، ويروى أيضاً أن رجلاً لقي عمر فقال له : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي فانصرني على فلان فإنه قد ظلمني ، قيل : فرفع عمر الدرة (السّوط) فخفق بها رأسه وقال : تَدَعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر من أُمور المسلمين أتيتموه : أعدني ! أعدني ! فانصرف الرجل وهو يتذمّر ، ثم ندم عمر على ما فعل ، فدعا الرجل إليه وسأله أن يضربه كما ضربه هو ، فأبى الرجل وانصرف الخليفة حتى دخل منزله فصلّى ركعتين وقال يناجي نفسه : يا بن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته ، ما تقول لربّك غداً إذا أتيته ؟ » .

وقال عن عمر : « لاقى حتفه في إبان سطوته وقوّته » ، وذلك في الصفحة ذاتها ٢٣٤ .

« التقاليد الإسلاميّة » رفعت عمر .

« الكتاب المسلمون » رأوا فيه عنوان الورع والعدل والبساطة .

وصواب ما سبق :

كل موضوعي منصف ، درس التاريخ دون تعصّب أو تحامل .. يرفع عمر رضي الله عنه إلى مراتب عُليا ، وكل كاتب نزيه لا يعمل لجهة معادية ، غير

مأجور يريد الإنقاص من تاريخنا ، يرى فيه رضي الله عنه عنوان الورع والعدل والبساطة .

وعبارة التمريض « وقد زعموا » ينقضها قول علي رضي الله عنه : رأيت لعمر بن الخطاب إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعة من أُدم (أي جلد) ورقعة من ثيابنا[(١)] .

وخطب مرَّة الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة[(٢)] .

وقال أنس : لقد رأيت في قميص عمر أربع رقاع بين كتفيه .

وقال أبو عثمان النهدي : رأيت عمر يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب .

وعن غيره أن قميص عمر كان فيه أربع عشرة رقعة إحداها من أدم[(٣)] .

وقال حتّي : « رُوِي » أن عمر جلد ابنه حدّاً على الشراب .. وفي هذا القول تمريض وارتياب ، والحقيقة تقول : عن عمرو بن العاص قال ـ وقد ذكر عمر فترحَّم عليه ـ : ما رأيت أحداً بعد نبي الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه أخوف لله من عمر ، لا يبالي على من وقع الحق ، على ولد أو والد .

ثم قال : والله إني لفي منزلي في مصر ، إذ أتاني آتٍ ، فقال : هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سَرْوَعة ، يستأذنان عليك ، فقلت : يدخلان ، فدخلا وهما منكسران ، فقالا : أقم علينا حدَّ الله ، فإنا قد أصبنا البارحة شراباً

(١) عيون الأخبار : ٢٩٧/١

(٢) تاريخ أبي الفداء : ١٧٤/١ ، والحلية : ٥٣/١ ، وابن الجوزي : ١١٩

(٣) تهذيب الأسماء واللغات : ٦/٢ ، وأسد الغابة : ٦٢/٤ ، وابن الجوزي : ١٢٠

فَسَكِرْنا ، فزبرتهما[1] وطردتهما ، فقال عبد الرحمن : إن لم تفعله أخبرت أبي إذا قدمت عليه .

فعلمت أني إن لم أُقِم عليهما الحدّ غضب عليَّ عمر وعزلني ، فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحدّ ، ودخل عبد الرحمن بن عمر إلى ناحية في الدار فحلق رأسه ، وكانوا يحلقون مع الحدود ، ووالله ما كتبت لعمر بحرف مما كان حتى جاءني كتابه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر إلى العاصي بن العاصي ، عجبت لك يا بن العاص وجرأتك عليَّ وخلافك عهدي ، فما أراني إلاَّ عازلك ، تضرب عبد الرحمن في بيتك ، وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني ؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت : هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفتَ أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حقّ يجب لله عليه ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قَتَب[2] حتى يعرف سوء ما صنع .

فبعثت به كما قال أبوه ، وكتبت إلى عمر كتاباً أعتذر فيه أني ضربته في صحن داري ، وبالله الذي لا يُحلف بأعظم منه إني لأُقيم الحدود في صحن داري على الذمّي والمسلم .

وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر ، فقدم بعبد الرحمن على أبيه ، فدخل وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من سوء مركبه ، فقال : يا عبد الرحمن فعلت وفعلت ؟ فكلّمه عبد الرحمن بن عوف ، وقال : يا أمير المؤمنين قد أُقيم عليه

---

(١) زَبَرَه يَزْبُرُه عن الأمر زَبْراً : نهاه وانتهره ، (اللسان : زبر) .

(٢) القِتْبُ والقَتَبُ : إكاف البعير (اللسان : قتب) ، والإكافُ والأُكاف من المراكب : شبه الرّحال (اللسان : أكف) .

الحـد ، فلم يلتفت إليـه ، فجعل عبـد الرحمن يصيح : إني مريض وأنت قـاتلي ! فضربه ثانية ، وحبسه فمرض ثم مات رحمه الله[1] .

قال ابن الجوزي[2] : لما ضربه وأرسله لبث شهراً صحيحاً ، ثم أصابه قَـدَرُه ، فتحسَّب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ، ولم يمت من جَلْدِه ، ثم إنـه لا ينبغي أن يظن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر ، وإنما شرب النبيـذ متـأوّلاً يظن أن الشرب منه لا يُسْكر ، وكذلك أبو سَرْوَعة وهو من أهل بدر ، فلما خرج بهما الأمر إلى السُّكر طلبا التطهير بالحد ، وقد كان يكفيهما مجرد النـدم على التفريـط ، غير أنهما غضبا لله سبحانه وتعالى على أنفسهما المفرطة ، فأسلماها إلى إقامة الحـد ، وأمـا كون عمر ضربه مرَّة ثانية ، فليس ذلك حدّاً ، وإنما ضربه غضبـاً وتـأديبـاً ، وإلاّ فالحد لا يكرر .

وعبارات التمريض الأخيرة في هـذه الفقرة ، قول حتّي : « ويروى » أيضـاً أن رجلاً لقي عمر ، « قيل » فرفع عمر الدرة ..

والحقيقـة تقول : قـال عـاصم بن عبيـد الله : نـام عمر تحت شجرة في طريق مكّة ، فلما اشتدت عليه الشمس أخـذ عليـه ثوبـه فقـام ، فنـاداه رجل غير بعيـد منه : يا أمير المؤمنين ، هل لك في رجل قد رَبَدت (أي حبست) حاجته وطال انتظاره ؟ قال : من رَبَدها ؟ قال : أنت . فجاراه القول حتى ضربـه بـالْمِخْفَقَـة (أي الدرة) ، قال : عجلت عليّ قبل أن تنظرني ، فإن كنت مظلوماً رددت إليَّ حقّي ، وإن كنت ظالماً رددتني .

فأخذ عمر طرف ثوبه فأعطاه المخفقة وقال له : اقتصّ .

---

(١) الرياض النضرة : ٣٢/٢ ، ابن الجوزي : ٢٠٧

(٢) ابن الجوزي : ٢٠٩

قال : ماأنا بفاعل ، فقال : والله لتفعلنّ .

قال : فإنّي أغفرها ، فأقبل عمر على الرجل فقال : أنصف من نفسي أصلح من أن ينتصف مني وأنا كاره(١) .

أمّا جملة : « لاقى حتفه في إبان سطوته وقوّته » ، فجملة لاتليق بمقام عمر ، كتبها إنسان انسلخ عن تاريخه وأصالته ، فالحتف : الهلاك ، الموت ، قال ابن الأثير : هو أن يموت على فراشه كأنّه سقط لأنفه فمات(٢) .

ولو كتب هذه الجملة إنسانٌ ملتزم بأصالته ، معتز بتاريخه ، ينتمي إلى أُمّته .. لقال :

استشهد وهو في إبان قوته .

لقي وجه ربه في أوج عطائه .

مات - رضي الله عنه - وهو في قمة عظمته .

فلا « حتفه » ، ولا « سطوته » تليقان أو تناسبان المقام . وما أظن أن أمريكياً يقولها بحق جورج واشنطن ، ولا فرنسياً بحق جان دارك ، ولا انكليزياً بحق اليزابيت .. ولا يقولها أيضاً بحق جورج واشنطن ، وجان دارك ، واليزابيت ، فيليب حتّي ، وقالها بحق عمر !! ليته يقرأ اليوم إنصاف العالم والموضوعيّة العلميّة في كتاب « المئة الأوائل » ، لمايكل هارت ، ليجد اسم عمر بن الخطاب بين أولئك الذين اختارهم هذا الأجنبي ليكونوا برأيه أوائل عظماء التاريخ !؟!

☆ ☆ ☆

---

(١) ابن الجوزي : ٩٨

(٢) اللسان : حتف .

١٤ ـ وفي الصفحة ٢٣٧ : « ويروى أن الخليفة الراشد الثاني (٦٣٤ ـ ٦٤٤) كان أول من دُعِي بأمير المؤمنين باعتباره الأمير الأعلى لجيوش المسلمين ، ويقال : إن عمر أنشأ قبل وفاته مجلس انتخاب من ستة أعضاء » .

وكلمتا التمريض والارتياب والشك هنا : « يروى » ، و« يقال » ، والحقيقة التاريخية تقول :

كان يقال لأبي بكر خليفة رسول الله ، فلما استخلف عمر قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله ، فقال المسلمون : فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله فيطول هذا ، ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده الخلفاء[1] .

فبعث إليه عاملُ العراق لبيدَ بن ربيعة العامري وعَدِيَّ بن حاتم الطائي ، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفِناء المسجد ثم دخلا المسجد فإذا هما بعمرو بن العاص ، فقالا له : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، نحن المؤمنون وهو أميرنا . فوثب فدخل على عمر ، فقال : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال عمر : مابدا لك في هذا الاسم ؟ قال : إن لَبيد بن ربيعة وعديَّ بن حاتم قَدِما فأناخا وقالا لي : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فهما والله أصابا اسمك ، أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك[2] .

أما « ويقال إن عمر أنشأ قبل وفاته مجلس انتخاب من ستة أعضاء » ، فالأمر حقيقة تاريخية في مصادرنا ، ولا يضعفه أو يمرضه أو يشك به إلاّ ذو غرض ، فعندما أُصيب رضي الله عنه وكان مستنداً إلى ابن عباس وعنده ابن عمر وسعيد بن زيد فقال : اعلموا أني لم أقل في الكَلالة شيئاً ، ولم أستخلف بعدي أحداً ، وإنه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حرٌّ من مال الله .

---

(١) ابن سعد : ٢٠١/١ ، ابن الجوزي : ٤٩

(٢) الاستيعاب : ٤٦٦/٢ ، ابن الجوزي : ٥٠

قال سعيد بن زيد : إنَّك لو أشرت برجل من المسلمين ائتمنك الناس .

فقال عمر : إني جاعل هذا الأمرَ إلى هؤلاء النفر السِّتَّة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، ثم قال : لو أدركني أحد رَجُلَيْن ، فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة[1] ، وأبو عبيدة بن الجرَّاح[2] ، فإن سألني ربِّي عن أبي عبيدة قلت : سمعت نبيَّك يقول إنه أمين هذه الأُمة ، وإن سألني عن سالم قلت : سمعت نبيَّك يقول إن سالماً شديد الحب لله .

فقال المغيرة بن شعبة : أدُلُّك عليه ، عبد الله بن عمر .

قال عمر : قاتلك الله ! والله ما أردتَ الله بهذا ، لا أرب لنا في أُموركم ، وما حَمِدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيراً فقد أصبنا منه ، وإن كان شرّاً فبحسب آل عمر أن يحاسَبَ منهم رجلٌ واحد ، ويُسألَ عن أمر أُمَّة محمد ﷺ ، أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافاً لا وِزْرَ ولا أجر إني لسعيد[3] .

وجعلها رضي الله عنه في ستة : عثمان ، وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنهم ، وجعل

---

(١) وهو سالم بن عبيد بن ربيعة ، أبو عبد الله ، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، أصله من إصْطَخْر من أهل فارس ، وكان من فضلاء الصحابة وكبارهم ، معدود من المهاجرين لأنَّه لما أعتقته ثُبيتة الأنصارية زوج أبي حذيفة اتخذه أبو حذيفة ولياً له وتبنَّاه ، وهو معدود في بني عبيد من الأنصار لعتق مولاته زوج أبي حذيفة له ، يُعَدّ في القُرَّاء لقول رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة » فذكره منهم . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، واستشهد يوم اليمامة وهو يحمل اللواء ، (أُسد الغابة : ٣٠٧/٢ ، ابن سعد : ٨٥/٣) .

(٢) لأنه توفي رضي الله عنه سنة ١٨ هـ في غور فلسطين الشمالي .

(٣) الطبري : ٣٤/٥ ، أنساب الأشراف : ١٧/٥ .

عبد الله بن عمر معهم مشيراً وليس منهم ، وأجّلهم ثلاثاً ، وأمر صهيباً[1] أن يصَلّيَ بالناس .

وأرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال : كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى ، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت أحدهم ، فقم على الباب بأصحابك فلا تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمّروا أحدهم ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة فرضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم ، وأبى اثنان ، فاضرب رأسيهما ، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم ، وثلاثة رجلاً ، فحكّموا عبد الله بن عمر ، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ، فإن لم يرضَوْا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس ، ولا يحضر اليوم الرابع إلاّ وعليكم أمير منكم ، اللّهم أنت خليفتي فيهم .

فوافى أبو طلحة في أصحابه ساعةَ قُبِرَ عمر فلزم أصحاب الشورى ، فلما جعلوا أمرهم إلى ابن عوف يختار لهم ، لزم أبو طلحة باب ابن عوف في أصحابه حتى بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه[2] .

☆ ☆ ☆

---

(١) صهيب بن سنان بن مالك ، هو الرومي لأنّ الروم سبوه صغيراً ، قال ابن سعد : وكان أبوه وعمّه على الأُبُلّة من جهة كسرى ، فنشأ بالروم ، بيع بمكّة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه ، أسلم هو وعمار ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ، شهد بدراً والمشاهد بعدها . توفي سنة ثمان وثلاثين للهجرة ، وهو ابن سبعين ، (الإصابة في تمييز الصحابة : ١٩٥/٢) .

(٢) ابن سعد : ٢٤٩/١ ، الرياض النضرة : ١١٦/٢ ، ابن الجوزي : ١٨٩ ، الطبري : ٣٤/٥ و ٣٥ ، تاريخ أبي الفداء : ٢٧٤/١ ، أنساب الأشراف : ١٧/٥ .

١٥ - ومن عبارات التمريض والارتياب :

في الصفحة ٤٢٥ : « ويقال إن المعتصم الذي ينسب إليه الفضل في إنشاء معامل للصابون والزجاج في بغداد وسامرّا قد نشّط صناعة الورق أيضاً » .

وفي الصفحة ٤٢٧ قال : « يزعم المسعودي » .

وفي الصفحة ٤٩٩ قال : « وقد عُزي إلى الوزير السلجوقي نظام الملك إنشاء مدارس دينيّة غير المدرسة النظاميّة في نيسابور وسواها من مدن الامبراطوريّة » ، وقال في الصفحة ذاتها : « وإذا صدّقنا الأخبار المرويّة ، فإن قوة الحفظ بلغت في تلك الأيام درجة فائقة » .

وفي الصفحة ٥٦٢ : « يزعم الطبري » .

وفي الصفحة ٥٩٥ في معرض حديثه عن موسى بن نصير : « إن بعض مؤرخي العرب ينسبون إليه ذلك ، ويزعمون أنه كان يُمَنّي نفسه باجتياز بلاد الفرنجة إلى المشرق عن طريق القسطنطينية إلى أن يصل إلى دار الخلافة في دمشق » .

وتاريخنا يقول : قال عثمان بن عفان : « إن القسطنطينية إنّما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس ، فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر »[1] ، وموسى بن نصير قال بعد فتح الأندلس : « لو أطاعني عسكري نَفَدتهم حتى أفتح روميّة » ، أي القسطنطينية .

وختاماً لهذا الفصل ، الذي أوردنا فيه نماذج[2] من تمريضات وارتيابات وشكوك حتّي ، نذكر ما أورده في الصفحة ٤٧٣ عن كتابة التاريخ : « وكانت

(١) النجوم الزاهرة : ٨٤/١ ، الكامل في التاريخ : ٤٧/٣ ، الطبري : ٢٥٣/٤ .

(٢) ما أوردناه في هذا الفصل نماذجَ ليس غير ، ففي الصفحات : ٢٥٧ : يزعمون ، ٢٦٧ : فيما زعموا ، ٢٧٥ : زعموا ، ٣٠٢ : نسب إلى عمر ، ٣١٠ : على قول الرواة ، زعم ابن خلكان ، ٣١١ : قيل ، ٣٢٥ : ويزعم ، ٣٧٤ : فيما يروى ... إلخ .

أول مادة في هذه المؤلفات قد تحدَّدت عن طريق الأساطير التي تنوقلت شفاهـاً في الجاهلية ، ومن القصص والأخبار الدينيَّة التي حيكت حول النبيّ وسيرته » .

وفي الصفحة ٤٧٤ : « وقد آن الأوان لظهور التأليف التاريخي الرسمي مبنيّـاً على هذه الأساطير والتقاليد والأحاديث والسِّير والأنساب والحكايات » .

وفي الصفحـة ٤٨٢ : « ويشمـل الحـديث كـذلـك كثيراً من الحكم والنـوادر والأمثال والكرامـات أو العجـائب المنسوبـة إلى النبيّ ، وهـذه الأمور مستقـاة من مصادر مختلفة ، ومنها الإنجيل » .

وجرأة حتّي هنا وافتراؤه وكذبه غني عن التعليق !

كيف نعلّـق على عبـارات جعلت تـاريخنـا « أسـاطير » ، وهـذا مـا كرّره في الصفحات : ٢٦٥ : « جاء في الروايات والأسـاطير العربيَّـة » ، « إلا أن بطل هـذه الصَّائفة الحقيقي في الأساطير هو أبو أيوب الأنصاري » ، ٢٦٨ : « تراثـاً من القصص والأساطير » ، ٢٧٩ : « الأساطير » ... وهنا جعل مادة كتابة تاريخنا التي قال عنها المنصفون إنها في منتهى التدقيق والتمحيص والـدراسـة ، وإن مؤرخينـا وضعوا أسس « مصطلح التاريخ » ، جعلها حتّي « أسـاطيرَ » ، وجعل الحـديث الشريف الـذي هـو المصـدر الثـاني في التشريـع الإسـلامي بعـد القرآن الكريم ، مستقى من « أساطير » ، من مصادر مختلفة ـ لم يذكرها ـ وذكر منها الإنجيل !!

ما هذه الجرأة ، وما هذا الافتراء ؟

وهذا تاريخنا يكتبه لنا فيليب حتّي بعبارات التمريض والارتياب تسبق كل صورة مشرقة ، وختمه بالأساطير ، فمتى كانت إذن فتوحاتنا الرحيمة ، وحضارتنا الرفيعة ؟!

مـا سبق يفسر لنـا بجلاء لماذا طبع المجلس الحربي الأمريكي موجـز هـذا الكتاب طبعه خاصّة للجيش ، عدد نسخها خمسون ألفاً !!

نُقَاطٌ خَمْسٌ

« إنَّ هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخرِّبين » .
قالها الملك الفارس كيروس بحق المسلمين .
[شمس العرب تسطع على الغرب : ٣٥٧] .

١ ـ لو قال حتّى في مؤلَّفه : استولى العرب على إسبانية ، واستولى الصليبيُّون على أنطاكية ، فلا اعتراض لنا .

ولو قال : استيلاء العرب على مصر ، وقال : استيلاء الفرنجة على بيت المقدس ، فلا اعتراض لنا .

ولو قال : تمّ استيلاء المسلمين على الاسكندرية ، وقال : استيلاء النورمانديين على صِقِلِّيّة ، فلا اعتراض لنا .

أما وإنه قد خصَّ العرب المسلمين بعبارات الاستيلاء والاغتصاب والاكتساح والغزو والقهر ، وخصَّ قومه الأوربيين بالفتح والتحرير ، فلنا كل معاني الاعتراض والرفض ، ولنا حقُّ الاستنتاج بأنه متعصِّب حاقد .

في الصفحة ٢١٥ فصل عنوانه : الاستيلاء على مصر وطرابلس وبرقة .

الصفحة ٢٢٢ : « وهكذا تمّ استيلاء المسلمين للمرة الثانية على الاسكندرية » .

الصفحة ٢٢٣ : « واستولى معاوية على قبرص سنة ٦٤٩ » .

الصفحة ٢٦٢ : « كادت أن تصل يده ـ يد معاوية ـ إلى الاستيلاء على عاصمة العدو نفسها » ، أي القسطنطينيّة .

الصفحة ٢٧٠ : « الاستيلاء على إسبانية » .

الصفحة ٢٧٨ : « الاستيلاء على ساروس » .

الصفحة ٢٨٨ : « وتبريراً للاستيلاء عليها ادعى الاخباريون » .

الصفحة ٥٤٢ : « استولى الأغالبة أيضاً على مالطة وسردينية ، وذلك بواسطة قرصانهم » ، والقرصان كما هو معلوم : لص البحر[1] ؟!

الصفحة ٥٥٨ : « سبع عشرة حملة على الهند أدَّت إلى الاستيلاء على بلاد البُنْجاب وقصبتها لاهور وعلى ملتان وبعض أنحاء السند » .

الصفحة ٥٩٠ : « وتذهب الأخبار إلى أن الغزاة جازوا المضيق » ، أي جاز المسلمون مضيق جبل طارق إلى الأندلس .

الصفحة ٥٩١ : « وهكذا استطاع طارق وقد قصد الأندلس ربيع سنة ٧١١ على رأس حملة بسيطة للغزو أن يحتل في صيف السَّنة نفسها نصف إسبانية » .

الصفحة ٥٩٥ : « وكان الذي حدا بالحر ـ بن عبد الرحمن الغافقي ـ إلى هذه المغامرة أملُ الاستيلاء على كنوز الأديرة والكنائس في غاليا ـ فرنسة ـ ، وفي سنة ٧٢٠ في عهد الخليفة عمر الثاني استطاع السَّمح أن يستولي على سبتمانيا » .

الصفحة ٥٩٨ : فتنة الأندلس [٧٣٤ ـ ٧٤٢] : « قد أخذ يندلع لهبها الآن في الأندلس نفسها بحيث كادت تقضي على هذه الحفنة من المستعمرين العرب » .

وكرَّر حتي كلمة « مستعمرون » بحق العرب المسلمين في الصفحتين : ٥٩٩ و ٦٠١ أيضاً .

الصفحة ٦٠٣ : « استيلاء عبد الرحمن على قرطبة » .

الصفحة ٦٢٠ : « وبذلك تمَّ للعرب التَّسلُّط » .

الصفحة ٦٢١ : مُصَوِّر « الاحتلال الإسلامي » للأندلس .

---

(١) القُرْصان : لِصُّ البحر (معرَّب) ، والجمع : قراصِنة ، المعجم الوسيط : قَرَص .

الصفحة ٧١٤ : « ثم إن خيرات سرقوسة وغنائمها التي انتهبها العرب عند غزوهم المدينة » .

الصفحة ٨٣٦ : قال بحق خير الدين بربروسا وأخيه عروج : « قرصانان عثمانيان » .

الصفحة ٨٣٨ : عنوان : « دول القراصنة » .

الصفحة ٨٣٩ : الجزائر « المقر العام لقراصنة البحر » ، هذا الكلام بحق المجاهدين المسلمين !! ويذكرنا هذا القول بإطلاق « إسرائيل » اسم المخرّبين على الفدائيين الفلسطينيين العرب ! .

الصفحة ٨٧٠ : قال عن ساحل الإمارات العربيّة : « شاطئ القراصنة » .

هذا بعض ما قاله حتّي بحق العرب المسلمين : استيلاء ، غزو ، مستعمرون ، تسلُّط ، انتهاب المدن ، قراصنة ..

أما بحق قومه الفرنجة ، فقد خصَّهم بكلمة حضارية إنسانية ، هي « الفتح » :

قال في الصفحة ٥٧٥ : « ولما فتح الفرنجة بيت المقدس سنة ١٠٩٩ م » .

الصفحة ٧١٩ : « الفتح النورماندي » .

الصفحة ٧٥٨ : « تمَّ للصليبيين فتح بيروت وصيدا في عام ١١١٠ م » .

الصفحة ٧٦٣ : « تحرير الرُّها » ، قالها بحق قومه الصليبيين ، وقال عن نور الدين زنكي : « أتم احتلال كونتيَّة الرُّها »[١] .

الصفحة ٨٤٦ : « فَتْحُ الفرنسيين لمراكش » .

وقال في الصفحة ٧٦٤ : « استيلاء صلاح الدين على اليمن » ، وفي الصفحة ٧٦٥ قال عن صلاح الدين أيضاً : « اغتصب سورية » ، « اكتسح مصر » .

---

(١) لم يقل إمارة الرُّها ، بل أعطاها الاسم الفرنجي .

وفي الصفحة ٨٥١ يأسف حتّي لفشل حملة نابليون على أسوار عكا فيقول : « إيقاف الحملة الافرنسية المنكودة الحظ في عكا » ، فلم لا يطبع الجيش الأمريكي خمسين ألف نسخة من مختصر كتاب فيليب حتّي ؟!

☆ ☆ ☆

٢ ـ وتراه يرسّخ الإقليمية ويركّز عليها :

« ولقد رافق بالغريف في هذه الرحلة فتى لبناني اسمه بركات » ، صفحة ٦ .

« العلاقات العربيّة المصرية » ، صفحة ٤٠ ، وكأن مصر ليست عربيّة ، وهذا ما يدّعيه قومه حتى يومنا هذا ؟! .

« لقد رفع معاوية مؤسس الدولة الأُمويّة عرشه السوري على أكتاف اليمانيّة » ، صفحة ٣٥١ .

« التوحيد بين العرب والسّوريين والبربر .. » ، لاحظ واو العطف والمغايرة : « بين العرب والسّوريين ... » ؟! صفحة ٦٠٦

« السلطان السّوري » نور الدين زنكي ، صفحة ٧٨١ ، ومتى كان نور الدين سورياً ؟

« عاد غازان بحملة أُخرى فقهره المصريون عند مرج الصفر جنوبي دمشق ، ولم يجرؤ أحد من خلفاء غازان على مقاتلة المصريين بعد ذلك » صفحة ٨٠٣

« المؤرخون اللبنانيون » ، صفحة ٨٧٤ .

« عبد الغني النابلسي الفلسطيني » ، صفحة ٨٧٥ .

« وقد برهن لبنان أنه يتقبّل هذه الثقافة المنتقلة إليه من الغرب ، وذلك لأن حضارتيهما وإن اختلفتا في بعض النواحي الهامة الخاصّة ، فلا تزالان تعتبران فرعين من مجرى رئيسي واحد ، وكذلك فعلت البلاد العربيّة الأُخرى ، فحضارة أوربة ، وحضارة الشرق الأدنى تشتركان في إرث واحد مشترك من التقاليد

اليهوديّة المسيحيّة واليونانيّة الرومانيّة » ، صفحة ٨٨١ . فللبنان كيانه ، وله حضارته ، ويشترك مع الغرب بتقاليد يهودية مسيحيّة ، ويونانية رومانيّة ..

« وقد بدأت حركة القوميّة أوّل الأمر ، كحركة فكريّة صرفة ، وكان دعاتها الأول بالأكثر المفكّرون السوريون ، وبنوع أخص اللبنانيون المسيحيون[1] ، الذين تعلّموا في جامعة بيروت الأميركية وعملوا في مصر » ، صفحة ٨٨٩ ، وحتّي ـ وكثير من قومه ـ ممن حملوا الفكرة لساناً لا قلباً ، فتنكر لها بإساءته للعرب ، وكان قومه أول من تخلّى عنها في لبنان !؟!

« القوميّة المصريّة ، وأخذت تفترق عن القوميّة العربيّة وتصطبغ بصبغتها الإقليمية » ، صفحة ٨٨٩ ، وقال في الصفحة ذاتها : بلاد شرق الأردن : « كان لها نوع من القوميّة الخاصّة بها » .

« القومية العراقية تجلّت منذ سنة ١٩٢٠ م ، وكانت رد فعل للاستعمار البريطاني » ، صفحة ٨٩٠ ، وقال : « دفعت الحرب العالمية الأولى الوطن العربي إلى سلوك طريق قوميات ، أو شبه قوميات خاصة » .

وهكذا .. ركّز ورسخ حتّي الإقليمية في « تاريخ العرب ـ مطوّل » ، ورأى قوميات : مصريّة ، أردنيّة ، عراقيّة .. وسلك الوطن العربي طريق القوميات بعد الحرب العالمية الأولى ؟! فلم لا يُطبع من مختصر كتابه خمسون ألف نسخة توزّع على الجيش الأمريكي ؟.

☆ ☆ ☆

---

(١) هكذا وردت الفقرة في الكتاب ص ٨٨٩ ، وصوابها اللغوي : [وقد بدأت حركة القوميّة أوّل الأمر كحركة فكريّة صرف ، وكان أكثر دعاتها الأوّل من المفكّرين السُوريين ، وبنوع أخص اللبنانيين المسيحيين ..] .

٣ ـ الجنس السّامي :

قال حتّي في الصفحة ١ : « فإنها ـ أي الجزيرة العربيّة ـ قد أنشأت الشعوب التي نزحت فيما بعد إلى الهلال الخصيب ، هذه الشّعوب التي أصبحت مع تعاقب الأجيال أُمم البابليين والآشوريين والفينيقيين والعبرانيين ، وفي تربة هذه الجزيرة الرمليّة نشأت العناصر الأصليّة للديانة اليهوديّة » .

العبرانيون ليسوا من شعوب الجزيرة العربيّة التي نزحت إلى الهلال الخصيب ، وبالتالي لم تنشأ العناصر الأصليّة للديانة اليهوديّة فيها .

الصفحة ٨ : إن العرب من بين الشعبين الباقيين اللذين يمثلان الجنس السّامي .

الصفحة ٩ : إن لفظ سامي مأخوذ من سام الوارد ذكره في التوراة (تك ١٠ ح ١) .

الصفحة ١٠ : الجزيرة مهد الجنس السّامي .

الصفحة ١١ : وحوالي منتصف الألف الثالث ق . م حدثت هجرة ساميّة أُخرى حملت الأموريين إلى الهلال الخصيب ، وكان بين العناصر التي تألّفت منها هذه الموجة الجديدة الكنعانيون ، وقد حلّوا غربي الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ ق . م ، والساحليون الذين سمّاهم الأغارقة الفينيقيين .

الصفحة ١٤ : وإذا سلّمنا أن نجد الجزيرة أو يمنها هي الموطن الأصلي للشعوب السّاميّة ، والمركز الذي توزّعت منه ، وقال في الصفحة ذاتها : الهلال الخصيب مربع الحضارة السّاميّة .

الصفحة ٢٣ : شعوب الشمال الساميين وخصوصاً الآراميين .

الصفحة ٣٢ : الديانة السّاميّة .

الصفحة ٣٣ : الجماعات السّاميّة في بابل وآشور .

الصفحة ٣٨ : أما أهل الجنوب فلقد كانت لهم لغة ساميَّة قديمة ، لغة سبأ وحمير .

الصفحة ٤٤ : نارام سين وهو سليل سرجون ، أول عظماء السّاميين في التاريخ ، ومؤسّس الدولة الأكدية في وادي الفرات .

الصفحة ٥٥ : القريحة السّاميّة القديمة .

الصفحة ٦٨ : الأبجديات السّاميّة .

الصفحة ١٢٢ : العرب وهم ساميُّون أقحاح ، لم يبدعوا وينشئوا فناً عظيماً خاصّاً بهم من الفنون المعروفة ، لكنهم عبَّروا عما تكنُّه صدورهم من الغريزة الفنية بصورة واحدة : الكلام ، فإن فاخر الإغريقي بما عنده من تماثيل الفن ومنشآت هندسة البناء ، فالعربي يرى قصيدته أفضل ما يعبر عن خوالج نفسه الداخليّة .

الصفحة ١٩٦ : المسلمون آخر الهجرات السّاميّة العظيمة .

الصفحة ٢٠٦ : سكان البلاد وهم ساميُّون ..

وكلمة : سامي ، وساميُّون تسمية توراتيَّة مرفوضة ، وهي باعترافه مأخوذة من التوراة ، وهذه التسمية مرفوضة ، والصحيح قولنا : عرب قدماء .

☆ ☆ ☆

٤ ـ عبرانيُّون وتوراة :

كرَّر اعتماده على التوراة في الصفحات : ٩ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ٨٩ .

وفي الصفحة ٩ : « استقر العبرانيون في فلسطين حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م » .

وفي الصفحة ٢٣٢ : « المدنيَّة ـ ولا يقول حتّي حضارة ـ العربيَّة الإسلاميَّة هي تكملة للمدنيَّة السَّاميَّة العريقة التي زهت في الهلال الخصيب ، ابتدعها الآشوريُّون والبابليُّون والفينيقيُّون والآراميُّون والعبرانيُّون ، ثم أتمّ عملهم العرب ، فهي مثال الذروة القصوى التي بلغتها مدنيَّة البحر المتوسّط القائمة في غرب آسية » .

وفي الصفحة ٦٨٦ : الطبيب حسداي بن شبروط الإسرائيلي ..

التوراة كتاب ديني لا يقبله البحث العلمي الحديث كتابَ تاريخ وآثار[(١)] ، لأن الأحبار خطُّوه ما بين ٥٨١ ـ ٥٣٩ ق . م ، وتابع كتابته اللاَّحقون لهم ، والأسفار الأُولى منها كانت متأخّرة ١٣٠٠ عام عن إبراهيم ، و ٧٠٠ عام عن موسى ، ولكن اليهود استطاعوا أن يضفوا على تاريخهم التوراتي قدسيَّةً مصير من لم يصدقها العقاب في الدنيا والآخرة .

فاعتماد حتّي على التوراة مرفوض .

أما اقحام « العبرانيين » بين الشعوب العربيَّة القديمة فدسيسة مزدوجة ، لأن اقحامها دسيسة ، واغفال الكنعانيين دسيسة أُخرى ، وهي دسيسة توراتية ، فالكنعانيون العرب القدماء أصحاب أرض فلسطين تغفلهم التوراة لأسباب سياسية ، فجاء حتّي واعتمد التوراة « لموضوعيته ونزاهته » .

☆ ☆ ☆

٥ ـ نَصَارَى :

عنترة بن شداد العبسي : « يظهر أنه انتمى إلى النصرانيَّة » ، صفحة : ١٣١

---

(١) انظر : دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة د . موريس بوكاي ، ط دار المعارف ، ص : ١٧ وما بعدها .

جالية حبشيّة لعلها نصرانيّة يدعى أفرادها الأحابيش[1] ، صفحة ١٤٨

الآراء المسيحيّة الشّائعة ، والتعابير النصرانيّة ، صفحة : ١٥٠

لم يكن التوحيد الذي تأثّرت به بلاد العرب من النوع النصراني فقط ، بل كانت هناك مستعمرات يهوديّة زاهرة في المدينة[2] ، وفي واحات كثيرة من أعمال الحجاز الشمالي ، صفحة : ١٥١

النصرانيّة كانت قد علّقت أصولها بنجران ، واليهودية باليمن والحجاز ، صفحة ١٥٢

ولو أن بعض المصادر جعلت ورقة نصرانيّاً[3] ، صفحة ١٥٢

أسرع يزيد إلى تجريد حملة تأديبيّة على الثائرين فيها ـ في المدينة المنوّرة ـ وسارت الحملة إلى المدينة ، وكان من رجالها عدد كبير من نصارى الشام ، صفحة : ٢٥٤

وكانت ميسون نصرانيّة على مذهب اليعاقبة كنائلة زوجة عثمان ، صفحة : ٢٥٨

وجعل الحجّاج يتاذوق النصراني طبيبه الخاص ، صفحة ٢٨٦

وتأثره ـ ﷺ ـ بنفوذ زعامة بني غسّان وبكر وتغلب وسواها من القبائل النصرانيّة[4] ، صفحة ٣٠١

بناء الكعبة القائم أيام النبي كان بالأكثر صنع نجار نصراني قبطي ، صفحة ٣٢٦

جد محمد بن إسحق أحد الغلمان النصارى ، صفحة ٤٧٣

---

(١) الأحابيش ليسوا من الحبشة كما سيمر معنا في الصفحات التالية .

(٢) التوحيد في الإسلام غيره في المسيحية واليهودية ، في المسيحية تثليث ، وفي اليهودية « يهوه » إله اليهود دون غيرهم ، وفي الإسلام : الله واحد لا شريك له ، رب العالمين ، لا إله إلا هو .

(٣) كما في كتاب « قِسٌّ ونبيّ » لأبي موسى الحريري ، حيث جعل ورقة نصرانياً يعلم النبيّ ﷺ القرآنَ الكريم !!

(٤) ولكن حتّى لم يشر كيف تأثّر وجوانب تأثّره .

كان والد أبي تمام خمَّاراً أو عطَّاراً نصرانياً ، صفحة ٤٩٤
أهل الفن من النصارى ، صفحة ٥٠٨
مؤثرات نصرانيّة ، صفحة ٥٢٣
الأندلسيُّون النصارى يسترجعون بلادهم من أيدي العرب ، صفحة ٦٠٦
وهنا أخذ النصارى المتحمّسون يتسابقون إلى الاستشهاد ، وقد عمد أفراد من الكهنة وسواهم إلى الطعن بالإسلام قصداً وتعمُّداً لكي يُقتلوا فيُعتبروا شهداء ، صفحة : ٦١٤

وتابع حتّي المستشرقين أيضاً في الصفحات : ٧٣٥ ، ٨٠٣ ، ٨٤٢ ، ٨٤٩ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠

وهكذا ، يلمس القارئ في كتاب حتّي عدم موضوعيته لتحيُّزه لقومه ، واظهارهم بدقة ، واعطائهم حجماً أكبر من حقيقتهم ، وتمييزهم وكأنهم محرِّكو التاريخ ، معتمداً على كتاب « ابن العبري » : [تاريخ مختصر الدول] ، المعروف بتعصُّبه وبعده عن البحث العلمي .

فيليب حِتّي
وتاريخنا

☆ « ثم أخذ الغافقي بوردو عنوة ، وأشعل النار في كنائسها .. وليس من شك في أنّ الطُرَف والكنوز النفيسة التي عُرِفت فيها كانت من العوامل الّتي حرّكت الفاتحين لمهاجمتها »
فيليب خوري حتّي

نثبت في هذا الفصل دسائس حتّي التاريخيّة ، وهفواته في التاريخ السياسي ، وسيجد القارئ قفزات من عصر إلى عصر ، وفقرات الفصل مستقلة ، كل فقرة على حده ، وسبب ذلك تتبُّع الأخطاء حسب تسلسل أرقام الصفحات .

١ ـ « ولما قام إبراهيم باشا ، وهو أيضاً من أنجال والي مصر ، يعني محمد علي باشا ، بإخضاع الوهّابيين في نجد سنة ١٨١٩ ، كان في معيته ضابط من الجيش البريطاني يُدْعى سادلير بصفة مستشار خاص له » ، ص : ٥

وصوابه : الكابتن ج . فورستر سادلير ، لم يكن بمعيّة إبراهيم باشا ، ولم يكن مستشاراً خاصّاً له ، لقد عُيِّن الكابتن سادلير من قبل حكومة بومباي الإنكليزية عام ١٨١٩ في مهمة إلى معسكر إبراهيم باشا الذي كان في الجزيرة العربيّة ، هدفها تهنئة إبراهيم باشا لانتصاراته في الدرعية والأحساء ، ولما كان سادلير لا يعرف مركز إبراهيم باشا في الجزيرة بشكل دقيق ، اتّجه من بومباي إلى مسقط ، ومنها إلى البحرين ، وعبر الجزيرة العربيّة من القطيف على الخليج العربي حتى ينبع على البحر الأحمر .

ومذكرات سادلير تذكر أن رحلته هذه بدأت من الرابع عشر من نيسان (إبريل) عام ١٨١٩ ، ولم يقابل إبراهيم باشا إلاَّ في الثامن من أيلول (سبتمبر) ، وكان الباشا في طريق عودته إلى مصر .

ومذكرات سادلير مطبوعة تحت عنوان : رحلة عبر الجزيرة العربيّة خلال عام ١٨١٩ ، ترجمها الأستاذ أنس الرّفاعي ، أشرف على طباعتها وحقّقها ونشرها الأستاذ سعود بن غانم الجمران العجمي ، الطبعة الأُولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

☆ ☆ ☆

٢ ـ « ومكّة إذ ذاك مقام جالية حبشيَّة لعلّها نصرانيَّة ، يُدعى أفرادها الأحابيش » ، ص : ١٤٨

وصوابه : الأحابيش : من انضم إلى قريش وليس منها ، وحُبْشيّ : جبل بأسفل مكّة به سُمّي أحابيش قريش ، ذلك أن بني المصطلق وبني الهَون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله إنّا لَيَد على غيرنا ما سَجَا لَيْلٌ ووضح نهار ، وما أرسى حُبْشيٌّ مكانه ، فسمُّوا أحابيش قريش باسم الجبل ، (اللسان : ٦ / ٦٧٨) .

فالأحابيش ليسوا جالية حبشيَّة ، ولا هم نصارى[١] .

☆ ☆ ☆

٣ ـ « انتهز الأنصار (وهو الاسم الذي عُرف به إذ ذاك مسلمو المدينة) فرصة الأشهر الحرم ، وهم بحاجة إلى أن يعيلوا المهاجرين بين ظهرانيهم ، فاعترضوا قافلة تجارية لقريش ، كانت عائدة من رحلتها إلى الشام في الصيف ،

---

(١) وأخطأ حتّي أيضاً في ص ١٦٢ عندما قال : « وأقبلت سنة ٦٢٧ فإذا الأحزاب وهي تتألّف من المكيين وأعوانهم من البدو ومرتزقة الأحباش » .

وبهذا وجّهوا ضربتهم إلى أعظم نقطة حيوية في حياة مكّة العاصمة التجارية ، وهدّدوا خط التجارة السّاحلي بين مكّة والشام » ، « في رمضان من سنة ٦٢٤ وبفضل النبي وقيادته التي توحي الحماسة والشجاعة ، استطاع ثلاثمئة من المسلمين أن يغلبوا ألفاً من أهل مكّة ، وغزوة بدر هذه ، وإن لم تكن بنفسها إلاّ وقعة حربيّة بسيطة ، فإنها قد غدت مقدّمة لانتشار سلطان النبيّ الزمني ، وبادرة لوحدة الجزيرة ، وهي أول انتصارات الإسلام الحاسمة » ، ص : ١٦٠ و ١٦١

وصوابه :

ـ انتهز « المسلمون » لا « الأنصار » ، كان الأنصار ٢٣٦ رجلاً ، وكان المهاجرون ٧٧ رجلاً ، فمجموعهم ٣١٣ مسلماً .

وغزوة بدر الكبرى كانت في ١٧ رمضان المبارك ٢ هـ / ١٣ آذار (مارس) ٦٢٤ م ، وشهر رمضان ليس من الأشهر الحرم كما يقول حتّي ، الأشهر الحرم هي : ذي القعدة ، ذي الحجّة ، المحرم ورجب فقط .

ـ معركة بدر « وقعة حربيّة بسيطة » ، لن نعلّق على هذه العبارة ، وبدر الكبرى « يوم الفُرقان » : الانتصار الذي صنع مجد العرب وعزّتهم وتاريخهم بعد الوثنيّة والضياع .

☆ ☆ ☆

٤ ـ « وأقبلت سنة ٦٢٧ فإذا الأحزاب وهي تتألّف من المكّيّين .. » ، ص ١٦٢

وصوابه : كان المكيّون أربعة آلاف فقط ، وهم قريش ، بقيادة أبي سفيان ابن حرب . وكان معهم من غير المكيين ستة آلاف من القبائل ، مثل :

ـ قبيلة غطفان بقيادة عُيَيْنَة بن حصن الفزاري ، وهم ألف .

ـ وقاد بني مرّة وهم أربع مئة الحارث بن عوف بن حارثة المرّي .

ـ وقاد بني أشجع أبو مسعود بن رُخَيْلة .

ـ وقاد بني سليم ـ وهم سبعمئة ـ سفيان بن عبد شمس .

ـ وقاد بني أسد طليحة بن خويلد الأسدي .

وكانت أشجع وبنو أسد تتمة العشرة آلاف .

☆ ☆ ☆

٥ـ « صلح الحديبية الذي وضع المسلمين على قدم المساواة مع المكيين .. » ، ص ١٦٣

وصوابه : لم يضع صلح الحديبية ٦ هجرية المسلمين على قدم المساواة مع المشركين القرشيين ، لأن ظاهر بنوده جاءت لصالح قريش ، ولكنه اعتراف رسمي مُوَقَّع من قريش ، بأن رسول الله ﷺ ومن معه ، قوة مستقلة متميِّزة ، وصنو قريش زعيمة القبائل ، وهذا يعني أيضاً ـ أمام كل قوى جزيرة العرب ـ أن قريشاً قد اعترفت رسمياً بمن كانت تريد استئصاله ، مما جعل القبائل العربيَّة تعيد حساباتها .

قال محمد بن سعد الزهري في صلح الحديبية : « فما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأَمِنَ الناسُ بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يُكَلَّم أَحَدٌ بالإسلام يعقل شيئاً إلاَّ دخل فيه ، ولقد دخل تينك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر[1] » .

☆ ☆ ☆

---

(١) الاكتفاء : ١ / ١٢٩ب ، ابن هشام : ٣ / ٢٠٦ ، البداية والنهاية : ٤ / ١٧٠ ، الطبري : ٣ / ٧٩ ..

٦ ـ « لم تكن حروب الرِّدَّة في الواقع حروباً يقصد بها إخماد ثورة قام بها المرتدُّون ، وكبح جماح الثائرين على الإسلام ، ممن اتخذه ديناً ـ كما توهَّم مؤرخو العرب ـ بل هي في الحقيقة حملات قصد بها اخضاع أعداء ما عرفوا الإسلام ، ولا قبلوا رسالته وحملهم على الانضمام إليه » ، ص ١٩٢ و ١٩٣

وصوابه : « الارتداد » خروج عن طاعة الدولة الإسلاميَّة في المدينة ، وهي على نوعين :

ـ اتباع المتنبئين ، إما عصبيَّة ، كما قال طلحة النمري لمسيلمة : أشهد أنَّك كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر . وإما لأن الوفود التي جاءت في العام التاسع للهجرة بعد فتح مكة ، لا نلمس في إسلام بعضها ، تلك الحماسة الدافقة التي كنا نجدها لدى السَّابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار ، ولكن ظهر من بينهم من زاد في صفوف المسلمين الصادقين الخُلَّص قوة وتضحية ، مدفوعين بإيمان صادق بنبوَّة محمد بن عبد الله ﷺ ، ومستعدين بحق وصدق لبذل نفوسهم في سبيل بقاء الإسلام وإعلاء شأنه بين إخوانهم في قبائلهم ، فمعظم القبائل التي ظهرت الرِّدَّة بين صفوفها ، كانت بعيدة عن فهم الإسلام ، وتربية رسول الله وصحبته ، فكان ضعف إيمانها من أسباب ردَّتها .

ـ وامتناع عن دفع الزكاة ، وسببه ظنهم أنها كانت تدفع للنبي ﷺ ، فكيف تدفع اليوم لقريش ؟ وهنا تجلَّت بصيرة أبي بكر رضي الله عنه في فهم ركن الزكاة ، فلا مساومة على ركن من أركان الدين ، لأن الزكاة مادَّة القضاء على البؤس والفقر والجوع والمرض والعَوَز ، وهي مظهر من مظاهر ارتباط المواطن بالدولة وخضوعه لها ، والامتناع عن دفعها مظهر للتمرُّد على الحكومة .

وحسب فهم حتّي : مؤرخو العرب واهمون ، وما عرف الحقيقة غيره ،

فحروب الرِّدَّة عنده : « حملات قُصِدَ بها اخضاع أعداء ما عرفوا الإسلام ، ولا قبلوا رسالته .. » ، وتناسى ذكر العصبيّة القبليّة ، وهي السّبب الأوّل لحركة الرِّدَّة ، إلى جانب ضعف الإيمان .

☆ ☆ ☆

٧ ـ « طليحة الكذاب » ، ص : ١٩٢

وصوابه : مسيلمة الكذاب ، وكان في اليمامة .

أما طليحة فهو : طليحة بن خويلد الأسدي ، وكان في بُزَاخة ، وهو أيضاً من المرتدين .

☆ ☆ ☆

٨ ـ « ولقد يَسَّر الفتح للعرب أسباب منها أن فارس وبيزنطة كانتا قد وهنتا بسبب الحرب فيها أجيالاً طوالاً ، فاضطرتها هذه الحرب إلى إرهاق رعاياهما بضرائب قاسية أدّت إلى نفورهم » ، ص : ١٩٤ .

يَسَّر الفتح للعرب المسلمين وَهَنُ الدولتين الأعظم : فارس وبيزنطة « بسبب الحرب فيهما أجيالاً طوالاً .. وإرهاق رعاياهما بضرائب قاسية » .

يناقض أحكامَ حتّي السابقة قولُه في الصفحة ٢٠٠ : « ثم أسرع هرقل الذي كان قد تمرَّس على الحروب ، وقاتل الفرس في الشام ومصر ست سنوات ، حتى أجلاهم عنها عائداً من الرُّها (أُدِسّا) موطن أجداده ، لتنظيم خطة الدفاع ، وتجهيز جيش وافر العدد والعُدّة ، يعقد إمارته لأخيه ثيودورس » .

ويناقض أحكام حتّي السابقة أيضاً ، قوله في الصفحة ٢١٣ : « والسرُّ في مقاومة الفرس راجع إلى أن الفرس ينتمون إلى الجنس الآري لا الجنس السامي (!؟) ، ولقد كانت له عهود متطاولة من الاستقلال والوحدة القوميَّة ،

دع عنك ما تسلّحوا به من جيش منظّم ، وما حازوه من دِرْبَةٍ على الحرب ، وخبرة بأفانينها ، ولقد سبق لهم أن صارعوا الروم صراعاً عنيفاً استغرق أكثر من أربع مئة سنة » .

فأين الوهن ، وقد تمرّس الروم على الحرب ؟

وأين الوهن ، وقد تسلّح الفرس بجيش منظّم ، وحازوا دربة في الحرب ، وخبرة بأفانينها ؟

كيف نضع الرأي وما ينقضه ، ونثبت الحكم وما يدحضه ؟

ومع ذلك ، نقول لحتّي ولمن برأيه[1] :

١ ـ انتصر المسلمون في الجزيرة العربية وهم قِلّة ، على إخوانهم وأبناء عمومتهم وهم كثرة .. المسلمون في بدر ٣١٣ مجاهداً ما جاؤوا لقتال ، وقريش مع إمكاناتها ألف مقاتل ، فمن انتصر ؟

ولمن كان النصر في حروب المسلمين ضد المتنبئين والمرتدين أيام الصّدّيق رضي الله عنه ، وقد كان المتنبئون والمرتدون كثرة ساحقة ، والمسلمون قِلّة ؟

فضمن الجزيرة العربية ، البُنْيَةُ الجسديّة واحدة ، والظروفُ واحدة ، فمن انتصر ؟ أَمْ هل وهن من العرب من بقي على وثنيته ، وانمحى الوهن مِمّن أسلم ؟

٢ ـ في اليرموك ... حيث تداعت أركان دولة الروم في بلاد الشام ، إن كان جيش الروم ضعيف واهن ، ألا يكفيهم أن مئة ألف عربي متنصّر كانوا معهم في المعركة ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فإن انتصار ٣٦ ألف عربي مسلم على ربع مليون رومي وعربي متنصّر يُعَدُّ في ذاته معجزة ، فالانتصار لم يكن لجيش على جيش يكافئه في العَدَدِ والعُدَدِ ، إنّما النصر تمّ لجيش كان فيه الواحد يقابل سبعة من أعدائه !!

---

(١) انظر : آراء يهدمها الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ص ٦٣ .

٣ ـ ترتيبات الفرس والروم عريقة وامداداتهم وعتادهم عظيمان ، وهما يحاربان في أراضيهما وضمن ديارهما ، بينما يحارب المسلمون في أصقاع بعيدة عن عاصمتهم ، وامداداتهم تمرات معدودات ، وعتادهم سيف أو رمح ليس غير .

ومن يدرس اليرموك ، أو القادسيّة ، أو نهاوند .. يجد خطّة عسكرية مدروسة روميّة أو فارسية .. مع قادة لهم خبرة سابقة ، وتجربة عريقة .

بينما كان أكثر القادة المسلمين من غير تجربة سابقة ، ينتقيهم عمر رضي الله عنه بحاسّة غريبة ، فيعهد إلى رجل مغمور بجيش سيخوض معركة حاسمة ، وتصح فراسة عمر ، فيكسب هذا القائد النصر بأقل خسائر ، وأكبر مثال على ذلك ، سعد بن أبي وقّاص قائد القادسيّة ، والنعمان بن مُقَرّن المزني قائد نهاوند .

٤ ـ لم يحارب المسلمون الرومَ ثم الفرس .. بل فتحو جبهتين في آن واحد ، حاربوا في اليرموك والقادسية ، ثم في نهاوند ومصر في آن واحد ، في ما وراء النهر والسند وإسبانية وفرنسة في آن واحد .

لقد حاربوا دولتين كل واحدة منها أغنى منهم بالرجال والمال والخبرة السّابقة ، وهنا تكمن عظمة الفتوحات الإسلاميّة وروعتها وتفرُّدها ، حيث تتجلّى قوة الإيمان ، فلم يخض المسلمون معركة واحدة كان عددهم وعتادهم فيها أكثر من عدوِّهم ، والعكس صحيح .

٥ ـ ونقول : إن الروم والفرس قد اكتسبوا فنوناً عديدة ، وخبرة كبيرة ، ومراساً طويلاً عبر حروبها ، فعندما خرج المسلمون فاتحين من جزيرتهم ، كان الروم يستصغرون شأنهم ، وكان الفرس يحتقرون قدراتهم .

٦ ـ النصر العسكري ، ليس له قيمة تذكر أمام انتصار العقيدة ، لقد استمرت حروب الفرس والروم فيما بينها أربعمئة سنة ، دون حسم ، لأن حروبها لأطماع

ودنيا ، لا لعقيدة ، ولما جاءت عقيدة الإسلام فلّت كلّ سلاح ، وتهاوت أمامها جيوش الفرس والروم .

لقد تبع النصرَ العسكريَّ ، نصرٌ في مجال العقيدة ، واعتناقُ أبناء الفرس وأبناء الروم الذين حرَّر المسلمون أرضهم من حكّامها ، عقيدة الفاتحين باختيار ودون إكراه ، وهنا تكمن عظمة الفاتحين المسلمين ، إنَّهم نقلوا الفرس والروم إلى الإسلام ، فكان النصر الحقيقي ، انتصار العقيدة ، لا انتصار قوة الجسد وعضلاته .

٧ ـ حارب المسلمون البربر وهم أبناء شِدَّة ، وبيئة قاسية ، وانتصروا عليهم عسكرياً ، ونقلوهم إلى الإسلام ، فقاموا معهم ليبلغوا العالم الرسالة الإسلاميَّة ، كما حارب المسلمون الترك في أواسط آسية ، وتمّ النصر للمسلمين عليهم ، وهم أبناء صحراء ، وأبناء بيئة قاسية صقلتهم ، وجعلت منهم مقاتلين أشداء .

وهكذا .. فتاريخ الإسلام تاريخ متميِّز ، تاريخ لا يماثله تاريخ ، مهما تكلَّم بحقِّه حاقدون يريدون غمطه ، أو تنقيصه ، إنه تاريخ متميِّز بأحداثه وفتوحاته وعقيدته ، لا يماثله في ذلك تاريخ آخر .

☆ ☆ ☆

٩ ـ « كلا ! لم تكن هذه الحملات نتيجة خطة رسمها أولياء الأمر من قبل ، بل بدأت الحملات كغزوات يقصد بها الوصول إلى منافذ جديدة لروح القبائل الثائرة ، بعد أن حيل بينها وبين الحرب والخصومات ضمن ذلك النطاق الأخوي الذي حدَّده الإسلام ، وكان الغرض منها في أكثر الأحوال الغنيمة لا الاحتلال أو الاستعمار ، إلا أن هذه الأداة الحربيَّة التي توسّل بها الإسلام في بدء أمره ، لم تلبث أن عظم شأنها ، فأفلتت من يد الذين استخدموها ، وتواترت الانتصارات ، فإذا المحاربون يزدادون دربة وتوغّلاً ، وهنا بدأت الفتوحات المنظَّمة ، ولم يبق بد من

نشوء الامبراطوريَّة العربيّة ، فالفكرة الأُولى في خلق هذه الامبراطوريَّة لم ترجع إلى سابق عزم أو تدبير ، بل إلى مجرى الحوادث وسير الأمور » ، ص : ١٩٧ .

وصواب ما سبق :

١ ـ بل كانت الحملات نتيجة خطّة رسمها أولياء الأمر من قبل ، من أيام رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين : قال ﷺ : « إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم فيكم صهراً وذمة »(١) . أثناء حفر الخندق قبيل غزوة الأحزاب ، أخبر النبي ﷺ صحابته بفتح الحيرة ، وقصور كسرى ، وفتح القصور الحمر في الشام(٢) ، « أبشروا بعون الله ونصره ، إنّي لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق ، وآخذ المفتاح ، وليهلكنّ كسرى وقيصر ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لَتُنْفَقَنّ كنوزهما في سبيل الله » ، حتى إنَّه ﷺ تنبّأ بفتح القسطنطينية « ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش جيشها » ، وقال : « يدفن رجل صالح تحت سور القسطنطينية » ، فكان ذلك الرجل الصالح : « أبو أيوب الأنصاري » .

وفي حروب الردّة ، يلمس المؤرخ دون عناء ، إحكام التعاون بين الجيوش التي سيّرها الصّدّيق ، وعددها أحد عشر جيشاً ، فعلى الرغم من تباعد المكان ، واتساع الشقّة ، عملت كجهاز واحد ، قد تلتقي ، أو يلتقي بعضها ببعض لتفترق ، ثم تفترق لتلتقي ، وهي كلها بإمرة أبي بكر رضي الله عنه ، الذي اتخذ المدينة المنوّرة « غرفة عمليات » يدير منها حركة الجيوش ضد المرتدين ، فتمكّن بقلّة من حيث العدد إذا قورنت بجموع المرتدين أن يحقّق أروع الانتصارات ، فتجلّت جدارة الصّدّيق وشخصيته العسكرية ، ومقدرته الاستراتيجيّة .

---

(١) الطبري : ٢٢٨/٤ .

(٢) السّيرة النبويّة لابن كثير : ٢١٠/٣ ، الطبري : ٥٦٩/٢ .

وبعد انتهاء « الرِّدَّة » وجَّه أبو بكر خالد بن الوليد ومن معه إلى العراق ، ثم أمره أن يتوجَّه رفداً إلى اليرموك .

وأيام عمر رضي الله عنه وجَّه القعقاع بن عمرو إلى القادسية بعد اليرموك ، وتخيَّر النعمان بن مُقَرِّن المزني لمعركة نهاوند وفتح فارس وخراسان ..

فهل كل هذا ـ وغيره كثير جداً ـ لم يكن خطة رسمها أولياء الأمر من قبل ؟ ولم ترجع إلى سابق عزم أو تدبير ، بل إلى مجرى الحوادث وسير الأُمور ؟.

٢ ـ « وكان الغرض منها في أكثر الأحوال الغنيمة لا الاحتلال والاستعمار » .

وقال حتّي أيضاً بحق فتوحاتنا العربيّة الإسلاميّة : « فليست الأثرة الدينيّة والتعصُّب ما حدا بالعرب إلى تدويخ الدول وفتح الأمصار ، إنما هي الحاجة الماديّة التي دفعت بمعاشر البدو ، وأكثر جيوش الفتح منهم ، إلى ما وراء تخوم البادية القفراء ، إلى مواطن الخصب في بلدان الشمال ، ولئن كانت الآخرة أو شوق البعض إلى بلوغ جنَّة النعيم قد حبَّبَ لهم حومة الوغى ، فإن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التي ازدهر بها الهلال الخصيب ، كان الدافع الذي حبَّبَ لهم القتال » ، ثم ذكر قول رستم إلى المغيرة بن شعبة : « قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلاَّ ضيق المعاش ، وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ، ونصرفكم ببعض ما تحبُّون » ، ص : ١٩٥ و ١٩٦ .

وقال : وفي حماسة أبي تمام بيت فيه هذا الرأي :

فما جنَّة الفردوس هاجرت تبتغي   ولكن دعاكَ الخبز أحسب والتمر

وقال في الصفحة ٢١٤ : « إن هذا التوسُّع العربي المنقطع النظير ، والذي كان في الظاهر دينياً ، وفي الواقع هو سياسي واقتصادي ، وقد بلغ من النمو بحيث أصبح امبراطورية مترامية الأطراف كامبراطورية الاسكندر » .

وينقض أقوال حتّي السابقة ، قوله في الصفحة ٢٢٥ : « وبُعث المسلمون جنوباً إلى

بلاد النوبة ليطأوها[1] ، وهي تحاكي جزيرة العرب في مراعيها ، بل هي أكثر ملائمة[2] من وادي النيل لطبيعة الحياة البدويّة » ، فأين مواطن الخصب التي ادّعى ؟!

ومع ذلك نقول :

ـ أرسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأُمراء رسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام على أن يبقى لهم ملكهم وما بين أيديهم ، فأين الطمع الاقتصادي ؟

ـ وكان المسلمون يخيّرون قبيل كل معركة بين ثلاث : الإسلام ، وبهذه الحالة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » أو الجزية مقابل حمايتهم ، وهي مبلغ بسيط على كُلِّ ذَكَرٍ قادر على حمل السلاح مقابل اعفائه من الخدمة العسكرية ، ويعفى منها الطفل والمرأة والشيخ ومن لا معاش له .

دفع أهل الحيرة الجزية ، فجاء في نص المعاهدة : « فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا » .

ـ لم يكن المسلمون الذين خرجوا إلى الفتوحات أكثر من مئة ألف ، فكان يكفيهم سواد العراق وحده ، أو فلسطين وحدها ، أو الشام وحدها ، أو دلتا مصر وحدها ، ويصبحون أهل رغد وثروة ، فيمكثون لينعموا بما فتحوا ، لكنهم انطلقوا لتبليغ الرسالة من الصين إلى فرنسة .

ـ حفر ثابت بن قيس يوم اليمامة لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقَيْه ، وهو حامل لواء الأنصار ، بعدما تحنَّط وتكفَّن ، فلم يزل ثابتاً حتى استشهد رضي الله عنه .

وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً .

---

(١) هكذا وردت ، والأصوب : ليطؤوها .

(٢) هكذا وردت ، وصوابها : ملاءمة .

وقال زيد بن الخطاب يوم اليمامة أيضاً : أيها الناس ، عضّوا على أضراسكم ، واضربوا في عدوّكم ، وامضوا قُدُماً ، وقال : والله لا أتكلّم حتى يهزمهم الله ، أو ألقى الله فأُكلّمه بحجتي ، فقتل شهيداً رضي الله عنه .

وأبو عقيل ، عبد الرحمن بن عبد الله البلوي الأنصاري الأوسي ، كان من أوّل من جرح يوم اليمامة ، رُمِيَ بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده ، فجرح في غير مقتل ، فأُخرج السّهم ، ووهن شِقُّه الأيسر ، فأخذ إلى معسكر المسلمين ، فلما حمي القتال ، وتراجع المسلمون إلى رحالهم ومعسكرهم ، وأبو عقيل واهن من جرحه ، سمع معن بن عدي يصيح : يا للأنصار ، الله الله والكَرَّة على عدوّكم ، وتقدّم معنُ القومَ ، ونهض أبو عقيل يريد قومه ، فقال له بعض المسلمين : يا أبا عقيل ، ما فيك قتال ، قال : قد نوّه المنادي باسمي ، فقيل له : إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى ، فقال أبو عقيل : فأنا من الأنصار ، وأنا أُجيب ولو حَبْواً ، فتحزّم أبو عقيل ، وأخذ السيّف بيده اليمنى مجرّداً ،ثم جعل ينادي : يا للأنصار ، كَرَّة كيوم حُنَين ، فاجتمعوا جميعاً ، وتقدموا بروح معنويَّة عالية يطلبون الشهادة أو النصر ، حتى أقحموا عدوّهم الحديقة ، وفي هذا الهجوم قُطِعَت يد أبي عقيل من المنكب ، ووُجِدَ به أربعة عشر جُرحاً كلها قد خَلُصَت إلى مقتل ، ومرَّ ابن عمر بأبي عقيل وهو صريع بآخر رمق ، فقال : يا أبا عقيل ، فقال : لبيك ، بلسان ثقيل ، ثم قال : لمن الدَّبْرَة : فقال ابن عمر : أبشر ، قد قُتِلَ عدوُّ الله ، فرفع أبو عقيل اصبعه إلى السّماء بحمد الله .

في اليرموك ، كم منادٍ صاح يقول : « من يبايع على الموت ؟ » ، لا على الغنيمة .

ومات أعظم قائد في تاريخ الإسلام ، خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهو لا يملك من حطام الدنيا غير فرسه وغلامه وحسامه ، فأين الغنائم ؟

وقبيل معركة نهاوند ، قال قائد الجيش المسلم النعمان بن مُقَرّن المزني : « اللهم اعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أوّل شهيد اليوم ، اللّهم إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، أمّنوا يرحمكم الله » ، وأكرم اللهُ النعمانَ بالشهادة ، فأين الغنائم ؟

هدف المسلم في معاركه : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[1] » ، أما الذين يرون أنّ الفتوحات الإسلامية كانت لغنيمة ، لا يفهمون هذا المستوى الرفيع المشرق ، لأنهم ما ارتقوا إليه ، وهم فقراء في المُثُل وهذا الفقر هو شرُّ أنواع الفقر ، والذي يصاب به « لا يستطيع اطلاقاً أن يرتفع إلى الأُفق السّامق البعيد ، فضلاً على الجهل الفاضح بأوّليّات الشريعة الإسلامية[2] » ، فهذه التهمة تبعد الإسلام عن طابع الهداية ، وتقطعه عن الصوت الإلهي وتجعله صوتاً أرضياً بشرياً .

ولما أورد حتّي قول رستم إلى المغيرة بن شعبة : « قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه ، إلاّ ضيق المعاش ، وشدّة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ، ونصرفكم ببعض ما تحبُّون » ، لم يورد ـ لأمر في نفسه ـ جواب المغيرة لرستم ، لقد سَخِر المغيرة من قول رستم وقال : لا مناص من واحدة من ثلاث : الإسلام أو الجزية أو القتال . فلو أراد الفاتحون مالاً ، وما أرادوا نشر عقيدة ، لرضوا بالمال دون عناء ، ولحفظوا أرواحهم ، وعادوا بأموال تكفيهم بلا تعب ولا إرهاق ولا أرامل ..

وقال رستم لزُهرة بن الحوية أيضاً : انصرف وقومك ولكم منا جُعْلاً » ، فأجاب زهرة : إنا لم نأتكم بطلب الدنيا ، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة .

فكيف يورد حتّي كلاماً ونصاً ، ولا يورد جوابه ، أو تتمته ؟!

(١) سنن الترمذي : ٦ / ٢٣ ، فتح الباري : ٦ / ٣٦٨ .

(٢) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص : ٦٠ .

٣ ـ أما ما أورده حتّي من حماسة أبي تمام :

فما جنّة الفردوس هاجرتَ تبتغي ولكن دعـاكَ الخبزُ أحسب والتمر

فهو بيت هجاء لمن لم يكن همّه نشر الإسلام في جهاده ، إنـه بيت هجـاء لمن هو على نهج حتّي ، لمن أراد مواطن الخصب في بلدان الشام . وأشعـار المجاهـدين الصّادقين ، قول عبـد الله بن رواحـة عنـدمـا خرج إلى مؤتـة ، وقـال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم وردّكم إلينا صالحين ، قال :

لكنّني أســـألُ الرحمنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَـدا[1]
أَوْ طعنـةً بِيَـدَي حَرّان مُجْهِـزَةً[2] بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَـاءَ[3] وَالكَبِـدا
حَتّى يُقَـالَ إذا مَرّوا على جَـدَثي أَرشدكَ اللهُ مِنْ غازٍ وَقَدْ رَشَـدا[4]

وجعفر بن أبي طالب بعد أن نزل عن فَرَسٍ له شقراء ثم عقرهـا[5] ، ثم قـاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يـا حبَّـذا الجنَّـة واقترابهـا طيِّبـةٌ وبـاردٌ شَرَابُهـا
والرومُ رومٌ قـد دَنَـا عَـذابُها كافِرَةٌ بعيـدةٌ أنسـابُهَـا
عَلَيَّ إنْ لاقَيْتُها ضِرابُها

---

(١) ذات فَرْغ : يعني ذات سعة ، والزَّبدا هنا : رغوة الدم ، وفي الاكتفاء : ٢ / ١٣٥ ب : وضربةً ذاتَ فَرْع .

(٢) حران : الشديد ، ومجهزة : سريعة القتل .

(٣) تنفذ الأحشاء : تخترقها .

(٤) الكامل في التـاريخ : ٢ / ١٥٨ ، الطبري : ٣ / ٣٧ ، ابن هشـام : ٤ / ٨ ، عيون الأثر : ٢ / ١٥٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢ / ١٢٨ .

(٥) عقر الفَرَسَ والبعير بـالسيف عَقْراً : قطـع قـوائمـه ، أو نحره ، « اللسـان : ٤ / ٥٩٢ » وقـال السُّهيلي في الروض الأُنف : ولم يعب ذلـك عليـه أحـد ، فـدل على جـواز ذلـك إذا خيفَ أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين ، وعقر جعفر لفرسه دليل شجاعتـه ، لقـد أراد أن يثبت لنفسه ألاّ عودة إلى أهله عليها ، فالشهادة هدفه ، وهي محقّقة .

واستمر رضي الله عنه في الحرب ويداه مقطوعتان ، ولما قتل وُجِدَ به بضع وسبعون جراحة ، ما بين ضربة سيف ، وطعنة برمح ، كلها فيما أقبل من بدنه[1] .

وقول عُمير بن الحُمام وقد قذف تمرات كُنَّ بيده ، وأخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتِل وهو ينشد :

رَكْضـاً إلى اللهِ بغيرِ زادِ   إلاَّ التُّقى وعمـلِ المعـادِ
والصبر في الله على الجهـادِ   وكلُّ زادٍ عُرضـةُ النفـادِ
غَير التقى والبر والرشاد

فلماذا أورد حتّى بيتاً من الشعر ، هو هجاء وشتم وعار لمن قيل بحقّه ، ولم يورد أمثلة مما أوردنا ، وكم نسبة من خرج للغنيمة ، لمن خرج يقاتل في سبيل الله ؟

☆ ☆ ☆

١٠ ـ « وإذا كانت الأُمم المغلوبة قبلت الإسلام بعدئذ ، فلأنّها أرادت الخلاص من الجزية ، وتاقت لمشاركة الطبقة الحاكمة في ولاية الأمور » ، صفحة : ١٩٧ .

وصوابه : يدفع أهل الكتاب[2] مبلغاً مقابل انتفاعهم بالمرافق العامّة ، التي يدفع المسلمون قسطها الأكبر . ومقابل دفع الجزية لا يكلّف القادرون من أهل الكتاب أن يحملوا السّلاح ويدافعوا عن البلاد ، وفي بعض الأحوال التي يقوم بها

---

(١) ابن هشام : ٤ / ١٢ ، عيون الأثر : ٢ /١٥٤ ، السّيرة الحلبيّة : ٣ /٧٨ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : ٣ / ٤٦١ ، الكامل في التاريخ : ٢/ ١٥٩ ، الطبري : ٣/ ٣٩ ، الاكتفاء : ١/١٣٦أ .

(٢) يدفع الجزية من أهل الكتاب كل ذَكَرٍ قادر على حمل السّلاح ، مقابل اعفائه من الخدمة العسكريّة ، ويعفى منها الطفل والمرأة والشيخ ، ومن لا معاش له .

أهل الكتاب بالدفاع عن النفس ، تسقط عنهم الجزية ، والتاريخ يذكر أن المسلمين عندما اضطروا للانسحاب إلى اليرموك ، أعادوا إلى أهل حمص ما أخذوه منهم ، وأهل الحيرة عندما دفعوا الجزية كُتب في معاهدتهم : « فإنْ منعناكم فلنا الجزية وإلاّ فلا » ، فقبول الجزية تثبت معه عصمة الأنفس والأموال .

أما الخلاص من الجزية ، فيجب أن نعلم أولاً مقدارها ، فهي على الأغنياء ٤٨ درهماً في العام - حوالي جنيهين - وعلى المتوسّط ٢٤ درهماً ، وعلى العمال والصنّاع ١٢ درهماً ، فهي إذن مقدار ضئيل يسير من المال يُدْفَع في كل عام مرّة واحدة .

وفي كتاب الخَرَاج ص ٣٦ : « ويُعَيَّن مقدار الجزية اعتباراً لحالتهم الاقتصاديّة ، فيؤخذ من الموسرين أكثر ، ومن الوسط أقل منه ، ومن الفقراء شيء قليل جداً ، والذين لا معاش لهم ، أو هم عالة على غيرهم يعفون من أداء الجزية » ، بل ولا يعفى من الجزية فحسب ، بل يجري له عطاء من بيت المال .

فأيّة مشكلة اسمها « جزية » للخلاص منها ؟ ومن يقبل الإسلام تجري عليه أحكامه ، فإن كان فقيراً فلا جزية عليه أصلاً ، أمّا إن كان غنياً أراد الخلاص من الجزية ، فسيدفع أضعافها لزكاة ماله .

لقد أراد حتّي أن يجد سبباً لقناعة أهل البلاد التي فُتِحَت بالإسلام ، واعتناقها دون إكراه أو ضغط أو سيف ، فوجد نفسه - لبعده عن الحقيقة - قبالة « الجزية » ، فجاءت فكرته مضحكة باطلة .

أما جملة « تاقت لمشاركة الطبقة الحاكمة في ولاية الأُمور » ، جملة صحيحة لو سُدَّت المشاركة في وجههم في وقت من الأوقات !!

☆ ☆ ☆

١١ ـ « إن عصابة من العرب قد هاجمتهم ـ هاجمت الروم ـ فردُّوها على أعقابها بجهد يسير ، وقد جرت هذه الواقعة في مؤتة » ، « أما الباعث الجوهري ـ لغزوة مؤتة ـ[١] فهو رغبة محمد في الحصول على السيوف المشرفيَّة التي كانت تصنع في مؤتة ونواحيها ، ليسلِّح بها رجاله يوم الهجوم العتيد على مكَّة ، وكان من الطبيعي أن تفسّر هذه الواقعة على أنَّها غزوة عادية من هذه الغزوات التي يَدْهَمُ بها البدو أبناء الحضارة أبد الدهر » ، صفحة : ١٩٩ .

وصواب الفقرة السَّابقة : لا يجرؤ العرب على مهاجمة الروم أولاً ، فهم أسيادهم في الشام قبل الفتح العربي الإسلامي ، بل : تجرّأ المسلمون ، وليسوا عصابة ، تجرَّأ جند الله الأشاوس ، طلبوا الشهادة ونالها قسم منهم ، « ياقوم ، والله إن التي تكرهون للّتي خرجتم تطلبون الشَّهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنَّما هي إحدى الحُسْنَيَيْن ، إما ظهورٌ وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس »[٢] .

أما الباعث الجوهري ، فلا يقرّره حتّي وقد نطقت به كتبنا بجلاء ، لقد أرسل رسولُ الله ﷺ الحارثَ بن عمير الأزدي أحد بني لِهْب ، إلى ملك بُصْرى[٣] بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شُرَحبيل بن عمرو الغسَّاني ، وهو من أُمراء قيصر على الشام ، فقال : أين تريد ؟ لعلك من رُسُلِ محمد ؟ قال الحارث : نعم ، فأوثقه ربطاً ، ثم قدّم شرحبيلُ الحارثَ فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ

---

(١) مؤتة : في الأردن ، جنوبي شرق البحر الميت ، جنوب الكرك ، شمال الطفيلة . وكانت الغزوة في : ٨ هـ / ٦٢٩ م .

(٢) ابن هشام : ٩/٤ ، ابن خلدون : ٤١/٢ ، ابن سعد : ١٢٩/٢ ، الاكتفاء : ١٣٥/١ ب ، السِّيرة الحلبيَّة : ٧٧/٢ ، عيون الأثر : ١٥٤/٢ ، الطبري : ٣٧/٣ ..

(٣) بُصْرى : بلدة بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حَوْران ، معجم البلدان : ٤٤١/١

رسولٌ غيره(١) ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك اشتد الأمر عليه ، فجهّز جيشاً ليُسيِّره إلى مؤتة ، وهدفه تأديب عامل هرقل على بُصرى ، فمقتل الحارث يمثّل خَرْقاً لقاعدة أساسية في العرف الدولي ، ومقتل رسول رسول الله تَحَدٍّ صريح ، واعتداء مباشر على الإسلام وأهله ، وهذا الاعتداء الصريح يقلّل هيبة الإسلام في نفوس الأعراب ، فإرسال سريّة مؤتة يحفظ للإسلام هيبته في نفوس الأعراب .

هذه هي الأسباب ، لا تخمينات حتّي ، فجند رسول الله فاض السّلاح في أيديهم بعد غزوة بني قريظة : « بعث ﷺ سعيدَ بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع خيلاً وسلاحاً » ، ودليل عدم حاجة رسول الله ﷺ للسيوف من مؤتة ، وهو ﷺ باعتراف حتّي لم يحصل عليها منها ، أنّه لما مرّت كتائب القبائل المسلمة في طريقها إلى مكة أمام أبي سفيان قال لما رأى سلاحها : ومن له بهؤلاء طاقة ؟

ورسول الله ﷺ عندما فتح مكّة ، وقد مكّنه الله ممن عذّب المسلمين الأوّلين ، وأخرجه من أرضه .. لم يقم بهجوم عتيد ، لم يذبح الناس ، بل : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

أما عبارة : « غزوة عاديّة من هذه الغزوات التي يَدْهَمُ بها البدو أبناء الحضارة أبد الدهر » ، فهي عبارة حاقد أهّله حقده لطباعة خمسين ألف نسخة من كتابه ، ومِن قِبَل مَن ؟ مِن قِبَل الجيش الأمريكي !! فأهل مكة والمدينة ، أي « المهاجرون والأنصار » ، ليسوا من أهل البدو ، إنّهم أبناء دين جديد اسمه الإسلام ، وحضارة جديدة اسمها الحضارة العربيّة الإسلاميّة .

☆ ☆ ☆

---

(١) أسد الغابة : ٤٠٨/١ ، الإصابة : ٢٨٦/١ ، الاستيعاب : ٣٠٤/١ ، عيون الأثر : ١٥٣/٢ ، ابن سعد : ١٢٨/٢ ، السّيرة الحلبيّة : ٧٧/٣

١٢ - « ووضعت حروب الرِّدَّة أوزارها ، فجهَّز المسلمون في خريف سنة ٦٣٣ ثلاث سرايا في كل منها ثلاثة آلاف مقاتل يرأس الأولى عمرو بن العاص ، والثانية يزيد بن أبي سفيان ، والثالثة شرحبيل بن حَسَنَة وسيروها إلى الشمال » ، صفحة : ٢٠٠ .

وصوابه : وجَّه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أربعة جيوش : عمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، وشرحبيل بن حَسَنة ووجهته الأردن ، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق ، وأبو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص .

☆ ☆ ☆

١٣ - « وكانت غزوة العراق قد جاءت في مستهل الفتوحات الإسلاميَّة فلم تهرق فيها كثير من الدماء ، وليس غريباً أن يكون خالد قد قام بهذه الغزوة مستقلاً ، حيث إن أصحاب الأمر في المدينة والحجاز ، كانوا يحصرون أكثر اهتمامهم في بلاد الشام المجاورة دون سواها » ، صفحة : ٢٠١ .

وصوابه : كان فتح العراق خطَّة مقرَّرة من (أصحاب الأمر في المدينة والحجاز) ، فبعد انتهاء حروب الرِّدَّة ، كتب الصِّدِّيق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد الذي كان ما زال في اليمامة : سِرْ إلى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بمنطقة الأُبُلَّة(١) ، وقاتل أهل فارس ، ومن كان في ملكهم من الأُمم ، وليكن هدفك الحيرة(٢) .

☆ ☆ ☆

١٤ - « وظهر خالد بجوار دمشق مفاجئاً مؤخرة جيش الروم مفاجأة مسرحيَّة بعد رحلة دامت ثمانية عشر يوماً ، وهنا بدأت حملاتُهُ التي ظفر فيها بالغنائم » ، صفحة : ٢٠٢ .

---

(١) الأُبُلَّة : على شاطئ شط العرب الشرقي .

(٢) الطبري : ٣٤٣/٣ ، والحيرة : كانت عاصمة اللخميين « المناذرة » في العراق غرب نهر الفرات .

هذا كل مارآه حتّي من نجدة خالد رضي الله عنه لجيوش المسلمين في الشام ، معجزة عبوره بادية الشام « مسرحية » ، لتبدأ حملاته التي ظفر فيها « بالغنائم » ، ونسأل : ماذا خلّف خالد رضي الله عنه عند موته من حطام الدنيا ؟ فرسه ، غلامه ، سيفه ، أين غنائمه ؟! وليت حتّي نقل ما كتبه بعض المنصفين من الأجانب عن تلك العمليّة العسكريّة الجبارة التي قام بها خالد !.

☆ ☆ ☆

١٥ ـ « فتح دمشق وتسليمها : إثر خيانة قام بها بعض أرباب السُّلطة المدنيَّة والروحيَّة ، ومنهم الأُسقف جد القديس يوحنا » ، صفحة : ٢٠٣ ، وفي الصفحة : ٢٠٥ : « فتح قيسارية : بفضل خيانة يهودي من أهلها » .

لقد كان المسلمون أعجز من فتح دمشق لولا خيانة بعض أرباب السلطة المدنيّة والروحيّة ، وأعجز من فتح قيسارية لولا خيانة يهودي من أهلها !! ولا ندري الخيانات الأُخرى التي تمّ بموجبها فتح مئات المدن المتناثرة ، ما بين وادي السند شرقاً ، وقلب فرنسة غرباً !!

☆ ☆ ☆

١٦ ـ « أمّر الخليفة عمر سعد بن أبي وقّاص ، أحد الصحابة العشرة الذين بشّرهم محمد بالجنّة على أثر وقعة بدر ، على جيش أرسله لإمداد المسلمين في العراق » ، صفحة : ٢٠٩ .

وقعة بدر ، أي غزوة بدر ، اشترك بها ٣١٣ من المسلمين المجاهدين ، والذين بُشّروا بالجنّة عشرة ، قال ﷺ : « أبو بكر في الجنّة ، وعمر في الجنّة ، وعثمان في الجنّة ، وعليٌّ في الجنّة ، وطلحة في الجنّة ، والزُّبير في الجنّة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنّة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنّة ، وسعيد بن زيد في الجنّة ، وأبو

عبيدة بن الجرّاح في الجنّة » ، (أُسد الغابة : ٣٨٨/٢)[1] .

فلا علاقة بين بدر وتبشير هؤلاء رضي الله عنهم بالجنة .

☆ ☆ ☆

١٧ ـ بعد القادسيّة : « وانفتحت أمام الغزاة سهول العراق » ، صفحة : ٢٠٩ و ٢١٠ .

وهي عبارة مقصودة ، كُرِّرت في الصفحة ذاتها أيضاً ، ولا يستوعب حتّي رسالة المسلمين التي خرجوا من أجلها ، وكيف يستوعبها ، وهو يراهم أصحاب غنائم في مواطن الخصب في الشمال ؟! هؤلاء فاتحون محرِّرون ، وإلاّ ما الفرق بينهم وبين الاسكندر ، أو الغزو الصليبي ، أو الاستعمار الحديث ؟

ومن السخرية في هذه الصفحة أيضاً : « مضى سعد ومن معه إلى المدائن عاصمة الفرس ، فانتهوا إلى دجلة وهو طافح بالماء من سيول الربيع ، وإذا الفرس قد رفعوا المعابر والسُّفن ، فلم يجد الغزاة سبيلاً إلى العبور ، ولم يثبِّط الأمر عزيمة سعد ، فما زال حتى عبر دجلة ونزل الضفة الشرقيّة ، ولم يفقد شيئاً ، ولم يغرق من جمعه أحد ، فقالت الفرس : والله ما تقاتلون إلاّ جِنّاً ، وحسب إخباريو الإسلام ذلك العبور معجزة » .

وهذا الخبر الذي شوَّهه حتّي ، مع سخريته منه ، حقيقته ما يلي : لما أراد المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص ، عبور دجلة إلى المدائن ، تعذّر حصولهم على السفن ، وكانت دجلة قد زادت زيادة عظيمة واسودّ ماؤها ، ورَمَت بالزبد من كثرة الماء بها ، فندب سعد المسلمين وعزم على عبور النهر على ظهور الجياد ، فأجابوه جميعاً : عَزَمَ اللهُ لنا ولك وعلى الرُّشْدِ فافعل ، فانتدب ستمئة فارس وأقرَّ عليهم عاصم بن عمر ، فوقفوا على حافة النهر ، ثم كانت الطليعة الأُولى ستين

---

(١) والحديث في المسند : ١٩٣/١

فارساً ، ابتدأ العبور بتلاوة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَموتَ إلاَّ بِإذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلا ﴾ ، [آل عمران ١٤٥/٣] . ثم لحق بقيَّة الستمئة ، وتبعهم سعد بباقي الجند موجِّهاً لهم أن يقولوا عند دخول الماء : « نستعينُ بالله ونتوكَّل عليه ، حسبُنَا اللهُ ونعم الوكيل ، ولا قوَّة إلاّ بالله العلي العظيم » ، ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناسُ لم يتخلف منهم أحدٌ ، فساروا في النهر كأنّما يسيرون على وجه الأرض ، حتّى ملؤوا مابين الجانبين فلا يُرى وجهُ الماء من الفرسان والرَّجَّالة ، وكان المسلمون يتحدَّثون على وجه الماء كما يتحدَّثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده ، وعبروا النهر دون أن يفقدوا أحداً أو متاعاً ، غير قدح من خشب[1] .

وكان سعد حين العبور يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ، وَلَيُظْهِرَنَّ اللهُ دينه ، وليهزمنَّ اللهُ عدوّه ، إن لم يكن في الجيش بَغْي أو ذنوب تغلب الحسنات »[2] .

وكان الفُرْس يقفون في الجانب الآخر من النهر ، فلما رأى الفُرْس المسلمين يَطْفُون على وجه الماء قالوا متعجِّبين : ديوانا دِيوانا ، أي : مجانين . ثم قال الفرس : والله ماتقاتلون إنْساً بل تقاتلون جِنّاً .

إن قرأ حتّي وأمثاله عوناً من الله لجنده ، سخر وقال : « وحسب إخباريو الإسلام ذلك العبور معجزة » ، أما مانسمعه منهم بين آونة وأُخرى من ظهور قديس مات منذ مئات السنين يعالج المرضى ويشفي ويُنْذِر .. لاارتياب ولا سخرية ، وإن قالوا : ظهرت فتاة يتساقط الزيت من بين أصابعها تشفي وتعالج المعتوهين والمرضى ، فلا ارتياب ولا سخرية !!

☆ ☆ ☆

(١) ابن كثير « البداية والنهاية » : ٦٥/٧

(٢) الطبري : ١٢/٤

١٨ ـ « واحتفر عمرو القناة الفرعونيّة القديمة ، فسمّيت خليج أمير المؤمنين ، وهي تمر بعين شمس ، وتربط النيل شمالاً من بابليون[١] بالبحر الأحمر عند القُلْزُم[٢] ، وكان ذلك تسهيلاً لما أراده العرب من نقل المؤونة إلى الحرمين » ، صفحة : ٢٢١ .

حفر عمرو بن العاص القناة الفرعونيّة لا لتشجيع وازدهار التجارة كما كانت منذ أيام سيزوستريس وتراجان ، ولكن لنقل المؤونة إلى الحرمين !! وهذا حدث فعلاً عام الرمادة ، وهو ما يحدث في أية دولة ، فأمر طبيعي أن تُقَدَّم المعونة لمواطن الجفاف ، وموطن الجفاف في موسم سيقدّم المعونة لموطن آخر جف في مواسم قادمة ، والعالم اليوم ينقل خارج نطاق الدولة إلى دول داهمها الجفاف ، كما حدث في تشرين الثاني ١٩٨٤ عندما هبَّ العالم يقدّم لأثيوبيا وتشاد .. المعونة السخيَّة .

ولكن حتّى أراده تاريخاً مشوّهاً محقّراً ، ما فتح إلا للغنائم والمؤن والخيرات .

☆ ☆ ☆

١٩ ـ « وسنة ٦٥٢ بدَّد عبد الله عمارة بحريَّة قويَّة للروم في معركة جرت قبالة الاسكندرية » .

« وفي سنة ٦٥٥ التقى الأسطول السوري المصري الذي جرّده معاوية وعبد الله بأسطول بيزنطي مؤلّف من ٥٠٠ مركب ، فدارت الدائرة على الروم بالقرب من فينكس أمام شواطئ ليسيا ، وغُلبت الروم ، وقُهر الامبراطور قسطنطين الثاني الذي حضر المعركة بنفسه ، وفرَّ يطلب النجاة ، هذه معركة ذي الصواري التي حلَّ فيها القضاء المبرم على سيادة الروم البحريَّة » ، صفحة ٢٢٣ .

---

(١) أصلها « باب ليون » ، انظر الطبري : ٤٩٣/١ ، وفي معجم البلدان : ٣١١/١ : اسم لموضع الفسطاط خاصة .

(٢) القُلْزُم : السويس حالياً .

وصوابه : الكلام في الفقرتين ، كلام متناقض عن معركة واحدة هي « ذات الصواري » التي كانت بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح في ٣١ هـ / ٢٩ آب ٦٥٥ م ، أما أين وقعت هذه المعركة البحريّة الشهيرة - التي تاه بها حتّي - فقد جاء في « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٨٠/١ » : « غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الاسكندرية » ، وابن خلدون يذكر صراحة « المجلّد ٢ ، الجزء الأول ص : ١٣٠ » : « ثم بعث السّرايا ودوّخ في البلاد ، فأطاعوا وعاد إلى مصر ، ولما أصاب ابن أبي سرح افريقية ما أصاب ، ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازياً إلى الاسكندرية في ستمئة مركب » . كما ربطت المراجع العربيّة التي لم تحدّد موقع المعركة بين حدوث المعركة وبين ما خسره الروم في شمال افريقية بالذات .

☆ ☆ ☆

٢٠ - « لم تقم هذه الحملات البحريّة على تشجيع خلفاء المدينة أو تجنيدهم ، بل كانت على عكس ذلك تنظّم دون رضاهم ، هذا ما يؤخذ من مضمون بعض العبارات الخطيرة التي نجدها في المصادر » ، صفحة : ٢٢٤ ، « ولم يسمح عثمان لمعاوية بغزو قبرس مع أنّه أخبره بقربها وسهولة الأمر فيها إلاّ بعد أن أوصاه أن يركب البحر ومعه امرأته » ، صفحة : ٢٥٧ .

لما ولي معاوية بن أبي سفيان إمارة الشام ، ألحّ على عمر الفاروق في غزو البحر ، وذلك لقرب الروم من السواحل العربية ، ومما كتبه معاوية لعمر رضي الله عنه : « إن قرية من قرى حمص ليسمع بنباح كلابهم وصياح دجاجاتهم » ، ومعاوية يعني جزيرة أرواد ، احتار عمر رضي الله عنه ، وشُغِل قلبه ، أيسمح للناس بركوب البحر وما ركبوه من قبل مجاهدين فيه ؟

أمام هذه الحيرة ، كتب عمر إلى عمرو بن العاص واليه على مصر : « صف

لي البحر وراكبه ، فإن نفسي تنازعني عليه » ، فكتب عمرو إلى عمر : « إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس إلاّ السماء والماء ، إن ركد خَرَق القلوب ، وإن تحرَّك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين ـ بالنجاة ـ قلّة ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا برق[1] » .

قرأ عمر الفاروق كتاب عمرو بن العاص ، وأرسل قراره الذي اتخذه إلى واليه على الشام معاوية قائلاً : « والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ، لاأحمل فيه مسلماً أبداً .. وبالله لمسلم واحد أحب إليَّ مما حَوَت الروم » .

وهذه هي العبارات الخطيرة التي رآها حتّي في المصادر : « لاأحمل فيه مسلماً أبداً » .

ولكن لم يتساءل حتّي : لماذا وقف عمر هذا الموقف ؟ وهل يُعقل أن تُبنى دولة عالمية دون أسطول بحري ؟ عمر : العبقرية المتميِّزة في كل شيء ، هل يُعقل أنّه وقف موقفه هذا ، لمجرد وصول رسالة عمرو من مصر ؟!!

وقف عمر رضي الله عنه موقفه هذا لأسباب :

ـ خوفه على أرواح المسلمين ، حيث إنهم ماعهدوا ركوب البحر مقاتلين فيه ، وأسطولهم فتي حديث ، مازال يُبنى .

ـ غزا العلاء بن الحضرمي[2] ، الذي كان على البحرين من قبل عمر ، في البحر ، فأُصيب المسلمون على ساحل فارس ، فصار عمر لا يأذن لأحد في ركوب البحر غازياً مجاهداً .

ـ أرسل عمر رضي الله عنه علقمة بن مجزز المدلجي في البحر الأحمر في نفر من

---

(١) تاريخ الخلفاء : ١٥٥

(٢) أسد الغابة : ٧٤/٣ ، الكامل في التاريخ : ٢٤٩/٢ و ٢٥٢

المسلمين ليردَّ غزوة حبشيّة جاءت من شواطئ البحر الأحمر الغربيّة ، فأُصيب القوم ، فجعل عمر على نفسه وعداً ، ألاّ يحمل في البحر أحداً للغزو .

ـ لم يُبْنَ بعد ويكتمل أُسطول الدولة العربيّة الإسلاميّة ، وغزو البحر يحتاج إلى استعدادات لتأمين أسطول قوي متين ، خاصة وأن أسطول الروم له ماضٍ عريق ، وسفنه تجوب شواطئ المتوسط .

هذه الأسباب مجتمعة كانت غير مشجعة ، ولكن عمر رضي الله عنه ما عارض في بناء أسطول حربي في عكا ومصر . فعبارات عمر إذن قالها ريثما يتم تحقيق الاستعدادات الكافية لركوب البحر ومجابهة أسطول الروم . لقد أحبَّ رضي الله عنه الحكمة والتريُّث ، ليتحقّق النصر بأقلّ خسائر ممكنة ، فلا يُعقل أن تبنى دولة الإسلام دون أُسطول بحري ، وعشرات الآيات الكريمة في القرآن الكريم ، تذكر السُّفن والمنشآت الجواري في البحر كالأعلام .

ولما ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة ، كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر ، ولجَّ معاوية لاستكمال الاستعدادات ، ووافق عثمان على طلبه ، ولكنه اشترط عليه شروطاً ، فكتب إليه : « لا تنتخب الناس ولا تُقْرِع بينهم ، خَيِّرهم ، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه » .

وفعلاً .. استطاع هذا الأسطول فتح قبرص ، وهزيمة أُسطول الروم في ذات الصواري .

☆ ☆ ☆

٢١ ـ وقال عن أبي بكر رضي الله عنه : « لم يتقاضَ راتباً ما لأن دولة الإسلام كانت آنئذ بلا دخل » ، صفحة : ٢٣٣ .

خطآن اثنان : بل تقاضى راتباً ، وكان آنئذ لدولة الإسلام دخل وبيت مال ، لقد كان لها مصادر دخل منذ تأسيسها في المدينة المنوّرة ، فأين ذهب

دخلها ؟ وأين قول الصّدّيق رضي الله عنه : « والله لو منعوني عَنَاقاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لأُقاتلنَّهم على منعها ، إن الزكاة حقّ المال ، والله لأُقاتلنّ مَنْ فرّق بين الصلاة والزكاة » ؟

وجعل حتّي حكمه مستنداً إلى ثلاثة مصادر هي : ابن سعد ، وأسد الغابة ، وابن الأثير . وعدنا إلى هذه المصادر فوجدنا أن ابن سعد ١٨٤/٣ يقول : « لما استُخْلِفَ أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتّجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجرّاح ، فقالا له : أين تريد ياخليفة رسول الله ؟ قال : السُّوق ، قالا : تصنع ماذا وقد ولّيت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعمُ عيالي ؟ قالا له : انطلق حتى نفرض لك شيئاً ، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة ، وكسوة سنويّة مناسبة » .

وفي رواية : جعلوا له ألفين : « ابن سعد : ١٨٥/٣ » .

وفي ابن الأثير « الكامل في التاريخ : ٤٩١/٢ » وما يثبت أنه أخذ حاجته وكفاف عياله ، ومع ذلك : « أمر أبو بكر أن يُرَدَّ جميعُ ماأُخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته » .

أما مرجع حتّي الثالث « أُسد الغابة ٣٠٩/٣ » لم نجد به شيئاً حول هذا الموضوع ، لدقّة مراجعه ، وأمانة نقله ، وسلامة استنتاجاته !!

☆ ☆ ☆

٢٢ - يوم الجمل : « صُرِع في هذا اليوم منافِسَا عليّ على الخلافة طلحة والزبير » صفحة : ٢٣٩ .

وصوابه : طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي ، طلحة الفيّاض قتل يوم الجمل ، رجع عن قتال علي رضي الله عنه ، واعتزل في بعض الصفوف ، فرُميَ بسهم أصاب ثُغْرة نحره ، فمات ، « أُسد الغابة : ٨٧/٣ » .

أما الزبير بن العوام ، أُمُّه صفيَّة بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ ، ناداه علي رضي الله عنه يوم الجمل ودعاه وذكَّره بحديث لرسول الله ﷺ ، فانصرف عن القتال ، ونزل بوادي السِّباع ، وقام يصلِّي ، فأتاه ابن جُرْموز فقتله ، وجاء بسيفه إلى علي فقال : إن هذا سيف طالما فرَّج الكُرَب عن رسول الله ﷺ ، ثم قال علي : بشِّر قاتل ابن صفيَّة بالنار ، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأُولى من سنة ست وثلاثين ، « أُسد الغابة : ٢٤٩/٢ » .

☆ ☆ ☆

٢٣ ـ قال حتِّي على لسان أسماء بنت أبي بكر تخاطب ابنها عبد الله بن الزبير : « أرى أن تموت كريماً ، ولا تتبع فاسقاً لئيماً » ، صفحة : ٢٥٦ .

وصوابه : قالت أسماء لابنها عبد الله : « لا يلعبن بك صبيان بني أُميَّة ، عش كريماً ومت كريماً ، والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسناً بعد أن تقدمتني أو تقدمتك ، فإن في نفسي منك حرجاً حتى أنظر إلى ما يصير أمرك ، اللّهم ارحم طول ذاك النحيب والظماء في هواجر المدينة وبرّه بأُمّه ، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين .

يا بني مت كريماً ، قال : إن هذا قد أمنني (يعني الحجّاج) ، قالت : يا بني لا ترضى الدنيَّة ، فإن الموت لا بدَّ منه ، قال : إني أخاف أن يمثِّل بي ، قالت : إن الكبش إذا ذبح لم يأمن السَّلخ .

أنت والله يا بني أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنَّك على حقٍّ وإليه تدعو ، فامض له فقد قُتِل عليه أصحابك ، ولا تمكِّن من رقبتك يتلعَّب بها غلمان بني أُميَّة ، وإن كنتَ إنما أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت كنت على حق ، فلما وهن أصحابي ضعفت ، فهذا

ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين ، وكم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن[(١)] » .

« يابني لاتقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بسيف في عزٍّ خيرٌ من ضربة سوط في ذل[(٢)] » .

☆ ☆ ☆

٢٤ ـ قال حتّي : عبد الله بن أبي سرح ، صفحة : ٢٦٤

وصوابه : عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

وقال في الصفحة ذاتها : فضلة بن عبيد الأنصاري .

وصوابه : فضالة بن عبيد الأنصاري .

☆ ☆ ☆

٢٥ ـ « مروان الثاني (٧٤٤ ـ ٧٥٠) أبطل التنظيم القديم للجيش واستحدث له تنظيماً أصبحت الوحدة فيه كتلة صغيرة متراصّة من الجند تسمى كردوساً » ، صفحة ٢٩٣ .

وصوابه : الكراديس نظام عبّأ خالد بن الوليد به جيشه في اليرموك ، فقد رتّبه ولأوّل مرّة في تاريخ أمتنا ترتيباً جعله مَرِن الحركة سريعها ، مرتبطاً جنديُّه بأميره ، وأميره بالقائد العام ، لقد قسّم جيش المسلمين في اليرموك أربعين كُرْدوساً .

فخالد سبق مروان الثاني إلى نظام الكراديس .

حتى لغة أخطأ حتّي بفهم معنى كُردوس ، فالكُردوس (بضم الكاف) : القطعة العظيمة من الخيل ، والكراديس : الفِرَق منهم ، (اللسان : كردس ١٩٥/٦) .

☆ ☆ ☆

(١) أعلام النّساء : ٥٠/١ و ٥١

(٢) أُسد الغابة : ٢٤٢/٣

٢٦ ـ « إن الوليد الأول أمر بقتل زعيم بني تغلب القبيلة النصرانيَّة العربيَّة لأنَّه أبى أن يُسْلِم » ، صفحة : ٣٠١

ومصدر حتّي هنا : الأغاني : ٩٩/١ . والأغاني كتاب أدب لا كتاب تاريخ معتمد ، وصاحبه ليس مؤرخاً . وليس من طبع المسلمين قتل من لم يسلم بدليل وجود مئات الألوف من النصارى في كل بلد مسلم حتى يومنا هذا ، فرسول الله ﷺ يقول : « من قتل معاهداً لم يَرَح رائحة الجنَّة » ، رواه البخاري .

وقول حتّي صوابه : ناوأ نصارى تغلب واليهم من قبل عمر ، وهو : الوليد بن عقبة ، فنفد صبر الوليد مما كانوا يعملون ، فتوعَّدهم بقوله :

إذا ما عصبتُ الرأسَ مني بمشوذ   فَغيِّك مني تغلب ابنة وائل

فبلغت هذه الكلمة عمر رضي الله عنه ، فخشي عمر أن يبطش الوليد بهم ، فعزله عن ولايته ، وعيَّن أميراً غيره ، عطفاً ورعاية لنصارى تغلب .

فأين هذا مما نقله واعتمده حتّي ؟

☆ ☆ ☆

٢٧ ـ بسقوط الدولة الأُمويَّة « سقطت العروبة ، ولكن الإسلام واصل سيره ، وتحت لواء الإسلام العام ، أخذت الإيرانيَّة تسلك سبيلها إلى الأمام » ، صفحة : ٣٥٨ .

لم تسقط العروبة بسقوط الدولة الأُمويَّة ، بل واصلت سيرها مع الإسلام ، لأنها وجه لعملة واحدة وجهها الآخر الإسلام . فالعباسيُّون عرب أقحاح ، يكفيهم أن جدَّهم العباس رضي الله عنه ، ولما شعر الرشيد بمخالب البرامكة تطول ، قطعها بليلة واحدة بلا رحمة .

☆ ☆ ☆

٢٨ ـ « وكان السبب في هلاك جعفر عند أكثر المؤرخين أن الرشيد رضي أن يكتب لجعفر على العباسة أخته ليحل له النظر إليها ومجالستها ، وتقدّم إليه ألاّ يمسها ، فلما حجّ هارون علم أن العباسة قد حملت من جعفر وولدت له غلاماً وجّهت به مع حواضن إلى مكّة » ، صفحة : ٣٦٨ .

وقال في الصفحة ذاتها : « نكب البيت الذي أسّسه خالد البرمكي وجعله غرّة في جبين الدهر ، فلم تقم له قائمة من بعد » .

قصّة العبّاسة وجعفر ، أوردها صاحب « الأغاني » ، وروّج لها محمد المعروف بدياب الإتليدي في كتابه : « إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس » ، فقد خصّص الإتليدي كتابه لتشويه حياة الرشيد خاصّة ، والعباسيين عامّة . وهلل لها في مطلع القرن العشرين جرجي زيدان .

وعلى عكس ماقاله حتّي : لقد رفض المؤرّخون قِصّة جعفر والعبّاسة ، وقالوا : ليس من التاريخ مايُقال عن صلتها ـ صلة العبّاسة ـ بجعفر البرمكي .

ونحن فنّدنا هذه الرواية في كتابَيْنا : « هارون الرشيد » و « جرجي زيدان في الميزان » ، ونوجز هنا بعض بنود تفنيدها :

الإتليدي يؤكّد أن الرشيد كان يشرب الخمر ويثمل منه ، وكذلك أخته العباسة وجعفر ، وحياة الرشيد كما هي على حقيقتها ، تكذّب تعاطيه الخمر ، وهذا مما يفسد القصّة المختلقة من أرومتها .

الرشيد لا يشرب شراباً مُسْكراً ، غير أنّه شرب النبيذ ، وهو الماء الْمُحَلَّى الذي لا يُسْكر ، لقد شرب النبيذ بعرف زمانهم ، لا نبيذ هذا الزمان ، وتنبّه لذلك العلاّمة المؤرخ ابن خلدون ، فقال : لم يعاقر الرشيد الخمر لأنّه كان يصحب العلماء والأولياء ، يحافظ على الصلوات والعبادات ، ويصلّي الصبح في وقته ،

ويغزو عاماً ويحج عاماً ، وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق وفتاويهم فيه معروفة ، وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتهامه بها ، ولا لتقليد الأخبار الواهية بها ، فلم يكن الرجل بحيث يُواقِع محرّماً من أكبر الكبائر عند أهل المِلَّة .

ويؤكّد حتّي : « ولقد عاقر الخمرة غير الرشيد خلفاء آخرون » ، صفحة ٤١٣ ، وأزعجه كلام ابن خلدون فقال : « وقد دافع ابن خلدون عن الرشيد والمأمون ، وزعم أنَّ شرابها إنَّما كان النبيذ ، نبيذ التمر » ، صفحة ٤١٤ ، ونسي حتّي أن العلماء الأتقياء ، والأولياء الفصحاء ، كالفضيل بن عياض ، والقاضي أبي يوسف ، والإمام مالك ، والشّافعي ، وعبد الله بن المبارك .. لم ينبّهوا الرشيد ولو مرَّة واحدة إلى ارتكابه الحرام كشرب الخمر مثلاً ، لقد كانت نصائحهم كلها عامَّة ، لقاء الله ، الخشية من الله ، ذكر الموت والدار الآخرة ، الزُّهد في الْمُلْك .. ولو وجد خَمْرٌ مُسْكِرٌ في حياة الرشيد لنبَّهه لذلك الفضيل ، أو أبو يوسف ، أو أبو العتاهية ، أو الكسائي ، أو الإمام مالك .. ولو لمرَّة واحدة طيلة حياته .

وما ورد مطلقاً أن الرشيد جالس أو نادم النساء ، فأراد البرامكة ـ مخترعو القصة ـ الحطَّ من فضل الرشيد ومجالسه ، وما فيها من احتشام وأدب ودين .

ومما يدحض الرواية .. أن إحدى روايات القصة قالت : إن جعفراً كان يقترب من العبَّاسة بعد كل جلسة يثمل بها الرشيد !! فولدت منه غلاماً ، وفي رواية أُخرى : العبَّاسة هي التي دفعت بنفسها إليه كجارية لتثبت الرواية عِفَّة جعفر ، وسوء خلق العبَّاسة ، وفي الرواية الثانية أيضاً ما ينقضها ، لقد جاء فيها : « لقد كانت أُمُّه ـ أمُّ جعفر ـ تهدي إليه بنتاً بكراً كل ليلة جمعة » ، والعبَّاسة ليست بكراً ، لقد مات عنها زوجها راوي الحديث الشريف ، أمير البصرة والكوفة ، محمد بن سلمان بن علي بن عبد الله بن العباس .

وتقول الرواية : كان الرشيد لا يصبر عن جعفر وعن أُخته العبّاسة ، فكيف كبر بطنها ، وكيف ولدت في بيته ولم ينتبه الرشيد إلى ذلك ؟!

والعباسة ، يعرفها جعفر جيداً حسب الرواية ، لذلك ذكرت الرواية عبارة لتنسجم الأُكذوبة : « دخلت عليه ولم يتحقّق من وجهها » ، فكيف لم يتحقّق منها ولم يعرفها ، وهي التي تداوم معه يوميّاً في مجلس الشراب ؟!

والتاريخ لم يذكر لنا مطلقاً مصير الأميرين ابني العبّاسة ، إنهما أميران من نسل « برمكي فارسي » ، لو صحّ وجودهما ، لاغتنم الفرس الفرصة وبايعوا لهما كيداً بالدولة العبّاسيّة ، العربيّة الحكم والمظهر .

المتفحّص للروايتين ، يجد التناقض واضحاً جليّاً بينهما ، تناقضتا في البناء والجوهر ، واتفقتا في الطعن والتجريح والافتراء ، لذلك رفض الخطيب البغدادي (في تاريخ بغداد) ، وابن تغري بردي (في النجوم الزاهرة) أحداث العبّاسة مع جعفر ، وخاصّة إذا علمنا أن العبّاسة (عُلَيّة بنت المهدي بنت المنصور) ، من أظرف النّساء وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة ، قال الصولي : لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها ، كانت أكثر أيام طُهْرِها مشغولة بالصلاة ، ودرس القرآن ، ولزوم المحراب .

ومن أورد قصة العبّاسة مع جعفر جعلها سبباً لنكبة البرامكة ، وهذا يجعلها من نسج الخيال أيضاً ، لأن نكبة البرامكة ، عمل حاسم ضد عمل خطير هو : « إساءة استعمال السلطة » .

فمن وضع القِصّة ، ومن روّج لها ؟

القصّة من وضع البرامكة أو أعوانهم عن قصد ، روّج لها الفرس ، إذلالاً للرشيد الذي نكبهم ، فالقصّة في عرفهم تطاول على عِرْض وشرف وسمعة الرشيد

وإذلال لـه ، وليطمسـوا ـ عن سـوء قصـد ـ نـوايـاهم وشعـوبيتهم وتفـاخرهم في فارسيتهم ، وليطمسوا أيضاً تشيعهم المغرق في الحقد على العباسيين .

وروّج للقصة الخرافية ـ كما يقول صاحب الأعلام « ١٩٨/٥ » ـ كُتّابُ الخيال الغربيُّون ، فنُشِرت عنها عدة قصص منها مانشره لاهارب Laharpe بالفرنسيـة ، وفون هامـار Von Hammer بـالألمـانيـة . وجـاء جرجي زيـدان لأمر صليبي في نفسه ، ونسي فضل العبّاسة وصيانتها لدينها .. وألّف كتاباً اعتمد كلّه على قصة من نسج الخيال البرمكي[1] .

أما « نكب البيت الذي أسّسه خالد البرمكي وجعله غرّة في جبين الـدهر » ، فهو بيت فـارسي كسروي ، أرادهـا شعوبيـة لا عربيّـة ولا إسـلاميّـة ، فعـاجلـه الرشيد بنكبة ماحقة .

إن نكبة البرامكة نكبة وهلاك جماعي ، فهو لابد عقاب على فعل جمـاعي ، خُطِّـط لـه لكنـه لم يتم ، فـالرشيـد لم يُرق دمـاً يومـاً ، ولم يسجن شخصـاً في أي يوم .. إلا لسبب يُقرُّه الـدين والعقل والمنطـق السَّليم ، فمن بـاب أوْلى ألاَّ ينكّـل بجماعة بسبب ظن ، أو بسبب إساءة فرديَّة من أحد أفرادها .

لقـد حمى البرامكـة بجـاههم وبـالأمـوال التي وضعت بين أيـديهم الثقـافـة الفارسية ، ونشروها بما لهم من جاه وسلطان ، روى الجاحـظ عن ثُمامـة ، قـال : كان أصحـابنـا يقولون : لم يكن يُرى لجليس خـالـد « البرمكي » دار إلاّ وخـالـد بناها له ، ولا ضيعة إلاّ وخالد ابتاعها له ، ولا ولد إلاّ وخالد ابتاع أُمّه إن كانت أمَة أو أدّى مهرها إن كانت حرَّة ، ولا دابّة إلا وخالد حمله عليها ، إما من نتاجـه أو من غير نتاجه[2] .

---

(١) جعل جرجي زيدان عنوان كتابه البعيد عن الحقيقة والتاريخ : « العبّاسة أُخت الرشيد » .

(٢) الجهشياري : ١٧٣ ، تاريخ بغداد : ١٤٤/٤

ولقد آوى البرامكـة كثيرين ممّن اتهموا بـالـزنـدقـة كمحمـد بن الليث الخطيب[1] ، وهشام بن الحكم الرافضي ، ولقد هـال البرامكـة الفرس قوة الـدولـة العباسيّة ، خـاصّة وقد انتقل الحكم من الأُمويين إلى العبـاسيين ، ونفوس الفرس تطمح إلى حكم فـارسي في المظهر والمضمون ، في اللغـة والتراث ، لـذلـك شجّعـوا المانويّة والزرادشتيّة والمزدكيّة بحجّة حريّة الرأي .

ولذلك قال كثيرون إن البرامكة يطربون لـذكر الشّرك والكفر في مجالسهم الخاصّة ، قال الأصمعي في البرامكة :

إذا ذُكِرَ الشِّركُ في مجلسٍ ... أنـارَتْ وُجُـوهُ بني بَرْمَـك
وَإِنْ تُلِيَتْ عِنْـدَهم آيـةٌ ... أتـوا بـالأحـاديثِ عَن مَـزْدَك[2]

وقال آخر :

إنَّ الفراغَ دَعَـاني ... إلى ابتنـاء المَسَـاجِـد
وإنَّ رأيي فيهـا ... كرأي يحيى بن خـالـد[3]

لقد نكب الرشيد البرامكة بسبب « إساءة استعمال السلطة » ، أطلقوا عدوّ الرشيد يحيى بن عبد الله ووجّهوا معه مَنْ أوصله إلى بلاده ، وأنفقوا الأموال على قصورهم وخدمهم وبني مِلّتهم وتطاولوا في بنيانهم ، وحموا الشعوبيّة وكل ما هو فارسي ، كل ذلك على حساب الرشيد ، فكأنهم هم الخلفاء ، لذلك قال الرشيد بعد نكبتهم :

إن استهـانَتَهـا إذا وقعت ... لبقـدرِ مـا تعلـو بهـا رُتَبُـه
وإذا بـدت للنَّمـلِ أجنحـةٌ ... حتى يطير فقـد دنـا عَطَبُـه[4]

دولة الرشيد غرّة في جبين الدهر خالدة ، لا « دولة البرامكة » .

---

(١) ابن النديم : ١٢

(٢و٣) عيون الأخبار : ٥١/١

(٤) مروج الذهب : ٤٠٦/٦

جابر بن حيان الكوفي ، الحسن بن الهيثم ، إياد الله البتّاني ، الخوارزمي ، أبو حنيفة الدينوري ، البيروني .. العلماء الذين تعتز بهم الإنسانيّة ، لأنّ نهضتها تدين لهم بالفضل ، منهم من عاش في كنف الرشيد ، ومنهم من هيّأ له الرشيد كنوز العلوم في « بيت الحكمة » ، فنهلوا من مراجعها ومصادرها ، لقد بنى لهم الرشيد « بيت الحكمة » مكتبة فريدة لا نظير لها إلاّ في جوهرة العالم قرطبة ، فأينعت هذه المكتبة أيام المأمون ، فكل عالم استفاد من هذه الدار ، التي جعل فيها الرشيد راتب النّسّاخ أَلْفَي دينار في الشهر الواحد .

في دولة الرشيد تقدّمت الصناعات : الإنبيق ، السّاعات الدقّاقة ، أدوات الملاحة ، تقطير الأدوية ، العمليّات الجراحيّة الدقيقة بأدوات تشريح راقية ، المستشفيات العديدة في كل المدن الكبرى ، وفي كل الأقاليم .

إن الثروة الهائلة عمّت دولة الرشيد ، فأمّنت الرفاه لكل الناس لا لبغداد وحدها ، ثروة عظيمة استخدمت في مجالاتها الصحيحة ، كما رسم أبو يوسف في كتابه « الخَرَاج » ، ولم تنفق في قصور ألف ليلة وليلة الأُسطوريّة .

التندُّر على تاريخنا صار مهنة تمتهن لطعن تراثنا .

والافتراء صار حرفة تنفق الملايين عليها ، من قبل جهات يهمها أن يشعر جيلنا بعقدة النقص ، وليزهد بصانعي تاريخه ، وأعلام فكره ، وبالتالي ليفتّش عن رجالات جُدد ، وفكر جديد يظنُّه مثالياً ، لأنّه صُوِّر له بتزيينات وزيادات وتفخيم وتبجيل عن قصد ، لأنّهم يعلمون علم اليقين أن احتقار رجالاتنا ، أو الزهد بتاريخنا ، فيه المسخ لذاتيتنا ، وفيه تفكُّك الأُمّة ، واضمحلال شخصيتها ، وهذا ما يسعون إليه بكل طاقاتهم .

فدولة الرشيد غرّة في جبين الدهر خالدة ، لا دولة بني برمك .

☆ ☆ ☆

٢٩ ـ « وذكر المسعودي أن إبراهيم بن المهدي استزار أخاه الرشيد ، فلما وضعت البوارد على المائدة ، رأى الرشيد السّمك ، فاستصغر القِطَع ، فقال إبراهيم : هذه ألْسِنة السّمك ، وأردف الخادم قائلاً : يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مئة وخمسين لساناً . فاستحلفه الرشيد عن مبلغ ثمن السّمك ، فأخبره أنّه قام ذلك بأكثر من ألف درهم . وأنّنا إذا جرّدنا صورة حياة البلاط ببغداد عما ألبستها إياه القرائح الشرقيّة من الإطناب والمبالغة ، لرأينا فيها بالرغم من ذلك التجريد ما يملأ النفس دهشة وعجباً » ، صفحة ٣٧٧ .

ما أرخص هذا الدّس ، إنّه يدل على نفسيّة معيّنة ، أقل ما نقول فيها ، إنها نفسية من قال : « ولا تقربوا الصلاة » ، وأغفل : « وأنتم سكارى » .

القصّة كما أوردها المسعودي في مروج الذهب : ٣٧٣/٢ ، حرفياً كما يلي : « حدّث إبراهيم بن المهدي قال : استزرت الرشيد بالرقّة ، فزارني ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وُضِعَت البوارد رأى فيما قُرّب إليه منها جام قريص[1] مثل قريص السّمك ، فاستصغر القِطَع وقال : لِمَ صَغّر طبّاخُك تقطيع السّمك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه ألْسِنَة السّمك ، قال : فيشبه أن يكون في هذا الجام مئة لسان ، فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين ، فيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السّمك ، فأخبره أنّه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده ، وحلف أن لا يَطْعَمَ شيئاً دون أن يُحضره ألفَ درهم ، فلما حضر المال ، أمر أن يُتصدّق به ، وقال : أرجو أن يكون كفّارة لسَرَفِك في إنفاقك على جام سمك ألف درهم ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : اخرج من

(١) أي إناء من فضّة فيه قطع .

دار أخي ، ثم انظر أوّل سائل تراه فادفعه إليه . قال إبراهيم : وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين ديناراً ، فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير إليه ، وفطن الرشيد ، فقال له : يا غلام ، إذا دفعته إلى سائل فقل له يقول لك أمير المؤمنين : احذر أن تبيعه بأقل من مائتي دينار ، فإنه خير منها ، ففعل الخادم ذلك ، فوالله ماأمكن خادمي أن يخلّصه من السائل إلاّ بمائتي دينار » .

هذه هي القصّة ، فأيٌّ إشكال فيها ؟

بل كيف قُلبَت رأساً على عقب ؟

الرشيد ضيف عند أخيه إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، فأراد إبراهيم إكرام أخيه الرشيد ، فقدّم إليه صحناً من أَلْسِنة السّمك ، وظنه الرشيد قطع سمك صغيرة ، ولما علم أنَّه أَلْسِنة سمك أنّب أخاه إبراهيم ، وأمره أن يتصدَّق بألف درهم « لسَرَفِك في إنفاقك على جام سمك » ، ثم أمر أن يتصدَّق بالجام بما فيه ، فتُصدّق به ، وأمر الخادم أن يُعْلِمَ أَوّل سائل يراه ما قيمة ما قُدِّم إليه ، فأيَّة غضاضة في هذا ؟ إنّها صور مشرقة مشرِّفة ، فكيف يوردها حتّي ناقصة مبتورة ، ولا يروي ردَّ فعل الرشيد ، ويجعلها قصّة للتندُّر على حياة بلاط الرشيد ، والقصَّة لم تكن في قصر الرشيد ، إنها في الرقة في بيت إبراهيم بن المهدي ؟

وهذا دليل كاف يثبت بُعْدَهُ عن الموضوعية ، ويثبت تشويهه ودسّه عن علم وقصد ، وإلاّ ما دام كتاب المسعودي مروج الذهب بين يديه مصدراً ، فلماذا لم يتم القصة ، وقد قال : « ذكر المسعودي » ؟!

لقد أورد القصة بشكل يدين بها الرشيد ، قمة الحضارة العربيّة الإسلاميّة . فهنيئاً لمن اطلع على تاريخنا عن طريق ما كتب حتّي !! ومن أجل هذا الدس

والتشويه ، عمدت أمريكا لطبع كتاب حتّي لصالح الجيش الأمريكي ونشر التاريخ العربي مشوّهاً .

☆ ☆ ☆

٣٠ ـ ويقول حتّي في الصفحة ٣٧٢ : إن نقفور أرسل كتاباً « مهيناً » للرشيد .

والحقيقة التاريخية تقول : في سنة ١٨٧ هـ ، نقض صاحب الروم نقفور الصلح الذي كان بين المسلمين وبين الامبراطورة إريني ، بعد أن خلعها الروم وملّكوه ، ولما تأكّد نقفور أن الروم قد استوسقت[١] له بالطاعة ، كتب إلى الرشيد :

من نقفور ملك الروم ، إلى هارون ملك العرب ، أما بعد ، فإن الملكة التي كانت قبلي ، أقامتك مقام الرُّخ[٢] ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها ، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قِبَلك من أموالها ، وافتدِ نفسك بما يقع به من المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك .

فلما قرأ الرشيد الكتاب غضب ، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام[٣] .

ثم شخص من يومه ، وسار حتى أناخ بباب هِرَقْلَة ، ففتح وغنم ، فطلب

---

(١) استوسق له الأمر إذا تمكّن منه .

(٢) الرُّخ : من أداة الشطرنج ، والبيدق من أداة الشطرنج أيضاً ويمثّل جندياً ، ومعروف أن الرُّخ أقوى حركة وقيمة من البيدق على رقعة الشطرنج .

(٣) الكامل في التاريخ : ١١٨/٥ ، البداية والنهاية : ١٩٣/١٠ ، تاريخ الموصل : ٣٠٩ ، تاريخ الخلفاء : ٢٨٨ ، تاريخ ابن الوردي : ٢٨٣/١

نقفور الموادعة على جزية يؤديها كل سنة ، فأجابه الرشيد إلى ذلك ، فلما رجع من غزوته ، وصار بالرقة نقض نقفور العهد ، وخان الميثاق ، وكان البرد شديداً ، فيئس نقفور من رجعة الرشيد إليه ، ولكن الرشيد عاد بنفسه مع جيشه ، فلم يبرح حتى بلغ ما أراد ، وأذل نقفور وجنده .

ويقول حتّي في الصفحة ٣٧٣ عن الرشيد : أرسل الحملات على البيزنطيين وهو مقيم في مقرّه بالرقة عند الفرات ، على خط الدفاع على الحدود الشّاميّة .

فكتاب الرشيد هو الكتاب « المهين » لنقفور .

والرشيد قاد بنفسه جيشه إلى قلب بلاد الروم ولم يقم في مقرّه بالرقّة عند الفرات على خط الدفاع على الحدود الشّاميّة . لكنه حتّي ، يكتب بروح المستشرقين المتعصّبين ، الذين أصرّوا على إدانة تاريخنا ، والاستخفاف بأعلامه .

☆ ☆ ☆

٣١ ـ « إن خمسة آلاف نصراني من بني تنوخ رآهم المهدي بجوار حلب ، فأمرهم أن يُسْلموا فامتثلوا » .

المرجع يا فيليب خوري حتّي ؟

المرجع : تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري[(١)] .

كفانا ، إنه معروف بصليبيته ، وبعده عن الحقيقة ، وفي تلفيقه الأحداث ، وتشويه تاريخنا ورجاله .

☆ ☆ ☆

٣٢ ـ بعد ذِكْرِ حتّي : غارات القراصنة المسلمين على صِقِلّيّة قال : « واستولى

---

(١) يكثر حتّي من الاستعانة في كتابه بتاريخ ابن العبري (نشر صالحاني ، بيروت : ١٨٩٠) ، وهو كتاب غير موثوق .

الأغالبة أيضاً على مالطة وسردينيا ، وذلك بواسطة قرصانهم الذين نفذوا بغاراتهم إلى رومة ، وفي الوقت نفسه تكرَّرت غارات القرصان المسلمين من كريت على جنوبي بحر إيجة » ، صفحة : ٥٤٢

وقال في الصفحة ٦٥٩ : « قراصنة البحر المراكشيين »[١] .

القراصنة : هم لصوص البحر .

وما كان في يوم من الأيام الفقيه المجاهد أسد بن الفرات ، وجيشه الذي فتح صِقِلِّيَّة ، قراصنة ، إنهم مجاهدون ، ولم يذكر هؤلاء المجاهدين بلفظ « قراصنة » إلا حاقد ، صليبي ، مبشِّر .

ودليل أنهم فاتحون لا قراصنة ما يلي :

كانت حضارة المسلمين عند فتح صِقِلِّيَّة في أوج عظمتها ، فانسابت إليها خلال قرنين من الزمن ألوان الثقافة والمدنيَّة من العالم الإسلامي .

لقد قامت في جزيرة صقلية دولة إسلاميَّة ، ازدهرت في ظلها حضارة رائعة في الجزيرة ، وغدت حديقة يانعة تزهو بعلومها وتجارتها وصناعتها ، حتى إذا أدرك المسلمون الوهن ، وحلّ بينهم التفكُّك ، توالت حملات النورمان الفرنج على الجزيرة ، حتى تمكن الدوق روجر من احتلال الجزيرة ، وانتهت بذلك دولة الإسلام في صقلية كما ينتهي الحلم السَّعيد .

إن صقلية تعتبر بحق مركزاً هاماً من مراكز نقل الفكر الإسلامي إلى الغرب ، فقد كانت في العصور الوسطى مركز إشعاع فكري لأوربة جميعها ، جاء في دائرة المعارف « لاروس »[٢] : إن صقلية مدينة للعرب بأسمى ما عرفته

(١) هكذا وردت الكلمة وصوابها : « المراكشيُّون » .

(٢) المجلَّد : ١٤ ، ص : ٦٧٩ ، انظر « موسوعة التاريخ الإسلامي » : ٢٨٣/٤

من تقدُّم زراعي ، فالقطن وقصب السكر والفستق وغيرها ، لم تعرفه الجزيرة إلاَّ بعد دخول المسلمين إليها .

ومما هو جدير بالذكر أن الحضارة العربيّة الإسلاميّة في صقلية استمرت في الازدهار حيناً من الدهر بعد احتلال النورمانديين لها ، فقد قدَّر النورمان تفوُّق المسلمين الحضاري ، فآثروا الانتفاع بعلوم المسلمين ومعارفهم وصناعتهم ، ولذا فقد سمحوا ببقاء جالية إسلاميَّة في صقلية ، تعيش في ظل النورمان آمنة متمتِّعة بشعائرها ونشاطها العلمي والصناعي ، ولا شك أن هذا التسامح قد اقتبسه النورمان من المسلمين تقليداً .

كما دعا الدوق روجر الثاني ابن فاتح الجزيرة النورماندي ، رهطاً من العلماء المسلمين من الصقليين المحليين ، ومن إفريقية والأندلس للعمل في بلاطه ، وكان في مقدّمة هؤلاء العلامة الجغرافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي السبتي ، الذي دعاه الدوق وأغدق عليه رعايته ، وعهد إليه بأن يعمل كرة أرضيَّة من الفضة الخالصة ، ترسم عليها الأقاليم المعروفة آنذاك ، فقام العلامة المسلم بمهمته على أكمل وجه ، فكافأه الدوق عليها أعظم مكافأة .

كما احتفظ روجر بنظام الإدارة الإسلامي ، واستعان في إدارة شؤون الدولة بالموظفين المسلمين ، بحيث كان بلاطه في « بلرم » شرقياً أكثر منه غربياً ، وبقيت صقلية نحو قرن من الزمن بعد هذا العهد وهي في وضع فذ نادر ، إذ كانت مملكة نصرانية ، أُسندت فيها بعض الوظائف العليا إلى المسلمين .

ولذلك .. فلا غرابة إذا قلنا : إن النقود التي ضربها النورمان سنة احتلالهم بلرم ، كانت تحمل الشهادة الإسلامية كاملة ، والآية الكريمة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه ، وَلَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ، [الصف : ٩] .

وكانت زينة الملك غليام كملوك المسلمين تماماً ، ومن عجيب أمره أنَّه يقرأ ويكتب بالعربيَّة ، وعلامته : الحمد لله حق حمده ، وكانت علامة أبيه : الحمد لله شكراً لأنعمه .

فمن ترك هذا الأثر في صقلية ، فاتح ، حضاري ... لا لصوص بحر قراصنة .

☆ ☆ ☆

٣٣ ـ وقال في الصفحة ٥٤٤ في معرض حديثه عن قيام الدولة الطولونيَّة : « وكان ذلك فاتحة فصل جديد في تاريخ مصر ، أصبحت بعده دولة مستقلة ، حافظت على سيادتها طوال العصور الوسطى » .

ثم ناقض حتّى ذاته في الصفحة ٥٤٧ عندما قال : « فلا عجب إذا كانت الدولة التي شيَّدها ابن طولون قد عادت إلى حوزة العباسيين في ولاية شيبان (٩٠٤ ـ ٥) ابن رابع الملوك الطولونيين » .

فكيف حافظت على سيادتها طوال العصور الوسطى ، وهذه الدولة قامت : ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م ، وانتهت : ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م حيث عادت مصر ولاية عباسيَّة كما كانت ؟

☆ ☆ ☆

٣٤ ـ وقال عن معركة عين جالوت : إنها كانت بقيادة « القائد العظيم بيبرس قائد السلطان قُطُز » ، صفحة ٥٨٤

وكرَّر ذلك ثانية في الصفحة ٧٧٦ : « انتصار بيبرس في عين جالوت » .

وصوابه : قائد عين جالوت : الملك المظفر قُطُز ، الذي بدأ حكمه لمصر في ٢٤ ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ ، والذي خرج من القاهرة في يوم الاثنين الخامس من

شهر شعبان ٦٥٨ هـ (آب ـ أغسطس ـ ١٢٦٠ م) على رأس قوّاته ، وأرسل طلائعه بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري .

وفي صباح يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان (٦ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٢٦٠ م) ، بدأت المعركة بين المسلمين والتتار ، وكان السلطان قطز يقود المعركة بنفسه ، يخترق الصفوف وهو يصيح : « وا إسلاماه » ، ولما تحقّق له النصر على التتار الذين كانوا بقيادة « كتبغا » ، نزل عن فرسه ، ومرّغ وجهه في الأرض ، وسجد لله شكراً على ما أولاه من نصر باهر ، وأرسل رأس كتبغا إلى القاهرة ، وطيف به ، وعمّ البِشْرُ والسُّرور كل مكان .

وسارت بعضُ القوات الإسلاميّة بقيادة بيبرس لمطاردة التتار .

فقائد عين جالوت الملك المظفر قُطُز ، لا بيبرس الذي تسلّم بعد قُطُز .

وفي الصفحة ذاتها « صفحة : ٥٨٤ » ، يقول حتّي أيضاً : آخر الخلفاء العباسيين في بغداد « المعتصم » .

وصوابه : آخر الخلفاء العباسيين في بغداد : « المستعصم بالله » .

☆ ☆ ☆

٣٥ ـ « وحسد موسى طارقاً مولاه على هذا الانتصار الرائع الذي لم يكن منتظراً ، فشخص في حزيران سنة ٧١٢ إلى الأندلس على رأس عشرة آلاف من العرب وأهل الشام ، وقصد المدن والحصون التي تجنبها مولاه كمدينة شذونة وقرمونة وإشبيلية » ، « التقى موسى بطارق في طليطلة أو قريباً منها ، فوبّخه وضربه بالسّوط ، وسار به مشدود الوثاق لتقدمه دون رأيه وهو مولاه » ، صفحة ٥٩١ .

وفي الصفحة ٥٩٢ قال : « إذلال موسى : سام سليمان خليفة الوليد « موسى » ألوان العذاب وانزله إلى أحطّ دركات المذلة ، فقد أقامه في الشمس يوماً كاملاً في

نهار صائف حتى خرَّ مغشياً عليه ، ثم جرَّده من سلطته ، وصادر أمواله ، وآخر ما سُمِع عن هذا القائد الكبير فاتح أفريقية والأندلس ، أنّه شوهد في شيخوخته يستعطي في قرية نائية في وادي القرى من أعمال الحجاز » .

وصواب ما سبق : فتح طارق فتوحه كلها وهو يعلم ، أنا قائده المباشر هو موسى بن نصير ، ويتّضح ذلك بقوله لأولاد غيطشة بعد معركة وادي لكّة عندما سألوه : أنت أمير نفسك ، أمْ فوقك أمير ؟ فأجاب طارق بوضوح : « بل على رأسي أمير ، وفوق ذلك الأمير أمير أعظم[1] » .

لقد كان طارق يُعْلِمُ موسى أخباره أوّلاً بأول ، لقد كانت السُّفن رائحة غادية بين جبل طارق والجزيرة الخضراء من ناحية ، وبين السّاحل الأفريقي من ناحية ثانية ، فلا يعقل مطلقاً أن موسى ظل جاهلاً بما يفتحه طارق ، الذي وصل إلى طليطلة وما وراءها .

لقد شعر موسى بأن المسلمين قد استرسلوا أكثر مما ينبغي ، وأن خطوط مواصلاتهم في الأندلس الواسعة في خطر ، فقد بقيت مناطق واسعة في شرق الأندلس وفي غربها لم تفتح بعد ، فسار بنفسه يفتح تلك المدن كي لا يفصل الجيش الإسلامي في الشمال عن الحامية الصغيرة التي كانت في قرطبة ، أو قَطْعِ الجيش والحامية معاً عن موانئ الاتصال بإفريقية ، ودليل ذلك أن موسى في الأندلس ، سلك طريقاً غير التي سلكها طارق ، ففتح مدناً لم تفتح من قبل .

فمن قال إن موسى حسد طارقاً ، ودبّت بنفسه الغيرة ، لا صحّة لقوله ، فليس للحسد في مثل هذا الوضع مكان ، لأن طارقاً مهما كان حاله في الأندلس ، فهو مولى موسى ، يفتح باسمه ، والرَّجُلان بعد لقائهما تعاونا ، وترك موسى طارقاً على قيادة جيشه ، وسار كل منهما في اتجاه ، متعاونين متباعدين ، ولو

(١) نفح الطيب : ٢٤٩/١ ، و « الأمير الأعظم » هو الوليد ، خليفة المسلمين بدمشق .

كان ما ذكر من خلاف وحقد وحسد صحيحاً ، لما حدث ما جرى من تكامل تام في العمل بعد لقائهما .

ومرجع الرواية التي تظهر وتصوّر القائدين المسلمين العظيمين متعاديين مغيث الرومي ، الذي كان يرى في نفسه أنه أحق من موسى في ولاية الأندلس ، ومغيث الرومي لما سمع أن الخليفة يريد تعيين طارق على الأندلس بعد موسى ، مضى يخوّف الخليفة منه ، ويبعده عن إنفاذ هذا الغرض ، لأنه كان يطمع لنفسه في ذلك ، ويبدو أن الخليفة استبان كذب حديثه ، فلم يعطه الولاية التي رجا ، فعاد إلى الأندلس كما خرج منها ، بل ترك سليمانُ بنُ عبد الملك الأندلسَ في يد عبد العزيز بن موسى بن نصير[1] .

وبذلك يمكن القول : إن موسى عبر المضيق إلى الأندلس ، بناء على استغاثة وجهها إليه طارق ، ولو عبر موسى بعدد قليل من الجند لقلنا : إنه عبر من تلقاء نفسه ، لكي يرى النتيجة ، وما وصل إليه طارق من فتوح ، ولكنه عبر في جيش عدده ١٨,٠٠٠ جندي ، وتخيُّر الأجناد الذين صاحبوه ، تخيُّر المقبل على أمر خطير ، هو إتمام فتح الأندلس ، وحماية المسلمين المتّجهين مع طارق نحو الشمال .

وهكذا .. إن حدثَ خلافٌ بين القائدين الكبيرين ، فهو تأنيب موسى لطارق فقط ، فقد خاف موسى على انتشار المسلمين بعددهم القليل في بلاد شاسعة كالأندلس ، لكنّ طارقاً لم يتوقّف عن التوغّل كما أمر موسى ، بل تابع القتال كي لا يعطي الإسبان فرصة يلمّون شعثهم ، ويوحّدون كلمتهم .

والفقرة الثانية تقول : نكّل سليمان بن عبد الملك بطارق وموسى ، وصادر أملاك موسى وعذّبه ..

---

(١) فجر الأندلس : ٨٨ .

لو كان سليمان قد أنزل بموسى هذه الأُمور ، لما ترك ولديه واليين على أفريقية والأندلس ، وموسى كان أثيراً على نفس يزيد بن المهلّب وزير سليمان بن عبد الملك ، وصاحب الأمر في دولته ، وكل ما نستطيع قبوله ، أن سليمان ترك موسى لكبر سِنّه ، فاستحسن أن يخلّيه من العمل ، وأن يُبقي ابنيه مكانه في أفريقية والأندلس ، وبقي الفاتح الكبير في صحبة الخليفة حتى مات وهو في ركبه في طريق الحج بوادي القرى .

☆ ☆ ☆

٣٦ ـ « ثم أخذ ـ عبد الرحمن الغافقي ـ بوردو عنوة ، وأشعل النار في كنائسها ، وبعد أن أحرق الباسيليكا (الكنيسة) القائمة خارج أسوار بواتييه ، زحف شمالاً حتى جوار مدينة تور » ، الصفحة : ٥٩٦ .

« وليس من شك في أن الطّرَف والكنوز النفيسة التي عُرفت فيها كانت من العوامل التي حرّكت الفاتحين لمهاجمتها » ، معركة بواتييه معركة فاصلة في التاريخ : « ولكن الواقع أنها لم تفصل شيئاً » ، صفحة : ٥٩٧ .

وصواب ما سبق ·

النُّصوص التي وردت بالمراجع الأجنبيّة اللاّتينية تشير بوضوح إلى أن الذين خرّبوا الكنائس والأديرة هم قبائل الوند ، والوندال ، فجاء مؤرخو الكنيسة وقالوا : إن المراد بهذه الألفاظ هم المسلمون ، مع أن الفرنجة أنفسهم بقيادة شارل مارتل نهبوا الكنائس ، واستولوا على كنوزها ، وخرّبوها فيما بعد وقعة بواتييه[1] .

الكنائس والأديرة التي تهدّمت في فرنسة ، جرت أحداثها وفق ما يلي :

---

(١) فجر الأندلس : ٢٥٨ و ٢٥٩ .

ـ إن عدداً من الكنائس والأديرة ، وخاصّة تلك التي كانت مبنيَّة خارج أسوار المدن ككنيسة مدينة تور مثلاً ، كانت قلاعاً وحصوناً في حقيقتها ، وكان الفرنجة يقاتلون المسلمين من ورائها ، فليس بدعاً إذا هدم المسلمون بعضها أثناء المعارك .

ـ وكانت قبائل البرابرة الجرمان لا تزال إلى ذلك الحين على الوثنيَّه ، وكان القتال محتدماً بينها وبين خصومها من الفرنجة وسواهم ، فكانت تلك القبائل تعيث في غربي أوربة ، وتدمّر كل شيء بما في ذلك الكنائس .

ـ كان شارل مارتل نفسه إذا هاجم أراضي خصومه ومنافسيه ، لا يتورَّع عن تهديم الكنائس ، مع أنه كان مسيحياً .

ـ وبما أن المؤرخين الأوربيين الأوّلين كانوا قُسُساً ورهباناً ، فقد افتروا على المسلمين ، واتهموهم بأنهم كانوا يهدمون الكنائس والأديرة ، تأليباً للرأي العام المسيحي عليهم ، وكانوا أيضاً ينسبون إليهم هدم الكنائس التي كانت قد تهدَّمت على يد القبائل الوثنيَّة ، وعلى يد شارل مارتل نفسه .

ـ وعلى الإطلاق .. لم يُعْرَف عن المسلمين خلال فتوحاتهم الواسعة شرقاً وغرباً ، أنَّهم اعتدوا على أديرة ورهبان ، إلاَّ في أرض غاليا ، فقد جادت قرائح المؤرخين الصليبيين بذلك زوراً وبهتاناً بعد بلاط الشهداء !؟!

أما قول حتّي : « وليس من شك في أن الطُّرَف والكنوز النفيسة التي عُرفت فيها كانت من العوامل التي حرَّكت الفاتحين لمهاجمتها » ، فقول فيه كلُّ الشك ، لأن هذه الطرف والكنوز النفيسة قد نهبتها القبائل الوثنيَّة ، وما بقي منها أتمَّ شارل مارتل نهبه وتدميره ، قبل الفتح العربي الإسلامي لفرنسة .

وقول حتّي عن بواتييه : « ولكن الواقع أنها لم تفصل شيئاً » ، فقول مردود

أيضاً ، فلو انتصر المسلمون في بواتييه ، لتخلّصت أُوربة من ظلماتها وجهالتها واستبدادها ، وحطّمت الاستغلال والاضطهاد ، كما كانت ستتخلّص من عار محاكم التفتيش السوداء فيما بعد .

انتصار المسلمين يعني انتصار الحضارة بكل معانيها ، واسبانية وهي أقرب بقعة من فرنسة ، خير شاهد ، أما قال « ول ديورانت » في قصة الحضارة : « ولم تشهد بلاد الأندلس في تاريخها كلّه حكماً أكثر حزماً وعدالة وحريّة مما شهدته في أيام فاتحيها العرب » ؟ .

والحقيقة التي لا جدال فيها : أنه في سهول « تور - بواتييه » فَقَدَ المسلمون سيادة العالم بأسره ، وتغيّرت مصاير العالم القديم كلّه ، قال جيبون : « لو انتصر العرب في تور - بواتييه ، لتُلِيَ القرآن وفُسّر في أُكسفورد وكمبردج » ، فبواتييه معركة فاصلة في التاريخ العالمي ، فقد ترتّب عليها تغيير مجرى التاريخ إلى حدّ كبير ، وحتّي يراها « لم تفصل شيئاً » .

☆ ☆ ☆

٣٧ - « وأراد المعتمد اتقاء الخطر الذي تهدّده به ألفونسو السّادس والسيد ، فارتكب أكبر خطأ ، إذ طلب النجدة من يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في مراكش ، ورغّبه في الجهاد ونصرة الإسلام » ، صفحة : ٦٤٢ . ثم قال حتّي « صفحة ٦٤٣ » : « غير أنه لم تمضِ فترة طويلة حتى عاد زعيم المرابطين هذا هو وأتباعه ، وكان هؤلاء قد سئموا البادية وقحطها ، وتاقت أنفسهم لأطايب المدنيّة الأندلسية التي تذوّقوها من قبل ، فنزلوا الأندلس مرة ثانية ، ولكنهم نزلوها هذه المرّة فاتحين لا منجدين » .

ما هذه الافتراءات والدسائس الرخيصة ؟
أين هذا من الحقيقة التاريخية ؟

توحَّدت جهود ألفونسو السادس ملك قشتالة الـذي كان يحكم جليقيـة وجزءاً من البرتغال واشتوريش وليون ، وسانشو الأوّل ملك أراغون وناڤارا ، والكونت برنجـار ريمونـد حـاكم برشلونـة ، واتفقوا على سحق دولـة الإسـلام في الأنـدلس ، معتقدين جازمين بأن قدراتهم كافية لهذه المهمة .

لقـد أخطـأ المعتمـد بن عبـاد أعظم أمراء الأنـدلس في معـاونـة ألفونسـو على محاصرة طليطلة ، بيد أنّه تنبـه إلى خطئـه ، فصـار أوفر أمراء الأنـدلس نشـاطـاً لتحطيم قـوى النصرانيَّـة ، وقـال : « تـاللهِ إنني لأُوثر أن أرعى الجمـال لسلطـان مراكش ، على أن أغدو تابعـاً لملـك النصـارى ، وأن أُودّي لـه الجزيـة . إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير » .

اجتمع ابن عبـاد مع الأمراء الآخرين في إشبيليـة ثم في قرطبـة ، واتّفقوا على أن يرسلوا سفيراً إلى يوسف بن تـاشفين أمير المرابطين يلتمسون عونـه وغـوثـه ، كما أمَّت مدينة مراكش وفود شعبيـة كبيرة[1] ، قـدمت من الأنـدلس بزعـامـة بعض الفقهاء تطلب العون والغوث من أمير المرابطين .

قبـل ابن تـاشفين طلبهم ، وعبر في ربيـع الأوّل ٤٧٩ هـ / آب (أُغسطس) ١٠٨٦ م ، وما كادت السُّفن تنشر قلاعهـا حتى صعـد إلى مقـدّمـة سفينتـه ، ورفع يديه نحو السماء ودعـا الله مخلصـاً : « اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هـذا خيراً وصلاحـاً للمسلمين فسهّل عليّ جواز هـذا البحر ، وإن كان غير ذلـك فصعّبـه حتى لا أجوزه » .

وحقّـق أمير المرابطين في « الـزلاّقـة » نصراً اهتزت لـه نفـوس المسلمين في كل بقـاع العـالم الإسلامي ، وذلـك يوم الجمعـة ١٢ رجب ٤٧٩ هـ / ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٠٨٦ م .

---

(١) الاستقصا : ٣٦/٢ ، الحلل الموشية : ٣٠ ، الحلل السندسيّة : ٤٧ .

استطاع ألفونسو السادس حشد جيش بشكل سريع ، جاءت امداداته من فرنسة وألمانية ، فعبر ابن تاشفين عبوره الثاني في ربيع الأول ٤٨١ هـ / حزيران (يونية) ١٠٨٨ م ، فأبعد الخطر الصليبي ، وترك حامية في الأندلس ، ولكن ملوك الطوائف عادوا إلى خلافاتهم ، حتى حاول بعضهم توطيد سلطانهم على حساب الإسلام ذاته ، ولم يتورّع بعضهم عن التحالف سِرّاً مع ألفونسو السادس ، فعاد ابن تاشفين إلى الأندلس بطلب من القضاة والفقهاء ، كما أن أبا حامد الغزالي وأبا بكر الطرطوشي في الشرق الإسلامي أرسلا لابن تاشفين خطاباً يحثّانه فيه على خدمة الإسلام ، ويفتيانه في ملوك الطوائف ، فضم ابن تاشفين الأندلس لدولة المرابطين .

والواقع يقول إن ابن تاشفين لم يطمع في الأندلس ، وتردّد كثيراً قبل العبور ، وعفّ عن الغنائم بعد الزلاّقة ، وتركها للمعتمد ولأُمراء الأندلس ، ولم يأخذ منها شيئاً ، وعاد إلى المغرب ، وكان الجواز الثاني بسبب اختلافات ملوك الطوائف ، وكان الجواز الثالث لوضع حدٍّ لمهزلة ملوك الطوائف ، فقد شغله هؤلاء الأمراء المتفرّقون عن الفتح والجهاد في أفريقية لفرقتهم وخلافاتهم ، فلاقوا جزاء فرقتهم وخيانتهم . وابن تاشفين خصّ الأمراء وحدهم بقسوته وعقابه ، وعفا عن الشعب المسلم ، لأن التناقض جلي بين مصلحة الشعب الذي طلب الاتحاد في وجه النصارى ، والأمراء الذين آثروا التفرّق والخلاف حباً في الحكم وحفاظاً على المصلحة الخاصّة .

وأصبحت إسبانية المسلمة كلها بيد المرابطين سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ، باستثناء ولاية سرقسطة ، حيث كان المستعين بالله أبو جعفر أحمد بن هود ، حيث أبقاه ابنُ تاشفين لموقفه المشرّف المشهود في وجه الزحف الصليبي .

لقد أبقى ابن تاشفين حكم العرب في إسبانية أربعة قرون أُخرى ، فرأى

حتّي في ذلك (أكبر خطأ) ، وصحيح أن ابن تاشفين نفى المعتمد بن عباد إلى مراكش ، لكنه لم يسجنه ولم يعذّبه ، بل كانت إقامة جبرية ، فزوجه وبناته كُنَّ معه دوماً .

وقول حتّي حول الموضوع ذاته : غير أنه لم تمض فترة طويلة حتى عاد زعيم المرابطين هذا هو وأتباعه ، وكان هؤلاء قد سئموا البادية وقحطها ، وتاقت أنفسهم لأطايب المدنيّة الأندلسيّة التي تذوّقوها من قبل ، فنزلوا الأندلس مرّة ثانية ، ولكنهم نزلوها هذه المرّة فاتحين لا منجدين[1] » ، صفحة ٦٤٣ ، يدحضه ما يلي :

- لم يسأموا البادية وقحطها ، فالمغرب جنّة وارفة ، وهم الذين اختاروا نشر الإسلام في موريتانية والسنغال وحدود الصحراء الكبرى الجنوبية طائعين مختارين ، وتركوا الأندلس لمسلميها .

- وأطايب المدنيّة الأندلسيّة رأوها جهاداً ، ولما جاءت الغنائم بعد الزلاّقة ، تركوها كلها لأهل الأندلس ، ولم يأخذوا منها شيئاً مطلقاً .

- وحتّي في قوله ما زال يريد إبعاد المسلمين عن الجهاد ، ويجعل العامل الاقتصادي « الغنائم والطيّبات » سبب حروب المسلمين ، وقد رددنا ذلك في صفحات سابقة .

- إن نجدة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لمسلمي الأندلس ، دفع عنهم

---

(١) قال حتّي أيضاً في الصفحة ٦٣٩ : « خرّب المرابطون المراكشيون غَرْناطة سنة ١٠٩٠ م » ، والحقيقة : حاصر ابن تاشفين غرناطة ، لأن أميرها عبد الله بن بلكين بن باديس ، الذي كان قد تحالف سِرّاً مع ألفونسو السّادس ، ففتح ابن تاشفين غرناطة بعد حصار شهرين ، وأرسل عبد الله بن بلكين أسيراً إلى أغمات بالقرب من مراكش ، دون أن يدمّر غَرْناطة .

خطر الصليبيين الإسبان ، وأبقاهم أربعة قرون أخرى في الأندلس ، مما أغضب حتّي ، وجعل ابن عباد في نظره : يرتكب أكبر خطأ . فمن الذي ارتكب الخطأ ، ابن عباد في طلبه لابن تاشفين ، أمْ حتّي في أحكامه وتعصّبه وبعده عن الحقيقة الجليّة الواضحة ؟!؟

☆ ☆ ☆

٣٨ ـ وقال حتّي بعد مصرع غَرْناطة : « وبهذا انتهت المشكلة الإسلاميّة في إسبانية » ، « أُقصي المسلمون عن البلاد ، وظهر محيّا إسبانية النصرانيّة ردحاً من الدهر مشرقاً كالبدر ، ولكن بنوز مستعار ، ثم حلَّ به الخسوف وعم الظلام ، وما زالت البلاد تتسكّع في تلك الظلمة منذ ذلك الحين » ، صفحة : ٦٦٠ .

وقال في الصفحة ٧١٧ : « كان استرجاع النصارى لباري في عام ٨٧١ فاتحة عهد جديد زال فيه الخطر الذي كان جاثماً على صدر إيطالية وأواسط أوربا » .

فتح إسبانية مشكلة !! كلام يثبت حقد فيليب خوري حتّي وصليبيته ، وتعمُّقه في كتابة تاريخنا مع موضوعيته !!

المؤرخ الإسباني « سانسيت أولبورنوت » يقول : « إن الفتح العربي لإسبانيا جلب إليها كل خير » ، ويراه حتّي « مشكلة » .

« انتهت المشكلة الإسلامية في إسبانية » ، حيث كانت جامعات المسلمين مفتوحة ـ كا يقول دريبر ـ للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان أُمراء أوربة يفدون على بلاد الإسلام ليُعَالجوا فيها ، وجربرت الفرنسي درس في مدارس اشبيلية وقرطبة ، وتزوّد بالحضارة العربيّة الإسلاميّة ، ثم نُصّب بابا في رومة باسم سلفستر الثاني .

وغوستاف لوبون تمنّى لو أن العرب فتحوا فرنسة ، لتغدو باريس مثل قرطبة في إسبانية مركزاً للحضارة والعلم ، حيث كان رجل الشارع فيها يكتب

ويقرأ ويقرض الشعر أحياناً ، في الوقت الذي كان فيه ملوك أُوربة لا يعرفون كتابة أسمائهم ، ويبصمون بأختامهم .

ونلمس تخبُّط حتّي عندما قال : « ظهر محيّا إسبانية النصرانيّة ردحاً من الدهر مشرقاً كالبدر ، ولكن بنور مستعار » ، وجه إسبانية الحقيقي أشرق كالبدر أيام الفتح الإسلامي ، فإن ازدهرت إسبانية حقبة بعد مصرع غَرْناطة « بنور مستعار » فإنها كانت في دور تَمثُّل الحضارة العربيّة الإسلاميّة .

وكلمة « خطر » في الفقرة الثالثة ، يردها قول المؤرخ الإسباني سانسيت ، وقول غوستاف لوبون .

☆ ☆ ☆

٣٩ ـ « أما المدينة ـ انطاكية ـ وقلعتها وكنائسها الشهيرة فقد أحرقها ـ بيبرس ـ كلها ، وكانت كارثة لم تنهض بعدها أنطاكية حتى اليوم » ، صفحة : ٧٧٧ .

« هدموا أبراجها ـ أبراج عكا ـ ودكُّوا تحصيناتها ، وأحرقوا منازلها » ، صفحة : ٧٧٩ .

« وجاء المماليك فزاد هذا الدمار بتخريبهم مدن الساحل التي كان الإفرنج ـ الصليبيُّون ـ قد نزلوها » ، صفحة ٧٨٠ .

« أما أرمينية الصغرى فقد نهبها قلاوون اقتصاصاً لما قام به أهلها من مساعدة المغول ، ثم فتح قلاع الصليبيين أيضاً ، ودكَّ أبنية طرابلس إلى الأرض ، ولكن أُعيد بناؤها بعد بضع سنين » ، صفحة ٨٠١ .

أنطاكية : ثاني إمارة ـ بعد الرُّها ـ أسسها الصليبيُّون في الشرق سنة ١٠٩٧ م ، وتوّج بيبرس أعماله الحربيّة بتحريرها ، فوصل مدينة أنطاكية في منتصف أيَّار « مايو » ١٢٦٨ م ، وهناك قسَّم جيشه إلى ثلاث فِرَق ، إحداها

اتجهت إلى ميناء السُّويدية لتقطع الصلة بين أنطاكية والبحر ، والثانية سدَّت الممرَّات بين قيليقية والشام لمنع وصول أيَّة مساعدة إلى أنطاكية من أرمينية الصغرى ، في حين أخذت القوة الرئيسية تحت قيادة بيبرس نفسه تهاجم المدينة ، ولم تلبث أن سقطت بيده[1] ، فجاء تحرير أنطاكية صدمة كبرى هزَّت الصليبيين ، فهوَّلت المصادر الصليبيَّة الأمر ، حتى قدَّروا عدد الأسرى في مراجعهم بمئة ألف أسير .

أما إحراق كنائس أنطاكية وتدميرها ، فإن حدث هذا ، فيكون ساعة حصار المدينة وقصفها ، أما هدم الكنائس ، لأنها كنائس ، فهذه ليست من شيم المسلمين أبداً .

أما عكَّا ، فيجب أن يعلم حتّي ومن على شاكلته ما يلي : إن حملةً إيطاليَّةً تبنَّتها البندقيَّة ، وصلت عكا في آب « أُغسطس » ١٢٩٠ م ، تدفعها الحماسة الدينيَّة ، ولم تكد تطأ أرض عكا حتى أراد رجالها التعبير عن حماستهم الدينيَّة ، فدفعتهم جهالتهم إلى الشروع في مهاجمة الفلاحين المسلمين في إقليم عكَّا ، ثم عادوا بعد ذلك إلى المدينة ليذبحوا كل من بداخلها من تجار المسلمين .

سمع السلطان قلاوون بما حدث ، فأقسم على أن ينتقم من الصليبيين ، ولم يكد يفرغ من كافة استعداداته الحربيَّة ، ويغادر القاهرة متوجهاً إلى الشام ، حتى دهمه الموت في ١٠ (نوفمبر) ١٢٩٠ م ، فهلَّل الصليبيُّون لتلك الوفاة ، وظنُّوا أنَّها إرادة الله تدخَّلت لإنقاذ عكَّا ، ولكن سرعان ما خاب ظنُّهم ، فقد استلم الحكم السلطانُ الأشرفُ خليل بن قلاوون ، وحاصر عكا في ١٥ نيسان (إبريل) ١٢٩١ م ، فضرب أسوار المدينة بالمجانيق الكبار ، وبذلك أمكن إحداث عدة

(١) الحركة الصليبيَّة ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ص : ١١٤٩ .

ثقوب في سور المدينة ، وفي يوم الجمعة ١٨ إيّار « مايو » شدّد السلطان الأشرف خليل هجومه على عكّا ، ونجحت قوّاته في تحرير المدينة .

فهل يمكن تحرير المدينة ، وقد تحصّن بها الصليبيّون دون دكّ أسوارها بالمجانيق ؟

وهكذا .. كل كلمة قالها حتّي عن تحرير أيّة مدينة ، قول فيه تهويل وعويل ، محقّقاً إسقاطاً على تاريخنا ، ارتكبه أجداده عندما احتلوا هذه المدن ، فرانسمان Runciman مؤرّخ الحروب الصليبيّة في أوربّة يقول : مذبحة بيت المقدس عام ١٠٩٩ م ، كانت لطخة عار في تاريخ الحملة الصليبيّة الأُولى ، ففي مسجد عمر وحده ذُبحَ عشرة آلاف مسلم ، ويكفي أن المؤرخين وصفوا هذه الحملات الصليبيّة بكلمتين اثنتين : « بربريّة همجيّة » ، وهذه البربريّة والهمجيّة أراد حتّي وصم المسلمين بها عندما حرّروا بلادهم من الصليبيين ، ونفيها عن قومه .

ولو كتب حتّي هذه الفترة ـ وغيرها ـ كما هي على حقيقتها ، مظهراً بربريّة وهمجيّة « قومه » ، لما طُبِعَ من موجز كتابه خمسون ألفَ نسخةٍ من قبل الجيش الأمريكي !!

☆ ☆ ☆

٤٠ ـ « فتنة كان بطلها ضابط في الجيش اسمه أحمد عرابي من أبناء الفلاحين » ، صفحة :٨٨٣ .

هل كانت الثورة العرابيّة مجرّد فتنة ، كما أطلق عليها حتّي تحقيراً واستخفافاً بها ؟

لقد جنّدت سوريّة والعراق شبابها للجهاد مع عرابي ، وكانت المآذن تدعو إلى انتصار عرابي ورفاقه ، كما حدث في تونس ، فهل اشترك الشباب العربي المسلم بفتنة ، أمْ بثورة ؟ وهل دعت المآذن لانتصار ثورة ، أمْ لانتصار فتنة ؟

الحقيقة التاريخية تقول[1] :

بدأ سعيد باشا حفيد محمد علي سياسة القروض ، والتجأ إلى رجل الأعمال الدولي أُبنهايم لتدبير القروض ، ففي عام ١٨٦٢ م ، كان أوّل قرض لمصر يعقده سعيد باشا بمساعدة أوبنهايم . وخصم الدائنون من هذا القرض مبلغاً لا يستهان به ، وألزموا الحكومة بدفع فوائد ، وتسديد القرض بمبلغه الرسمي .

وفي عام ١٨٦٤ م وضع أُوبنهايم الترتيبات للحصول على قرض من بنك فروهلنغ وغوش مقداره : ٥٧٠٠ ألف جنيه استرليني ، ولم يدخل الخزانة المصرية سوى : ٤٨٦٠ ألف جنيه استرليني ، وكضمان للقرض سلّم إسماعيل باشا إلى الدائنين الدخل الذي تحصل عليه الدولة من ثلاث أقاليم في الدلتا ، وتتالت القروض من البنوك الأجنبية ، وتمكّنت البنوك الإنجليزيّة خلال أحد عشر عاماً من ربط مصر بدَيْن بلغت قيمته ٦٨ مليون جنيه كفرق بين التسعيرات ونفقات العمولة ، وبلغت كمية دَيْن مصر الخارجي قبيل عام ١٨٧٦ م أربعة وتسعين مليون جنيه استرليني ، وقد تسرّب إلى جيوب أصحاب البنوك كفرق بين التسعيرات ونفقات العمولة وغيرها ٢٢ مليون جنيه استرليني ، ومع ذلك ، أُدرج هذا المبلغ الذي لم تستلمه مصر في الواقع مع المبالغ الاسميّة للدين ، ودفعت مصر حتى عام ١٨٧٦ م لا أقل من ٥٠ مليون جنيه كفوائد على القروض الأصليّة وسندات الدين ، ولم يُنْفَق في الحقيقة سوى مبلغ يتراوح ما بين ٥ إلى ٦ ملايين جنيه على منشآت تعود بالفائدة على مصر .

واضطر الخديوي إلى الموافقة على مطالب اللّجنة المشكّلة لدفع الديُّون ، وشُكّلت وزارة أُوربية مختلطة شغل فيها أحد الإنجليز منصب وزير الماليّة ،

---

(١) انظر : الثورة العرابيّة المفترى عليها ، سعد التائه ، مجلة الدوحة ، العدد : ١٠٦ ، المحرّم ١٤٠٥ هـ / ت ١ « أكتوبر » ١٩٨٤ ، ص : ٧٦ وما بعدها .

وشغل أحد الفرنسيين منصب وزير الأشغال العامة ، كما شغل مُمَثِّلا النمسة وإيطالية مَنْصِبي المراقب العام ومساعد وزير الماليّة ، وأصبح الأُوربيُّون يسيطرون على شؤون مصر الماليّة ، وعلى إدارة البلاد أيضاً .

كان هذا مع المعاناة التي لقيها شعب مصر دافعاً لثورة عرابي . لقد بحث الاستعمار الأُوربي عن استنزاف المال بأيّة وسيلة ، ومن أي مصدر ، وانهالوا على الفلاحين بالسِّياط ليحصلوا على الضرائب ، واضطر الفلاحون إلى الالتجاء للمرابين الأجانب ، وبلغت فوائد الرِّبا الفاحش ٤٠ ٪ ، واجتاحتهم المجاعة .

وكتب مراسل صحيفة التايمز في ذلك الوقت : « مما يلهو به الزوار المتهكِّمون أن يحصوا الموظفين الأُوربيين القاعدين الذين يتقاضون آلاف الجنيهات ، في الوقت الذي لا يستطيع فيه مئات من خدم الحكومة الوطنيين الحصول على مرتَّبات قليلة متأخِّرة من العام الماضي » ، ثم كتب : « إن وجود جيش جرـ من موظفي الحكومة أشرف على الموت جوعاً ، لفضيحة أحق بالاعتبار من نفس تأجيل الدين العمومي تأجيلاً مؤقتاً » .

ثم قرَّرت « الوزارة الأُوربيّة المختلطة » تسريح ٢٥٠٠ ضابط من الجيش ، وتخفيض رواتب الباقين بمقدار النصف ، وعدم دفع ما عليها من مُرَتَّبات سابقة ، فكان لا بدَّ من الثورة والأوضاع في مصر تسيطر عليها وزارة انجليزية فرنسية نمساوية ايطالية .

وفي ٩ أيلول « سبتمر » ١٨٨١ م يوم خالد في تاريخ مصر ، حيث احتشدت قوى الجيش بأسلحتها وذخيرتها في ميدان عابدين ، وتجمَّع وراء صفوف الجيش آلاف من أهل القاهرة هاتفة : عرابي ، عرابي .

وأدرك الأجانب مغزى الثورة ، وكتب مراسل التايمز : « لا فائدة من إخفاء الحقيقة ، وهي أن هذه الحركة لا ترمي إلاَّ إلى هدم تدخل أُوربة في

الإدارة المصريّة ، وأنه إذا كانت هذه النيّة منذ أُسبوعين مقصورة على فئة قليلة من الضباط ، فإنها ليست الآن كذلك ، إن سكان الاسكندريّة والقاهرة المدنيين على الأقل ، وهم الذين كانوا على وجه العموم لا يهتمون بما يحدث ، أصبحوا يؤيّدون عمل الجيش كل التأييد ، وهم الآن أجرأ على الجهر بأهدافهم .

وفي ٢٠ أيّار ١٨٨٢ قدِم الأسطول الانجليزي إلى الاسكندريّة .

وفي ٢٥ أيّار طلبت بريطانية وفرنسة من الخديوي رسميّاً إبعاد عرابي عن مصر ، وإقالة وزارة محمود سامي البارودي ، تسلّم الخديوي توفيق الإنذار ، واستقالت الوزارة .

وفي ٢٧ أيّار رفض ضُبّاط حامية الاسكندرية إقالة عرابي ، فوافق الخديوي على إعادة عرابي وحده إلى وزارة الحربيّة .

وفي ١١ حزيران كانت فتنة الاسكندرية التي أثارها القنصل الإنجليزي عن طريق خادمه المالطي ، كانت نتيجتها ٥٠ قتيلاً أوربياً ، و١٤٠ عربياً مصرياً ذُبحوا بسويعات .

وفي ٦ تموز قدّم الأميرال سيمور ، قائد الأُسطول الانجليزي في مصر ، إنذاراً إلى رئيس حامية الاسكندرية طالباً إليه توقيف أعمال التحصينات التي أمر بها عرابي ، وفي ١١ تموز ١٨٨٢ قَصَف سيمور الاسكندرية بوحشيّة ، فحوّل المدينة إلى كومة ركام ، وتتابعت أحداث الثورة ، ولكن بعد معركة التل الكبير « ١٣ أيلول » دخلت القوات الإنكليزية القاهرة ، وصدر الحكم بالإعدام بعدها على عرابي(١) ، ثم استبدل بالنفي المؤبّد إلى سيلان ، ومصادرة أملاكه وأمواله .

(١) ذكر محمود شاكر في كتابه « أباطيل وأسمار » ، صفحة : ٤٢١ : « أقسم بشارة تقلا بشرفه ودينه لعرابي أنه وطني ومع الثورة ، فلما قُبض على عرابي دخل عليه - بشارة تقلا - وتوقّح عليه أشد التوقّح ، ثم بصق في وجهه شاتماً ، فقال عرابي في مذكّراته : فرأيت أن الرجل خائن لا شرف له . ولم يزد » .

لقد كانت ثورة وطنيَّة بكل المقاييس العلميَّة والعاطفيَّة والإنسانية ، ولكن حتّي رآها « فتنة » !!

هذه بعض افتراءات حتّي على تاريخنا العربي الإسلامي ، أوردناها مثالاً ونموذجاً ، فمن ينبش كتاب حتّي يلمس ويرى بسهولة افتراءات وهفوات أُخرى كثيرة ، ويلمس من خلالها بعدها وبعده عن الموضوعيَّة .



فيليب حِتّي

والسِّيَرة الشَّريفَة

☆ « على أنّ قريشاً التي انتسب إليها الرسول كانت من نزار ، وهي من الدوحة الشمالية » .
حتّي .

نثبت في هذا الفصل إساءات وهفوات فيليب خوري حتّي ، الّتي قالها وقرَّرها بحق رسول الله ﷺ ، متّبعين ورودها ، حسب تسلسل صفحات كتاب : « تاريخ العرب ـ مُطَوَّل » :

١ ـ « ولقد روى أبو هريرة عن أعرابي جاء يزور النبي قال : قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، وقمنا معه ، فقال أعرابي في الصلاة : اللّهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً » ، صفحة : ٣٠ . وجعل حتّي مصدر هذا الحديث : أبو داود ، السُّنَن .

أين هذا الخلط من الرواية الصحيحة كما جاءت في سنن أبي داود والبخاري والترمذي والنّسائي ؟ الرواية تقول :

عن أبي هريرة قال : « قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه ، فقال أعرابي وهو ـ أي النبي ﷺ ـ في الصلاة : اللهم ارحمني ومحّمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ،

فلمّا سلّم النبي ﷺ قال للأعرابي : لقد حجّرت واسعاً ، يريد رحمة الله[1] » .

فلم يقل الأعرابي في الصلاة ، بل قال الأعرابي والنبيُّ ﷺ في الصلاة ، وعند الترمذي : أنه صلّى ثم قال : اللّهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ، فقال له النبيُّ ﷺ لقد حجّرت واسعاً .

☆ ☆ ☆

٢ ـ « على أن قريشاً التي انتسب إليها الرسول كانت من نزار ، وهي من الدوحة الشّمالية » ، صفحة : ٣٩ .

وهل في عبارة « التي انتسب إليها » ، إلا التشكيك والبعد عن الحقيقة ومجانبة الموضوعيّة ، مع استفهام كبير يوضع حول هذا المؤلّف « النزيه الأكاديمي » ؟!

إن لم يكن محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب من قريش ، فَمَنْ من قريش إذن ؟

« التي انتسب إليها » ، وكأنه ﷺ مولى لا يُعْرَفُ نَسَبُه ، فدخل تحت كنف قريش يحتمي بها ، ويأمن تحت لوائها !؟.

ولو لم يكن رسول الله ﷺ من صفوة قريش ، لعابت قريش عليه انتسابه إليها ، وطعنت بنسبه ، وهي التي تفاخر بالأنساب .

سأل هرقل Heraclius أبا سفيان بن حرب عن رسول الله ﷺ : كيف نسبه فيكم ؟

---

(١) انظر فتح الباري ، كتاب الأدب ، حديث : ٦٠١٠ ، جزء ١٠ ص ٤٣٨ ط : دار الفكر ، وفي ص : ٤٣٩ : أنه الذي بال في المسجد ، وأنه ذو الخويصرة اليماني ، أو الأقرع بن حابس ، وفي كتاب الوضوء ص : ٣٢٤ : فتناوله الناس بألسنتهم . وللمصنف في الأدب : فثار إليه الناس ، فقاموا إليه ، فزجره الناس ، وعند البيهقي : فصاح الناس به ..

فأجاب أبو سفيان : مَحْضاً من أَوْسطنا نسباً ، هو فينـا ذو نسب ، هو والله من بيت قريش[1] .

وأنـا أرى أن فيليب خوري حتّي هو الـذي يقـال عنـه انتسب إلى العرب ، لأنّه لا يعقل أن يكون منهم وهو يشوّه تاريخهم ، ويشكّك بحقائقه ، وإلاَّ بمـاذا نفسر هذا الافتراء على رسول الله ﷺ ؟

☆ ☆ ☆

٣ ـ « ولما كان النبيُّ محمـد شـديـد الرغبـة في أن ينزع من عقول شعبـه الآراء الدينيَّة لعصر ما قبل الإسلام ، وخاصَّة الشرك والوثنيَّة ، فـإنـه لتعلُّقـه الشـديـد بمبدأ التوحيد ، أعلن أن الدين الجديد يمحو كل مـا كان قبلـه ، فحسب المفسّرون ذلك إيعـازاً لمحو كل مـا تحـدَّر إليهم عن العصور المـاضيـة من آراء وأفكار ، ولكن أنّى لهم ذلـك ؟ إن للفكر حيـاة مستمرة لا يستطيـع الإنسـان أن يميتهـا تمـامـاً ، وليس في مقدور شخص واحد مهما كان قوياً أن ينقض المـاضي بكلمـة واحـدة » ، صفحة ١١٧ ، و ١١٨ .

حقّـاً وصـدقـاً ، كانت عنـد رسول الله ﷺ رغبـة شـديـدة في نـزع الشرك والـوثنيّـة من عقـول العرب ، لأن الشرك والـوثنيَّـة انحطـاط في مستـوى العقـل البشري ، وانحدار في كرامته أن يعبد صنماً ، أو يتقرَّب إلى الله عز وجل بوثن .

التوحيد المطلق مبدأ رئيس في مبادئ الإسلام : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحد ﴾ ، فلا شرك ولا وثنيَّة .

أما أن الدين الجديد يمحو كل مـا كان قبلـه ، فهو هراء وافتراء من افتراءات حتّي ، وفلسفته التي أتبعهـا « إنَّ للفكر حيـاة .. » ، « وليس في مقـدور شخص

---

(١) إعلام السائلين : ١٠ ، ابن خلدون : ٣٦/٢ ، البداية والنهاية : ٢٦٢/٤ ، الكامل في التـاريخ : ١٤٣/٢ ، السِّيرة الحلبيَّة : ٢٧٢/٣ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : ٤٩٥/٣ .

واحد مهما كان قويّاً أن ينقض الماضي بكلمة واحدة » .. فحشو كلام . الإسلام جاء لينقض ويتمّ ويضيف .. ينقض الأوهام والشرك والوثنيّة والبدع والتحريف الذي لحق بالأديان قبله ، ويتم نقصها الروحي ، ويضيف تشريعاً للحياة كاملاً .

« الإسلام يمحو ما قبله » ، وفي الصفحة ١٦٧ ـ وكررها ـ « ومحا الإسلام ما قبله » ، تخبُّط يقوله من لم يستوعب مصادره ، أو أنَّه يعرف الحقيقة ويتجنّى عليها ، أو هو مشوّه التفكير والفهم . « الإسلام يَجُبُّ ما قبله » حديث شريف قاله ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه عند إسلامه بعد غزوة الخندق وبعد صلح الحديبية ، يريد بها ﷺ : إذا دخل رجل في الإسلام ، فدخوله يمحو ما كان قد عمله في جاهليته من ذنوب وآثام وبُعْدٍ عن الله عز وجل ، ويّثبت خطأ حتّي ، وفهمه السّقيم القرآنُ الكريم ذاته حيث ذكر كثيراً الأُمم التي سبقت وأحوالها والعبر من قيام الدول وانحطاطها ، وذكر أحوال العرب في الجاهلية وعقائدهم وأعمالهم وآراءهم ..

قال سويد بن الحارث : وفدتُ سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنا عليه وكلّمناه أعجبه ﷺ ما رأى من سَمْتِنا وزِيّنا ، فقال ﷺ : « من أنتم ؟ » ، قلنا : مؤمنون ، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال : « إنّ لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ » .

قلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أَمَرَتْنا بها رُسُلُك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتّنا أن نعمل بها ، وخمس تخلّقنا بها في الجاهليّة ، فنحن عليها ، إلاّ أن تكره منها شيئاً .

فقال رسول الله ﷺ : « ما الخمسة التي أَمَرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟ » .

قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .

قال ﷺ : « وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » .

قلنا : أمرتنا أن نقول : « لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

فقال ﷺ : « وما الخمسة التي تخلّقتم بها في الجاهليّة ؟ » .

قلنا : الشكر عند الرّخاء ، والصّبْر عند البلاء ، والرضى بِمُرّ القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشّماتة بالأعداء .

فقال رسول الله ﷺ : « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ، ثم قال ﷺ : « وأنا أزيدكم خَمْساً ، فيتمُّ لكم عشرون خصلة ، إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تَبْنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون ، واتقوا الله الذي إليه تُرْجَعون وعليه تُعْرَضون ، وارغبوا فيما عليه تَقْدمون ، وفيه تَخْلُدون »[(1)] .

فلم يمحو الإسلام في هذا الحديث الشريف خمسة أخلاق تخلّق بها العرب في الجاهلية ، ولكنها لو كانت شركاً ووثنيّة ما تردد مطلقاً بمحوها .

☆ ☆ ☆

٤ ـ وفي الصفحة ١٣٨ قال حتّي : قال ـ ﷺ ـ : « لقد أهديت للعزى شاة عفراء » ، وكان ذلك في أيام حداثته .

ومع يقيننا بعدم صحة هذا الكلام ، عدنا إلى « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف » علّنا نجد ولو حديثاً ضعيفاً يثبت كلام حتّي فلم نجد ، لأن الله عز وجل حفظ نبيّه الكريم ﷺ من كل أُمور الجاهليّة .

☆ ☆ ☆

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣٣٧/١ ، البداية والنهاية : ٩٤/٥ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : ١٨٠/٤ .

٥ ـ « في السّنة الحادية والسبعين بعد الخمسئة أو ما يقاربها ، وُلِدَ في قبيلة قريش بمكّة صبي دعته أُمُّه باسم قد يظل مجهولاً ، وبعد أن شبَّ أطلق عليه قومه لقب الأمين فلزمه ، أما في القرآن فاسمه محمَّد » ، صفحة : ١٥٥ .

هذا ما قاله حتّي ، وقد أخطأ بما يلي :

ـ ولـد ﷺ يـوم الاثنين ١٢ ربيـع الأول عـام الفيـل ، الموافـق : ٣٠ آب (أغسطس) ٥٧٠ م .

ـ ولما وُلِد ﷺ دعت أُمُّـه جـدّه عبـد المطلب ، فـأخـذه ودخل بـه الكعبـة وسمّاه محمداً ، فقيل : كيف سميت بهذا الاسم وليس لأحد من آبائك ؟ فقـال : إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلُّهم .

فاسمه ﷺ « محمد » منذ يوم ولادته لا كما يدعي حتّي : « دعته أُمُّه باسم قد يظل مجهولاً » .

ـ والأمين صفة أطلقها عليه قومه ، فهو محمد الأمين .

فهو محمد منذ ولادته ، وفي صباه ، وفي شبابـه ... ولكن سوء الفهم ، وخبث الطويَّة أوجدتا ـ في كتابه ـ مشكلة ، كي يقول : إنه جاء بجديد ، ولو كان الـذي جاء به هراء وتخبُّطاً .

☆ ☆ ☆

٦ ـ « وفيما هو نـائم [ﷺ] يوماً في هـذا الغـار ـ غـار حراء ـ سمع صـوتـاً يأمره قائلاً : ﴿ اقرأ باسْمِ ربِّكَ الـذي خَلَق ﴾ إلخ سورة العلق ، فكان هـذا أوّل الوحي وبدء الرسالة » ، صفحة ١٥٧ .

ثم قال في الصفحة ذاتها : « إلى أن جاءت السُّور المدنيَّة ، فإذا الصوت واحـد واضح ، وإذا محمد يتحقّق أن هذا الصوت هو صوت جبريل » .

يُفْهَمُ من المقطعين أنَّ النبي ﷺ لم يتحقَّق من الوحي طيلة بقائه في مكـة ، حوالي ثلاث عشرة سنـة ، إلى أن وصل المـدينـة المنورة : « إلى أن جـاءت السُّور المدنيَّة » . وهذا مرفوض ، فالحديث كما أورده عروة عن عائشة يدل على أن نزول جبريل حين نـزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظـة ، فليس القرآن ، هـذا التشريـع المتكامـل ، رؤىً وأحـلامـاً ، ومحمَّـد يعلم منـذ اليـوم الأول أن الـذي جـاءه ، هـو جبريـل ، فتتمـة الحـديث الشريف : « فخرجت حتى إذا كنت في وســط من الجبـل ، سمعت صـوتـاً في السماء ، يقـول : يـا محمـد ، أنت رسـول الله ، وأنـا جبريل » .

☆ ☆ ☆

٧ ـ « وكان النبيُّ في السَّنة السابقة ـ أي سنة ٦٢٦ ـ قد أمر بني النضير ، وهم قبيلة من يهود المدينة أيضاً بالجلاء ، أما يهود خيبر فأخرجهم من واحتهم الخصيبة في الشمال من المدينة سنة ٦٢٩ » ، الصفحة : ١٦٢ .

لقـد أجلى رسـول الله ﷺ بني النضير ، ولكن حتِّي لم يـذكر سبب هـذا الإجلاء .

لقـد خرج رسـول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في ديَّـة قتيلين من بني عـامر ، للجوار المعقود ، والـذي نصَّ على أن يعـاونوه في الـدِّيـات[1] ، وكان مـع رسـول الله ﷺ نفر من أصحـابـه دون العشرة ، فقـال بنـو النضير : نعم يـا أبـا القاسم ، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، وقد آن لك أن تزورنا وأن تأتينا ، ولكن حتى تُطْعَم وترجع بحاجتـك ، وكانَ ﷺ جـالسـاً إلى جنب جـدار

(١) الطبري : ٥٥٠/٢ ، عيون الأثر : ٤٨/٢ ، الكامل في التاريخ : ١١٩/٢ ، ابن هشام : ١٠٨/٣ ، البداية والنهاية : ٧٤/٤ ، السِّيرة النبويَّة لابن كثير : ١٠٨/٣ ، الاكتفاء : ١١١/١ ب ، السِّيرة النبويَّة والآثار المحمديَّة : ٩٤/٢ .

من بيوتهم ، فخلا بعضهم ببعض ، وقالوا : إنّكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟

فقال عمرو بن جحاش بن كعب ـ وهو أحد ساداتهم ـ : أنا لذلك ، فقال لهم سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله ليُخْبَرنّ بما هممتم به ، إنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه .

وقال بعض اليهود عندما رأوا قلة أصحابه ﷺ : نقتله ونأخذ أصحابه أسارى إلى مكّة فنبيعهم من قريش .

وأتى الخبرَ رسولَ الله ﷺ من السماء ، فقام ورجع مسرعاً إلى المدينة ، ثم أرسل محمد بن مسلمة إليهم ، فبلّغهم أمر رسول الله ﷺ أن اخرجوا من المدينة ، فلا تساكنوني بها ، فقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وأخبرهم بما همّوا به من ظهور عمرو بن جحاش على البيت ليطرح الصخرة ، فسكتوا ولم يقولوا حرفاً .

حاصر المسلمون حصونهم ، فسألوه ﷺ أن يجليهم ، ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا آلة الحرب والسّلاح . وكان ذلك ، فخرجوا مظهرين التجلّد ، مع زهو وفخر ، فجعلوا يمرّون قافلة في إثر قافلة ، وسلام بن أبي الحقيق رافع جِلْد جَمَل مملوء حُلياً وينادي بأعلى صوته : هذا أعددناه لرفع الأرض وخفضها ، وإن كنا تركنا نخلاً ففي خيبر النخل .

لقد طرح الإسلام في لحظاته الأُولى في المدينة مبدأ عامّاً ثابتاً على مرّ الزمن ، ألا وهو المآخاة والتسامح ، والعيش معاً مع الأديان الأُخرى ، مع الاحترام الكامل لعقائدها ، ولم يجعل ذلك شعاراً مرفوعاً ، بل منهجاً أثبتته الوقائع والأعمال .

الإسلام معتقد قوي ومتسامح معاً ، ولكنه ما جعل التّسامح موقفاً مهتزاً يتلقّى بسببه الضربات والمؤامرات ، بل جعل للتسامح قوة تحميه .

لقد أجلى رسول الله ﷺ بني النضير لغدرهم ، لمؤامراتهم ، لسبب ، بل لأسباب منطقية كافية .

- أما يهود خيبر فأخرجهم من واحتهم الخصيبة في الشمال من المدينة ، هذا قول حتّي ، وهو رأي سبقه إليه دافيد صموئيل مرجليوث في كتابه : Muhammed and the Rise of Islam, P. 392 ، حيث قال : إن المسلمين إنما غزوا خيبر للحصول على ما فيها من الغنائم . وحتّي يقول : أخرجهم من واحتهم الخصيبة .

ولكن غزوة خيبر لها أسبابها التي أغفلها حتّي ، وأغفلها مرجليوث من قبل .

ويمكننا أن نجمل أسباب غزوة خيبر بما يلي :

- العداوة المستمرة التي أعلنها حُيَيّ بن أخطب ، وتبنّاها سلاّم بن مشكم .

- رجوع النبي ﷺ من الحديبية دون عمرة ، فظن اليهود أن ضعفاً حلّ بالمسلمين .

- اتصال يهود خيبر بغطفان يحرّضونهم على المسلمين ، مقابل بعض ثمار خيبر وتمرها .

- الحلف المعقود برئاسة خيبر ، والذي أراد مداهمة المدينة المنوّرة .

- ولا يفوتنا أن يهود بني النضير الذين نزلوا خيبر ، هم الذين هَيَّؤوا وحرّضوا لغزوة الخندق ، قدموا مكة على قريش ، يدعونهم ويحرّضونهم على حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنّا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، والذين قالوا لقريش هذا ، هم سادة اليهود ، وزعماء خيبر وعلماؤها ، فهم يمثّلون قومهم كافة ، فالعقاب العادل آن أوانه ، « والاعتداء أمر ممقوت لا الحرب ، وليست كل حرب اعتداء » ، إن حبَّ القتل للقتل ذاته خُلُق رفضه الإسلام ، حارب سفك

الدماء ، وجعله غريزة مزجورة ، ولكنها ليست مبادة ، لحاجتها في أوقات مناسبة ، أُولاها الدفاع عن النفس في الحرب الوقائيّة .

ومع ذلك ما أخرجهم رسول الله ﷺ ، بل دفع الأرض لهم بشطر ممّا يخرج منها ، وقال ﷺ لهم : « على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم »[(1)] ، « ونُقرُّكم ما شئنا »[(2)] ، لقد ترك لهم ﷺ فرصة أخيرة .

وأَقَرَّهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ .

ثم أَقَرَّهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلى أن اعتدوا على عبد الله بن عمر ، وعلى مطهر بن رافع ، فأجلاهم ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره .

التّسامح سِمَةُ الإسلام أبداً ، فلو عاش اليهود في خيبر واحترموا عهودهم ، وأزالوا من نفوسهم التآمر والاعتداء والتّعالي ، فلا إجلاء ، أما أن يقبل المسلمون الظلم والتآمر والجور ، فهذا ما لا يقول به عقل سليم .

☆ ☆ ☆

٨ ـ « وبعد ثلاثة أشهر من حجة الوداع مرض النبي ﷺ فجأة فمات وهو يشكو من صداع شديد ، وذلك في الثامن من حزيران سنة ٦٣٢ هـ » ، صفحة : ١٦٥

بعد ثلاثة أشهر من حجة الوداع مرض النبي فجأة فمات ..

ونسي حتّي لجهل أو لتجاهل الشاة المسمومة التي قدّمتها زينب بنت الحرث وهي امرأة سلاّم بن مشكم إلى رسول الله ﷺ ، « فعمدت إلى عنزٍ لها فذبحتها وسلختها وطبختها ،ثم عمدت إلى سَمٍّ لا يلبث أن يقتل من ساعته ، فسمّت

(١) ابن هشام : ٢١٧/٢ ، السّيرة الحلبيّة : ٦٦/٣ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : ٣٧٥/٣

(٢) فتوح البلدان للبلاذري : ٣٦

الشاة ، وأكثرت في الذراعين والكتف »[1] .

وبقي رسول الله ﷺ ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه ، فقال : « ما زلتُ أجدُ من الأكلة التي أكلتُ من الشاة يوم خيبر عَداداً ـ معاودة الألم ـ حتى كان هذا أوان انقطاع أبْهَري[2] » .

☆ ☆ ☆

٩ ـ « ولم ينس محمد وهو في ذروة المجد أيام فقره وخمول ذكره ، بل بقي زاهداً في الطعام واللباس ، يسكن بيتاً من الطين كأكثر المنازل الحقيرة في الجزيرة العربية وفي الشام اليوم » ، صفحة : ١٦٥

محمد ﷺ ما كان في يوم من الأيام ، حتى قبل النبوّة ، خامل الذكر ، إنّه محمد الأمين ، فهو محطٌّ أنظار قريش في ودائعها ، ومحطٌّ أنظارها في الاستقامة والخُلق القويم .. ولكن حتّي يتخيّر ألفاظه ، فهو يقول في الصفحة ١٦٠ : « واشتدت إساءة قريش لمحمد ، فخرج إلى الطائف يطلب النصرة والمنعة بأهلها من قومه ، ويرجو إسلامها ، ولكنه عاد خائباً » ، وخائباً كلمة لا تليق ، أتراه يقول عن السيد المسيح خاب وخسر عندما سيق إلى الصلب حسب رأيه ؟ ولو قبلها عنه عليه الصلاة والسلام لا نقبلها نحن احتراماً وتكريماً .

ولا يضيره لو قال : « المنازل المتواضعة أو البسيطة » ، بدل قوله : « المنازل الحقيرة » ، فكلمة « متواضعة » أكرم ولائقة أكثر .

وقال في الصفحة ١٦٦ : « وتركت أعمال محمد اليوميّة وسلوكه في الأمور

---

(١) ابن خلدون : ٣٩/٢ ، الطبري : ١٥/٣ ، البداية والنهاية : ٢٠٨/٤ ، الكامل في التاريخ : ١٥٠/٢ ، السّيرة الحلبيّة : ٦٣/٣

(٢) الأَبْهَرُ : عرق مستبطن القلب ، وفي رواية : « ما زالت الأكلة التي أكلتُ بخيبر تُعَادُّني فهذا أوان انقطاع أبهري » ، وتعادُّني : تراجعني ، ويعاودني ألم سُمّها .

الخطيرة والتافهة ، أبعد الأثر في النفوس ، بحيث أصبحت قدوة يَقْتَدِي بها الملايين إلى يومنا الحاضر » .

رسول الله ﷺ ليست أعماله خطيرة وتافهة ، أعماله كلها هامة كبيرها وصغيرها ، ولا يقوم بعمل تافه وآخر خطير . إنه لم يستوعب معنى « السُّنَّة » ، ولو استوعبها لما عاب على مئات الملايين اتباع رسول الله ﷺ واقتداءهم به .

☆ ☆ ☆

١٠ ـ « وفي علم الإلهيات القرآني ، ليس محمد إلاَّ بشراً لم يتم الله على يده من العجائب غير إعجاز القرآن ، إلا أن التقاليد والأساطير التي اصطنعتها العامّة من بعد ، نسجت حول هامة الرسول هالة من النور الإلهي » ، صفحة ١٧٨/١٧٧

ليس محمد إلاّ بشراً ، صحيح : ﴿ قُلْ إنّما أنا بَشَرٌ مِثْلكم ﴾ ، ولكنه ﷺ امتاز عن البشر بِـ ﴿ يُوحَى إليّ ﴾ ، وهذا الذي « نسج حول هامته هالةً من النور الإلهي » ، لا التقاليد والأساطير .

ومعجزة القرآن الكريم معجزة خالدة كافية ، لأن الإسلام خاطب العقل الإنساني ، ولم يخاطب العواطف الإنسانيّة ، فالمعجزة وخوارق العادة تخاطب العواطف ولا تخاطب العقل ، والقناعة العقلية أبقى وأخلد ، وخوارق العادات « الأعاجيب » تنفع من رآها ، ويُسَلِّم المؤمنون بوقوعها تسليماً . ومع ذلك « التقاليد والأساطير » شيء ، والتاريخ الصحيح شيء آخر .

التاريخ الثابت يذكر لرسول الله ﷺ معجزات خارقة كثيرة ، منها :

وصف ﷺ المسجد الأقصى عندما سأله أبو جهل وقريش معه عن دليل يثبت الإسراء والمعراج وصفاً دقيقاً ، وأخبر قريشاً عن عيرها قافلة قافلة « عيركم بالتنعيم ـ اسم مكان ـ يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان مخيطتان ، تطلع عليكم

من طلـوع الشمس » ، فخرجـوا إلى الثنيـة « مكان قرب مكّـة » ، بـزعـامـة أبي جهل ، فجلسـوا ينتظرون طلـوع الشمس ليكـذبـوه ﷺ ، وقـال قـائـل : هـذه الشمس قد طلعت ، فقال آخر : والله وهذه العير قد طلعت يتقدمها بعير أورق كما قال[1] .

ووصف ﷺ معركـة مؤتـة وبيّن ميـدان وقـوعهـا والمـدينـة المنـورة مئـات الأميال فقال : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتِلَ شهيداً ، ثم أخـذهـا جعفر فقـاتل بهـا حتى قُتِـلَ شهيـداً ، ثم صمت رسـول الله ﷺ بُرْهَـةً حتى تغيّرت وجوه الأنصار ، وظنّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحـة بعض مـا يكرهون . ثم قال ﷺ : « أخذهـا عبـد الله بن رواحـة فقـاتل بهـا حتى قُتِل شهيـداً » ، فكبّر الأنصـار حتى ارتجت جنبـات المسجـد النبويّ الشريف طربـاً وسروراً بهـذا الفوز الكبير ، وبهذا الشرف العظيم ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أخـذ الرايـة سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم »[2] .

وأخبر ﷺ أصحابه الكرام بفتوحات أُمّته فيما سيأتي من الزمان ، مثل :

« إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطهـا خيراً ، فـإن لهم فيكم صهراً وذمّـة »[3] ، وأخبر ﷺ أثنـاء حفر الخنـدق بـأن الحيرة وقصـور كسرى وقصور الشام ستفتح للمسلمين ، وقد فُتِحت[4] .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣٦/٢ ، وكتب السيرة كلها .

(٢) الاكتفـاء : ١٣٦/١ أ ، السِّيرة النبـويّـة لابن كثير : ٤٦٣/٣ ، ابن هشـام : ١٤/٤ ، الكامـل في التـاريخ : ١٦٠/٢ ، ابن خلـدون : ٤١/٢ ، السِّيرة الحلبيّـة : ٧٨/٣ ، الطبري : ٤١/٣ ، عيـون الأثر : ١٥٥/٢ ، ابن سعد : ١٢٩/٢

(٣) الطبري : ٢٢٨/٢

(٤) الكامل في التاريخ : ١٢٢/٢

وقال عند الهجرة لسراقة بن مالك وهو في أشد السّاعات حرجاً ، إنه سيلبس سواري كسرى ونطاقه ، وتمّ ذلك بعد فتح العراق(١) .

وفي الطريق إلى تبوك لما فقد الجيشُ الماءَ ، قال ﷺ لأبي قتادة : هاتِ الميضأة ، فقرّبت إليه ، فحلَّ السقاء ، وصبَّ في الميضأة ماءً قليلاً ، مع قليل من ريقه الشريف ، ثم وضع يده الشريفة فيه ، ثم قال : ادنوا فخذوا ، فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا إناء إلا ملؤوه ، ورووا إبلهم وخيلهم ، ثم أمر الناس أن يملؤوا آنيتهم وأسقيتهم .

هذه المعجزات وعشرات غيرها أرادها فيليب خوري حتّي « أساطير » .

☆ ☆ ☆

١١ ـ « يقول إخباريو العرب إن المقوقس أهدى إلى رسول الله مارية القبطية وأختها ، ولقد ولدت له الأُولى إبراهيم » ، صفحة : ٢١٦

وحتّي لا يثق بإخباريي العرب ، لأنه انسلخ عنهم عندما باع قلمه لأعداء الأمّة العربيّة .

لقد حمل حاطب بن أبي بَلْتَعة رسالة رسول الله ﷺ إلى المقوقس ، والرسالة محفوظة إلى يومنا هذا في متحف توب كابي في اسطنبول ، وبلّغ حاطب الرسالة ، وعاد بهدايا المقوقس ، وتزوج رسول الله ﷺ مارية القبطية ، وهي أُم ولده إبراهيم ، وتزوّج حسّان بن ثابت أختها شيرين(٢) .

☆ ☆ ☆

---

(١) الكامل في التاريخ : ٧٤/٢ ، وإعلانه ﷺ عن موت كسرى يوم اغتياله معجزة كبيرة ، كانت سبب إسلام الأبناء في اليمن .

(٢) أسد الغابة : ٤٣٢/١ ، السّيرة الحلبيّة : ٢٨١/٣ ، السّيرة النبويّة لابن كثير : ٥١٤/٣

١٢ ـ « ولقد ذكر النقـادة ابن خلـدون في مقـدّمتـه الشّهيرة ص : ٤١٢ هـذا النـوع من الطب ـ الطب النبـوي ـ في شيء من الاستخفـاف » ، « وقـال : إن النبي إنما بعث ليعلم الناس الشرائع لا علم الطب » ، صفحة : ٣٢٤

بل لا يجد القارئ استخفافاً مطلقاً ، والعكس صحيح .

قال ابن خلـدون في مقـدّمتـه « الفصل التـاسع عشر ، في علم الطب ، ص : ٤٩٣ » : « إنمـا بُعِثَ ـ ﷺ ـ ليعلمنـا الشرائـع ، ولم يُبْعَث لتعريف الطب ولا غيره »، ثم قال ابن خلـدون عن الطب النبويّ وهو في غـايـة الاحترام والالتزام : « إذا استُعْمِل على جهـة التبرُّك وصـدق العقـد الإيمـاني ، فيكـون لـه أثر عظيم في النفع ، وليس هذا في الطب المزاجي ، وإنما صدق آثار الكلمة الإيمـانيـة ، كما وقع في مداواة المبطون بالعسل ، والله الهادي إلى الصواب ، لا ربَّ سواه » .

☆ ☆ ☆

وفي الصفحـــة ٥٠٨ يحيلنـــا حتّي إلى مرجـع أجنبي ، انظر : Bullelin de linstitut degypte , vol . xxv111 (Cairo , 1946) pp. 1-5 حيث تجـد صورة صغيرة للنبي يرجع عهدها إلى سنة ١٢١٧/١٨

يحيلنا إلى هذا المرجع ، وكأن الأمر حقيقة ، لم يكلّف نفسه عناء القول ، إنها خياليّة ، غير صحيحة ، لأنهـا رسمت بعـد رسول الله بستمئـة سنـة ، فمن رآه سنـة ١٢١٧ م أو ١٢١٨ م كي يرسمه ؟!

ولو كان خبراً أوْ حادثة فيها تمجيـد ، أو فضل لحضـارتنـا الإسلاميـة ، لقـال حتّي بكل ثقـة : الخبر مرفوض ، لأنـه كُتِبَ بعـد ستمئـة سنـة من وقوعـه ، لِمَ لَمْ يذكره الأوّلون ؟!

☆ ☆ ☆

فيليب حِتّي

وعقيدتنا

☆ « يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، حتى نقضي عليه تماماً يجب أن نبيّن للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً » .

المبشّر تاكلي

«التبشير والاستعمار، ص: ٤٠»

افترى حتّي افتراءات كثيرة حول الإسلام عقيدةً ومنهجاً ، وأتى بأحكام قلقة مضطربة ، نوردها حسب تسلسل ورودها في صفحات « تاريخ العرب ـ مطوّل » :

١ ـ « وقد ظهرت ديانة العرب بعد اليهودية والمسيحية ، فأصبحت ثالثة الديانات التوحيديّة وخاتمتها ، وهي من الناحية التاريخيّة تَمُتُّ بأوثق الصلات إلى هاتين الديانتين ، فكانت أقرب الديانات إليهما على الإطلاق ، وهكذا فإن هذه الديانات الثلاثة ليست إلاّ نتاجاً لحياة روحيّة واحدة هي الحياة السّاميّة ، ومن هنا هان على المسلم المؤمن ـ إذا استثنينا بعض الأحوال ـ أن يُسَلِّم بمعظم ما تنطوي عليه العقائد المسيحية » ، صفحة : ٢

أ ـ « ديانة العرب » : الإسلام ما خُصَّ بالعرب ليسمّى « ديانة العرب » ،

فالآيات الدَّالة على عموم الرسالة ، وعالميَّة الإسلام كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ للعَالَمِينَ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين ﴾، [ص : ٨٧ـ ٨٨].

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ ، [الفرقان : ١] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً ونَذِيراً ، وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ، [سبأ : ٢٨] .

﴿ قُلْ يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُمْ جَميعاً ﴾ ، [الأعراف : ١٥٨] .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكونَ ﴾ ، [التوبة : ٣٣] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالمِينَ ﴾ ، [الأنبياء : ١٠٧] .

ب ـ « وهي من الناحية التاريخيَّة تَمُتُّ بأوثق الصلات إلى هاتين الديانتين ـ اليهودية والمسيحية ـ » : اعتقد المستشرقون والغربيُّون أن اليهود هم مصدر العقائد الدينيَّة التي احتوتها التوراة ، وأنهم هم الذين تلقَّوا وحيها الأوَّل من أنبيائهم غير مسبوقين إليها فيما سلف .

والأمر لا يحتاج إلى عناء لإظهار الخطأ في القول المذكور ، فإن مراجعة التوراة ـ التي بين أيدي الناس حالياً ـ أيسر مراجعة ، ترينا أن اليهود تلقوا أهم العقائد الكونيَّة ، وأهم التعاليم الشرعيَّة ممن تقدَّم أنبياءهم ، بل من الشعوب التي عاشوا بينها ، وكان فيها أُناس من أتباع الرسل الأقدمين .

إن التوراة المتبقِّية اليوم تبتدئ بسفر التكوين ـ وهو جماع عقائدهم الدينيَّة ـ ولا تسنده إلى أحد من أنبياء بني إسرائيل ، ولذا فلا حاجة إلى القول بأن عقائده سابقة للنبوءات الإسرائيليَّة ، وأن اليهود تعلَّموه عمَّن سبقهم ، سواء كان من وحي الأنبياء الأسبقين ، أو من تراث الشعوب الموروث عن الأسلاف .

فكيف يقرأ المستشرقون هذا في التوراة ، ثم يلجُّون بإصرار على أصالة اليهودية ، واعتبار الإسلام فرعاً من هذه الشجرة ؟ بينما هي فرع من أصل قديم ، بل من عدة أُصول ، وإن في أُصول الإيمان : كالإيمان بالله ، والنُّبوَّات ، والحساب والعقاب .. فَرْقاً كبيراً بين الإسلام واليهودية وغيره من الأديان .

إن الله « يَهْوَا » عند بني إسرائيل إله قبيلة واحدة ، يختصُّها بحظوته ، والله في الإسلام إله الخلق أجمعين ، ولا فضل بينهم إلاّ بالتقوى .

الحساب عند بني إسرائيل يُؤخذ الأبناء بذنب الآباء ، فيلحق الجزاء بالخلف البعيد انتقاماً من جنايات الأجداد .. أمَّا الحساب في الإسلام ، فلا يؤخذ إنسان بجريرة إنسان ، ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ﴾

والهيكل في اليهوديَّة هو الذي يتقبَّل القربان من العباد ، ولا يُقبل قربان بغير وساطة الكُهَّان الأَحْبار ، أمَّا في الإسلام فلا شيء من هذا مطلقاً .

إن جاز التشبيه بالأُصول والفروع ، فيمكننا أن نقول أن الإسلام شجرة أُخرى تحمل الثمرات الخيِّرة من الأديان السَّابقة بعد التهذيب والتجويد ، وإن ثمرات الشجرة الإسلاميَّة لا تحملها تلك الشجرات .

فليست اليهوديَّة جذراً للعقيدة الإسلامية لأنها تفرَّعت عما سبقها ، ولم تكن جذراً لما تلاها .

والثابت أن اليهود تعلَّموا عن المسلمين في لغتهم وأدبهم وحكمتهم .. لاسيَّما في العصر الحديث ، وأن المسلمين لم يأخذوا من اليهود شيئاً غير تلك (الإسرائيليات) التي تناقلها الجاهلون ، وفرغ المصلحون من تطهيرها من العقول .

أما الافتراء القائل بأن الإسلام أخذ من المسيحيَّة ، فقد سبق حتّي إليه : داڤيد

صموئيل مرجليوث ، والقس كانون سل ، ودرمنجهم ، وقالوا : إن الجزء الخاص بالمسيحيَّة في القرآن قد تعلَّمه النبي ﷺ من صهيب أو من ورقة بن نوفل ..

وقد ردَّ « بودلي » في كتابه « سيرة الرَّسول » هذا الافتراء معتمداً على عدم وجود ترجمة للإنجيل قبل ظهور الرسول ، وذكر أن الترجمات العربيَّة للعهدين القديم والحديث ظهرت بعد عهد النبي ببضعة قرون ، فكيف يُقال أنه اطلع عليه أو أخذ منه ؟.

هذا .. ويخالف الإسلام عقيدة التثليث في المسيحيَّة ، بتوحيد مطلق ، فأين الاقتباس ؟!

وأما القول إن الإسلام فرع لأن فيه كما في اليهوديَّة والمسيحيَّة صلاة وصوم وعبادات ، فليس وجود عبادة في دين ، ووجود ما يشبهها في دين آخر دليلاً لاتهام أحد الدينَيْن بأنَّه أخذ عن الآخر ، ولا شك أن منطق من يقول بهذا منطق سقيم ، واستنباطه غير مستقيم . ومع كل هذا فإن العبادات في الإسلام غيرها في اليهودية أو المسيحيَّة .

جـ ـ « وهكذا .. فإن هذه الديانات الثلاث ليست إلاَّ نتاجاً لحياة روحيَّة واحدة هي الحياة السَّامية » ، وقال في الصفحة ٨ : « كذلك بلغت الديانة السَّاميَّة في الإسلام كَمَالَها الطبيعي » .

وهذه الأقوال تنفي الوحي ، والصوت الإلهي في الإسلام ، وفي الديانات السَّماوية كلها ، الدين ليس نتاجاً لحياة روحيَّة ، بل وحي الله لنبي . وبلغ الإسلام الكمال لأنَّه خاتم الأديان .

د ـ « ومن هنا هان على المسلم المؤمن ـ إذا استثنينا بعض الأحوال ـ أن يُسَلِّم بمعظم ما تنطوي عليه العقائد المسيحيَّة » .

هذا ادعاء ، نقيضه الصحيح ، هان على المسيحي في البلدان التي فُتحت أن يُسْلِم ، ويعتنق عقيدة الفاتحين لأنه رأى عقيدة المسلمين بصفائها خالية من أية شائبة تشوبها ، فالمسيح عليه السّلام في القرآن مكرَّم له معجزات لم يذكرها الإنجيل ، وأُمُّه صِدِّيقة .

☆ ☆ ☆

٢ ـ « تقديس الحجارة والغذران في العصور التي سبقت عصر الحجر الأسود ، وبئر زمزم في الجزيرة ، وعصر بيت إيل في فلسطين » ، صفحة : ٣٢ ، وقال في الصفحة : ٨٤ : « عبادة الكعبة » ، وقال في الصفحة : ١٣٩ : « وفي وسطها ـ وسط الكعبة ـ قام نصب هو عبارة عن قطعة من الحجر البركاني الأسود يعبدونه » ، وفي الصفحة : ١٦٣ نجد : « وأقرَّ ـ ﷺ ـ الحجَّ إلى الكعبة ولثم الحجر الأسود فيها ، وهما من فروض الدين المرعيَّة في الجاهليَّة »[1] .

الحجُّ فيه طقوس وثنيَّة !

تقديس وتقبيل الحجر الأسود الذي يشبه الحجارة المقدَّسة الأخرى ، بقايا وثنيَّة جاهلية !!

الحجُّ ليس من الطقوس الوثنيَّة ، إنَّه من شعائر أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم ﴾ ، [إبراهيم : ٣٧] ، واستجاب له ربُّه ، وجعل من مقام إبراهيم مصلًّى ، ومكان التقاءٍ تهوي إليه أفئدة البشر في مشارق الأرض ومغاربها .

وما نظن عاقلاً يمكن أن يدور في خلده أن الله تعالى أراد تقديس بيت إبراهيم وإسماعيل لحجارته وجدرانه ، لأننا ندرك أن التقديس هنا تقديس

(١) ونسي حتّي أن قومه قد تركوا التوحيد ، وأخذوا التثليث من العقائد الوثنية ، انظر كتاب : « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » و « محاضرات في النصرانية » .

معنوي ، فلا قدسيَّة لأحجار الكعبة بذاتها ، إنما القدسيَّة للأمر الإلهي وحده ، فالامتثال لأمر الله تعالى ، وهو المعوَّل عليه في هذا المقام ، بدليل لو رُفع هذا الأمر الإلهي لَرُفِعَ معه تقديس المكان ، واتجاه المسلمين إلى الكعبة رمز لوحدة العقيدة والهدف ، والاتجاه إلى الكعبة إنما يتم بالجسد وحده ، وأمَّا القلب والروح فإلى الله اتجاههما وبه تعلقهما .

وما خطر ببال أحد من المسلمين أنَّه يتوجَّه إلى الكعبة لذاتها ، أي لحجارتها ، بل يدرك أنَّه يتَّجه بفكره وروحه وقلبه إليه تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ ، [البقرة : ١١٥] ، ولسان الحاج المسلم يثبت هذا ، فقلبه ولسانه يقولان : (لبيك اللَّهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ..) ، فالتَّلبية استجابة لأمر الله ، وليست للكعبة ، وما سمعنا عن أحد أنَّه قال : لبيك يا كعبة لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ولعلَّ مما يفسِّر هذا ، قول بعض الصالحين : طاف الجسد بالبيت ، وطاف القلب بربِّ البيت .

فلا « عبادة للكعبة » مطلقاً ، وما قال بهذا مسلم .

أما الحجر الأسود ، فإنَّنا نقول حوله : اتخذ العرب آلهتهم في الجاهليَّة من أشياء لا تحصى ، ومع ذلك فلم يروا مطلقاً أن الحجر الأسود كان ضمن آلهتهم ، بل كانت له مكانة محترمة لأنَّه من بقايا بناء إبراهيم للكعبة . وعلى ذلك .. إن الإسلام لم يقر « وثنيَّة » كانت في الجاهليَّة .

وإنَّ استلام الحجر الأسود في الحجِّ يرجع إلى اعتبار رمزي ، لا إلى تقديس الحجر ذاته ، فلما أعادت قريش بناء الكعبة ، اختلفت بطونها على من يعيد الحجر إلى مكانه ، وأقبل محمَّد الأمين قبل البعثة بخمس سنوات ، فدعوه لرجاحة عقله وحبِّهم له « فهو الأمين » ليفصل في الأمر ، فبسط رداءه ووضع فيه الحجر ، وجاء من كل بطن رجل حمل من طرف الرداء حتى أوصله عليه الصَّلاة والسَّلام إلى موضعه ، فوضعه بيده الشريفة ، وأنهى مشكلة حرجة .

ووقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً أمام هذا الحجر وقال : « إنّي أعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنّي رأيت رسول الله يقبّلك ما قبّلتك » ، ولهذا فليس تقبيله واجباً على الحاج ، ولا يشترط تقبيله .

والحجر الأسود ليس في وسط الكعبة ، بل في ركن من أركانها ، وليس لثمه من الفروض المرعية في الجاهليّة ، فأين دراسة التاريخ بعلم وشموليّة وموضوعيّة يا حتّي ؟!

☆ ☆ ☆

٣ ـ « إلاّ أن أبرهة لم يفلح بل فتك الجدري (سجيل في القرآن) بجيشه أي فتك » ، صفحة : ٨٤ ، وجعل حتّي مرجعه : ابن هشام السّيرة ، صفحة : ٣٦

عدنا إلى الجزء الأوّل من سيرة ابن هشام ، صفحة ٣٦ ، فوجدنا ابتداء خبر : النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط ، وفي الصفحة ٤٧ ، يقول ابن هشام تحت عنوان : عقاب الله لأبرهة وجنده : «فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان[1] ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه أمثال الحُمُّص والعَدَس[2] ، لا تصيب منهم أحداً إلاّ هلك ـ وليس كلهم أصابت ـ وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا .. » .

هذا ما أورده ابن هشام .

وجاء في كتاب الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَل كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيل ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيل ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ

(١) نوعان من الطيور .

(٢) في الشكل فقط ، وليس في المقدار .

سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُول ﴾ ، [سورة : الفيل] ، ولما نزلت هذه السُّورة ، كان في قريش من يعي ويدرك تمام الإدراك حادثة الفيل ، فلو كان بها شك يساوي واحد إلى مئة لانتهزت قريش آيات السُّورة إعلامياً ، وحاربت رسول الله ﷺ والمسلمين وقرآنهم ..

فمن أين جاء حتّي بأن السّجيل هو الجدري ؟

☆ ☆ ☆

٤ ـ « إنّ بلاد الحجاز لم تساهم أيّام الجاهليّة في مجرى الحوادث العالميّة ، ولكنها في الواقع لم تكن مجهولة تمام الجهل، وقد بدأ انعزالها بعد الإسلام منذ السنة الثامنة للهجرة، حين جهّز المسلمون عشرة آلاف رجل إلى مكّة، فتمّت أُمنية محمد في أن يفتح أُمَّ القُرَى من غير إراقة دماء، فدخلها ثم عفا عن خصومه جميعاً، وطهّر الكعبة من الأصنام، ودخل أهل مكّة في الإسلام»، صفحة: ١٤٦

هل صحيح أن بلاد الحجاز بدأ انعزالها بعد الإسلام منذ السّنة الثامنة للهجرة ..؟.

أَمْ عكس هذا القول هو الصحيح ؟

وهل يُعْقَل أن حتّي لم يقرأ أو يطّلع على رسائل رسول الله ﷺ إلى ملوك وأُمراء عصره ، فأضحت الحجازُ مركز ثقل العالم كله ؟

أين العزلة وقد أرسل ﷺ عمرو بن أُميّة الضمري برسالة إلى نجاشي الحبشة يدعوه فيها إلى الإسلام ؟

وأرسل عبد الله بن حذافة السّهمي إلى كسرى في المدائن .

ودحية الكلبي إلى هرقل قيصر الروم في القدس .

وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر في الاسكندريّة .

وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحرث بن أبي شَمِر الغسّاني .. يدعوهم إلى الإسلام .

أيّة عزلة هذه بعد السّنة الثامنة للهجرة ، وقد بدأت الحجاز تسيطر على سير الأحداث العالميّة ، حتى أضحت المدينة المنوّرة وهي في الحجاز عاصمةً لكل الجزيرة العربية ، مع كل البلاد المحرّرة في مصر وشمال إفريقية والشام والعراق ؟!

☆ ☆ ☆

٥ ـ « ولكنه لم يكن طبيعياً أن تمر مدنيّة الجنوب العربيّة دون أن تترك بعض الآثار في أُختها الشمالية ، وهذه نقوش حِمْيَر تشير إلى ذلك ، فهناك رقيم (٥٤٢ ـ ٣ م) لأبرهة يعرض لانهيار سد مأرب ، كَشَفَ عنه المستشرق غلازر ، ونشره فإذا في مطلعه هذه الكلمات : (بقوّة ونعمة ورحمة الرحمنان ومسيحه وروح قدسه) ، ولفظة (رحمنان) في الأصل تسترعي اهتمام الباحث ، لأنّها أصبحت فيا بعد الرحمان في لغة قريش ، ولهذه اللفظة شأن واضح في القرآن كأحد أسماء الله الحسنى العامة في جميع المصنّفات العربيّة ، وأخصها كتب الفقه وعلم الكلام والشرع ، وهي كثيرة الورود في سورة مريم ، واللفظة الواردة في الرقيم المذكور ، وإن دلّت على الإله الحيّ عند النصارى ، فالظاهر أنّها مأخوذة عن اسم أحد المعبودات القديمة في الجنوب ، ومما يذكر في هذه المناسبة أن الأسود العنسي الذي قام فتكهّن في اليمن في بدء الإسلام كان يُسَمّي نفسه رحمان اليمن ، كما تسمّى مسيلمة من قبل رحمان اليمامة .. » ، صفحة : ١٤٦

أولاً : فالظاهر أنّها مأخوذة من اسم أحد المعبودات القديمة في الجنوب ، رأي لا صحة له ، فلم يرد مطلقاً أن لفظ « رحمان » ، قد أُطلقت على أحد المعبودات القديمة لا في الجنوب ولا في غيره .

ثانياً : تسمّى الأسود العنسي « برحمان اليمن » ، لأنّه قام بردّته يقول :

« أيُّها المتمرِّدون علينـا ، أمسكوا علينـا مـا أخـذتم من أرضنـا ، ووفِّروا مـا جمعتم فنحن أَوْلى به .. »[1] ، وكانت ردّتـه « أوّل ردَّة في الإسلام » ، فلمـا تنبَّأ مسيلمـة الكذاب ، حـاكى الأسود وقلَّـده وتسمّى « برحمـان اليمامـة » تقليـداً ومحـاكاة ليس غير .

ثالثاً : كلمـة « رحمـان » اسم من أسماء الله الحسنى منـذ آدم أبي الأنبيـاء ، ولم يغيّر الله ـ سبحـانـه وتعـالى ـ أو يلغي اسماً من أسمائـــه الحسنى في الإسـلام ، وفي إنجيل متى ، الاصحـاح الخـامس : ١٧ : « لا تظُنّوا أنّي جئتُ لأَنقُضَ النـامـوسَ والأنبياءَ ، ما جئتُ لأنقضَ بل لأُكمّل » .

فالأنبياء ما نقضوا كل ما سبق ، نقضوا ما ابْتُدع وحُرِّف ، ثم أكملوا وأتمّوا .

☆ ☆ ☆

٦ ـ وقـــال حتّي عن الـــوثنيّـــة التي « تضعضعت » : « وتـــدنَّت إلى حيث أضاعت مكانتها ، ولم يبق لها فاعلية في إحياء نفوس الأمَّة الخـاملـة وإيقـاظهـا ، فخرج عليها فئة اعتنقوا نزعة توحيديّة غامضة ، هؤلاء الحنفـاء ، ومنهم أُميَّـة بن أبي الصلت المتوفى ٦٢٤ م ، وكانت تربطه بالرسول قرابـة عن طريق أُمّـه ، ومنهم ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، ولو أن بعض المصادر جعلت ورقـة نصرانيـاً ، أمـا من ناحية النُّظم السّياسيَّة ، فإن الحياة القوميّة المنظَّمة التي نشأت قديماً بين عرب الجنوب إذ ذاك متهدّمة متضعضعة ، وقد تهيأت الأسباب ، ودنت السَّاعـة لظهور زعيم ديني وقومي عظيم » ، صفحة : ١٥٢

وقـــال في الصفحـــة : ١٥٨ : « ولكن القـوم أمعنـوا في ضـلالهم وأسرفـــوا في

---

(١) البدايـة والنهـايـة : ٣٠٧/٦ و ٣٠٨ ، الطبري : ٢٢٩/٣ ، الكامل في التـاريخ : ٢٢٨/٢ .. ومـا أُخـذ في بقعـة من قبـل المسلمين ، كان يصرف على فقراء ومرافـق وخـدمـات تلـك البقعـة ، والفائض يرسل إلى العاصمة .

الإساءة إليه ، إلاَّ زوجته خديجة ، وكانت قد تأثَّرت بتعاليم ابن عمِّها ورقة بن نوفل ، وهو حنيف ، فكانت أوَّلَ امرأة أسلمت » .

ـ لو تضعضعت الوثنيَّة وأضاعت مكانتها ، ولم يبقَ لها فاعليَّة .. لما قامت قريش تحارب رسول الله ﷺ بهذا العنف والقوة . لقد سَفَّه ﷺ عباداتهم وأصنامهم ودعاهم إلى التوحيد ، فقاموا يدافعون عن أوثانهم ..

ـ أما هذه الغمزات : قرابة رسول الله ﷺ من أُميَّة بن أبي الصلت ، وقرابة ورقة بن نوفل من خديجة زوجته ﷺ ، وبعض المصادر تجعله « نصرانيّاً » ، كل هذه الغمزات يدحضها البحث العلمي الموضوعي :

لو تعلَّم رسول الله ﷺ من ورقة وأُميَّة ، لقالت قريش له لما دعاها إلى الإسلام والقرآن : إنَّهما أعطياك هذا ، ولكان ذلك ورقة رابحة بيد قريش ، لأنه ـ ﷺ ـ لن يستطيع إنكار ما أخذ وهم شهود ، وهذا ما لم تقله قريش في حربها الإعلاميَّة ضد النبيِّ ، وضد القرآن ، وهي التي أشاعت ما أشاعت ، وعملت ما عملت للوقوف في وجهه ﷺ .

وأين ورقة وأُميَّة بن أبي الصلت من سؤال يُسْأَله رسولُ الله ﷺ ، فنرى الإجابة قد وُجدت في حينها ، وجاء القرآن الكريم يشرحها ويحدد موقفه منها ، وهذا يدحض دحضاً قاطعاً كون القرآن من عندهما ، ولو كان جزء من عندهما ، لكانت الحوادث التي جرت بعدهم ، وتكلَّم بها رسول الله ﷺ من عنده لها أسلوب يغاير أُسلوبه ، أي لكان في القرآن أُسلوبان متغايران ، وهذا ما لا نراه في القرآن الكريم مطلقاً .

وفي القرآن العظيم آيات لا توافق عقيدة المسيحيَّة ، فكيف يُمْليها ورقة أو أميَّة ؟

ولماذا انتقى ورقة وأُميَّة محمداً وأعطياه هذا التشريع الخالد المعجز ، ولم يدّعياه لنفسيهما ؟

لماذا يعطيان المجد والخلود والشهرة وخير البشريّة وإنقاذها إلى محمد يتيم أبي طالب ، ولم يدّعيا ذلك لنفسيهما ؟

والقرآن العظيم معجز ، وتحدّيه قائم لأُمّة تباهت بالفصاحة واللغة ، وفيه من المعجزات العلميّة ما جعل المنصفين اليوم في الثلث الأخير من القرن العشرين في حيرة ودهشة ، لأنها فوق طاقة البشر .. وهذا ينفي أن القرآن من عند بشر ، ورقة أو أُميّة أو غيرهما .. ويثبت الوحي والنبوّة والرّسالة الإلهية .

☆ ☆ ☆

٧ ـ « ولم يكن الإسلام يطالب المنضوين فيه إلا بالشهادة الشفهيّة وتأدية الزكاة » ، صفحة : ١٦٥

النُّطق بالشهادة نقطة بدء تعني الدخول في عقيدة جديدة ، يلتزم بموجبها بحقوق وواجبات .

وما ذُكرت الزكاةُ في الإسلام إلاّ قُرِنت بالصلاة : أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة .

فالنطق بالشّهادة ، يعقبه عمل بأركان الإسلام جميعها ، ومن نطق بالشهادة فقط ولم يدخل الإيمان قلبه قال عنه سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ، [الحجرات : ٤٩] . فالإيمان : « ما وقر بالقلب وصدّقه العمل » ، لذلك أرسل ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن وحضرموت معلّماً . وعمرو بن العاص إلى عُمَان معلّماً ، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين مُعلّماً .. وكان ﷺ يقول : ما بال أقوام لا يتعلّمون ولا يعلّمون ..

النطق بالشهادة نقطة البدء لعقيدة من أسسها : « ليس منّي إلا عالم أو متعلّم » ، ومن أُسسها : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

قال عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون ، إنَّما يَتَذَكَّرُ أُلُوا الألْبَاب ﴾ ، [الزمر : ٩] . ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ ، [طه : ١١٤] .

☆ ☆ ☆

٨ ـ « والنُّقّاد من العلماء يرون أنَّ لفظة أُمّي في القرآن (الأعراف : ١٥٦ ، آل عمران : ٦٨ ـ ٦٩ ، الجمعة : ٢) ، ترمز إلى غير أهل الكتاب ، ويجب أن تفسَّر ـ كلمة كان محمد أُميّاً ـ بمعنى الذي لا يقرأ الأسفار المقدَّسة مما عند اليهود والنصارى » ، صفحة ١٦٨

لا يقرأ الأسفار المقدَّسة ممَّا عند اليهود والنَّصارى ، كلام صحيح مقبول ، وهو اعتراف من حتّي أنه ـ ﷺ ـ لم يطَّلع على عقائد اليهود والنَّصارى ، ولم يعلّمه أحدٌ منهم ، ولم يقتبس أيضاً من كتبهم شيئاً .

« والنُّقّاد من العلماء » عبارة غامضة ، لأنه لم يذكر منهم أحداً .

إن أوّل من قال : « لفظة أُمّي في القرآن ترمز إلى غير أهل الكتاب .. » ، وروّج لهذا أبو الوليد الباجي ، من علماء الأندلس في القرن السّادس الهجري ، والباجي قال : كتب النبي اسمه فقط في معاهدة صلح الحديبية كمعجزة ، ورأى ذلك زيادة في معجزاته . ثم قال بهذا من « النُّقّاد » نولدكه في كتابه : (تاريخ القرآن : ٥٨/١) ، وقال : أورد البخاري في صحيحه خبراً في ثلاث روايات يستفاد منه أن النبيَّ كتب بيده يوم عقد معاهدة الحديبية مع مندوب قريش سهيل بن عمرو ، سنة ست للهجرة (٦٢٨ م) .

أُمّيّة النبيّ ﷺ تفسّرها آية كريمة ، وحديث شريف :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ، [العنكبوت : ٤٨] .

وقال ﷺ : « نحن أُمّة أُمّيّة لا تقرأ ولا تحسب » ، فمعنى الآية الكريمة واضح جلي في هذا الحديث الشريف .

ولو تذكّر الذين يخوضون في هذا البحث لإثبات قراءة وكتابة النبي ، أن ما يقولونه قد يكون وجّه إلى النبي ﷺ مباشرة ، وأن القرآن الكريم قد ردّ عليه وعلى زيفه علناً وبصراحة قطعيّة ، وأن أصحابه وأخصّاءه ﷺ كانوا يتلون هذا الردّ الصريح القطعي ، لوفّروا على أنفسهم التعب والعناء ، ولما عرضوها لتهمة الغرض والعناد ، بل الكذب والمكابرة .. فلا يمكن أن يعلن النبيّ ﷺ بلسان القرآن الكريم ، وبأُسلوب قاطع صريح أنّه لا يقرأ ولا يكتب لو كان يقرأ ويكتب ، ولاسيّما لو كان أصحابه يعرفون ذلك فيه ، لأنّه يثير حالاً شكّ هؤلاء في ربّانيّة القرآن الكريم ، وصدق النبي ﷺ ، وهذا وذاك من الخطورة بمكان عظيم .

أما عمّا جرى في صلح الحديبية ، فروايات البخاري ومسلم والسّيرة الحلبيّة ، وسيرة ابن هشام ، وفي الطبري والكامل في التاريخ ، والبداية والنهاية .. كلُّها روايات محمولة بعضها على بعض ، يفسّر بعضها بعضاً ، وهي تنصّ على ما يلي :

لما أراد النبي ﷺ كتابة صلح الحديبية ، دعا عليّ بن أبي طالب ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا نعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيلَ بن عمرو ، فقال سهيل : لو نعلمك رسول الله مانقاتلك ، ولكن اكتب : اسمك واسم أبيك ، فقال لعلي رضي الله عنه : امح رسول الله ، فقال : لا أمحوك

أبداً ، فقال ﷺ : أرنيه ، فأراه إيّاه ، فمحاه رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . فلو كان ﷺ قارئاً كاتباً لما قال : أرني مكانها .

وما سبق ذكره ابن كثير في تفسيره : ٤١٧/٣ ، حيث قال بعد الآية الكريمة : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ ، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم دائماً إلى يوم الدين ، لا يحسن الكتابة ، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده ، بل كان له كُتَّابٌ يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم ، ومَنْ زعم مِنْ متأخّري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه ﷺ كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فإنّما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : ثم أخذ فكتب ، وهذه محمولة على الرواية الأُخرى : ثم أمر فكُتِب[1] ، ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي ، وتبرّؤوا منه ، وأنشدوا في ذلك أقوالاً[2] ، وخطبوا به في محافلهم ، وإنّما أراد الرجل ـ أعني الباجي ـ فيما يظهر عنه أنّه كتب ذلك على وجه المعجزة ، لا أنّه كان يحسن الكتابة .

☆ ☆ ☆

٩ ـ « في السّنة التي تلت وفاة النبيّ ، عهد أبو بكر فيما تذهب إليه التقاليد الإسلامية ، إلى زيد بن ثابت كاتب النبيّ ، أن يجمع أجزاء القرآن المبعثرة من المخطوطات المختلفة ، ويقال إن عمر هو الذي أشار بذلك على أبي بكر لما لاحظ أنّ القتل قد استحر[3] في القرّاء (حفظة القرآن) في حروب الرّدّة ، وخشي على القرآن من الضياع .. » ، صفحة : ١٦٩ .

---

(١) ورواية مسلم عن البراء بن عازب أيضاً فيها : « أرني مكانها » .

(٢) منها قولهم :

بَرِئْتَ مِمَّن شَرَى دُنْيا بِآخِرةٍ ... وَقَالَ إنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ كَتَبا

(٣) كَثُرَ وشاعَ في القرّاء .

ثم قال حتّي : « وأمر بكل نُسَخِ القرآن الأُخرى أن تُباد ، أما في رأي العلم الحديث فإنَّ المصحف الذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر الصّدّيق كان مصحفاً خاصّاً لا رسميّاً » ، صفحة ١٦٩ .

وقال في الصفحة ١٧٠ : « ولقد اتَّفَق دارسو القرآن من نقاد العلم الحديث على صحة الرواية في نُسَخِهِ المتداولة اليوم ، وأن هذه النسخ تكاد أن تكون مطابقة للأصل الذي أقرَّه زيد ، وأن نصَّ القرآن المعروف اليوم هو كما نزل على لسان محمد » .

وفي الصفحة ١٧٢ : « ومريم أُمُّ عيسى هي بنت عمران وأُخت هارون في آنٍ واحد » ..

هذا التخبُّط مصدره إما ضحالة ثقافة وعلم حتّي ، أو الدسُّ الرخيص . فتراه يبدأ بقوله : « فيما تذهب إليه التقاليد الإسلاميّة » ، وهذا في رأيه تمريض وارتياب ، أتبعها بقوله : « ويقال إن عمر هو الذي أشار بذلك على أبي بكر .. » .. من أين نأتي بتوثيق تاريخ أُمّة هي صاحبة الحدث والأمر ؟ إن تاريخ الرومان واليونان والفرس والصين والهند .. لم تذكر المراجع والمصادر العربيّة تفاصيله ، فهل شكّت تلك الأُمَمَ بتاريخها المفصّل ، لأنّنا لم نذكر عنه شيئاً ؟!

إن دقَّة القرآن العلمية ، بل الحرفيّة أثبتها العلم الحديث ، باعتراف فيليب خوري حتّي عندما قال : « ولقد اتفق دارسو القرآن من نقاد العلم الحديث على صحة الرواية في نسخه المتداولة اليوم .. » .

القرآن الكريم محفوظ بعناية ما سقط منه حرف ، والتّالون له ضابطون لكلماته واحدة واحدة على مرّ الزّمن .

وسلامة النصّ القرآني كانت موضع دراسة الدكتور موريس بوكاي ، فقدّم كتابه : (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة) ، فخرج ـ عن علم ودراسة وموضوعية ـ بنتيجة هي : « صحّة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النصّ مكانة خاصّة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نصّ القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد » ، صفحة : ٢٤٦ ، وطالب الدكتور بوكاي بناء على دراسته العلمية : « بحتميّة دراسة الأُمور العلميّة والتاريخيّة الواردة في (الكتب المقدّسة) على ضَوْء القرآن الكريم فقط دون سواه ، فهو وحده لا يحتوي على أيَّة مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث » .

إن دقة النصّ القرآني أمر لا يحتاج إلى طويل حديث ، ولكن حتّي غمز عندما قال : « ومريم أم عيسى هي بنت عمران وأخت هارون في آن واحد » ، صفحة ١٧٢ ، وقد سَخُفَ كما سخُف بعض المستشرقين والمبشّرين حين أشاروا إلى بعد المسافة بين مريم وهارون ، وهذا مستغرب ، لأنّ النبيّ الكريم والقرآن العظيم لا يجهلان هذه المسافة ، ولقد ذكرت الروايات (انظر الطبري ، ابن كثير ..) أن المغيرة بن شعبة سأل النبي ﷺ عن هذه المسألة بالذات ، فأجابه بأنّ بني إسرائيل كانوا يتسمّون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم ويتشبهون بهم ، وهذا هو المتبادر من الآية الكريمة ، حيث قصد التشبيه بين مريم وهارون عليهما السّلام بالورع ، على الأُسلوب العربي حيث يقولون يا أخا الصلاح ، ويا أخا الجود ، ويا أخا العرب ..

فيا أُخت هارون كناية عمّا كانت تعرف به مريم من التقوى ، وتشبيهاً لها بهارون أخي موسى عليهما السّلام ، الذي كان رئيس كهنة الله[1] .

---

(١) التفسير الحديث ، محمد عزة دروزة : ٤٠/٣ .

أمـا قول حتّي : « وأمر ـ أبو بكر ـ بكل نسـخ القرآن الأُخرى أن تُبَـاد » ، فهـو قـول من يظن بـأنّـه لم يكن زمن خـلافـة أبي بكر الصّـدّيـق إلا أبـو بكر وزيـد بن ثـابت ، أين المسلمون ؟ أين صحـابـة رسول الله ﷺ من تغيير حرف واحد زيـادة أو نقصـانـاً ؟! هـذا .. ولم تكن هنـاك نسخ للقرآن أُخرى قبل جمع زيد لنسخته ، فماذا أباد[1] ؟!

☆ ☆ ☆

١٠ ـ « لقد نسج الإسلام في ترتيب صلاة الجمعة على منوال اليهود في عبادتهم بالكنيس ، إلا أنَّه تأثَّر من بعـد بطقوس صلاة الأحـد التي يمـارسهـا النَّصـارى في البِيَع » ، صفحة : ١٨١ .

كيف نسج ؟
كيف تأثَّر ؟

لم يوضح حتّي ذلـك ، أمـا إذا أراد أن في الإسلام كما في اليهوديّـة والمسيحيّـة صلاة جمـاعـة وعبـادات ، فقول سخيف ، لأن جميع أديـان العـالم فيهـا مـا يقـوّم النفس ، فليس وجود عبادة في دين ، ووجود ما يشبهها في دين آخر دليلاً لاتهام أحد الدينين بأنَّه أخذ عن صاحبه ، ومنطق من يقول بهذا منطق سقيم . ومع كل هذا ، العبادات في الإسلام غيرها في المسيحيَّة أو اليهوديَّة كما مرَّ معنـا في صفحـات سابقة .

☆ ☆ ☆

١١ ـ « ولقـد تغيَّرت مقـادير الـزكاة على مرِّ الأيّـام ، إلا أنَّهـا تتعيَّن دائمـاً

---

(١) أُبيدت عشرات الأناجيل ، واعتمد من الأناجيل أربعة فقط ، فحتّي هنـا في موقف الإسقـاط ، وكأنّه اتهم المسلمين بمـا اتهم ، لكي لا يُسْأَل ويُنَـاقش لمـاذا أُبيـدت عشرات الأنـاجيل واعتمـدت أربعة فقط ؟!

بالرجوع إلى الفقه ، والزكاة على العموم تبلغ اثنين ونصف بالمئة من الأصل الذي تجبى منه .. » ، صفحة ١٨٢ ، وقال في الصفحة ٢٩٢ : « وقد جعل معاوية الزكاة اثنين ونصفاً بالمئة من أُعطيات المسلمين » .

وصواب ما سبق :

الزكاة لا تتغيَّر على مرِّ الأيَّام ، إن نسبتها ثابتة ، قال ﷺ : « إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم ، وليس عليك شيء (يعني في الذهب) حتى يكون لك عشرون ديناراً ، فإذا كان لك عشرون ديناراً ، وحال عليها الحول ففيها نصف دينار » ، رواه أبو داود والبيهقي ، نيل الأوطار : ١٣٨/٤ .

وتعريف الزكاة : حقٌّ يجب في المال ، مقداره ربع العشر ، أي ٢,٥٪ .

وزكاة الزروع والثمار معروفة ، قال ﷺ : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثَرياً[١] العُشْر ، وفيما سقي بالنضح نصف العُشْر » ، رواه الجماعة إلا مسلماً عن ابن عمر (نيل الأوطار : ١٣٩/٤) .

وقوله ﷺ : « فيما سقت الأنهار والغَيْم العشور ، وفيما سقي بالسانية[٢] نصف العشور » .

ولزكاة الحيوان أو الأنعام بحثها المحدد أيضاً[٣] .

فزكاة المال على مرِّ الأيام نسبتها ثابتة ، ولكن يجب تقويم نصاب الزكاة في

---

(١) العثري : ما يسقيه المطر ، أو تشرب عروقه من ماء قريب من غير سقي ، وفي لفظ : بعلاً .
(٢) الساني : البعير الذي يُستقى به الماء من البئر .
(٣) انظر « الفقه الإسلامي وأدلّته » ، د . وهبة الزحيلي : ٨٣٧/١ : [زكاة الإبل ، الغنم ، البقر ، الخيل ..] .

كل زمـان بحسب القـوّة الشرائيّـة للنقـد المعـاصر ، وبحسب سعر الصرف لكل من الذهب والفضّة في كل سنة ، وفي بلد المزكّي وقت إخراج الزكاة .

☆ ☆ ☆

١٢ ـ وقال حتّي عن عمر رضي الله عنه : « يحرم من لم يكن عربيّاً من حقّ الرعويّة في هذه الجمهوريّة .. » ؛ صفحة ٢٢٦

هذا القول الذي تنقضه أعمال وتوصيات عمر رضي الله عنه ، يجعلنا نقول : إنـه أراد الانتقاص من قدر عمر ، وخاصة عندمـا قـال عنـه رضي الله عنـه : أجلى اليهود بالرغم من عقود الأمان السالفة .. والعقود التي أرادها حتّي صوابها ما يلي :

تفحّص عمر رضي الله عنه الأمر مع كبار الصحابة ، ثم قال لليهود في خيبر : من كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتِ بـه أنفّذه لـه ، ومن لم يكن عنـده عهـد فليتجهّز للجـلاء[١] ، فـأجلى يهـودَ خيبر ، وأعطـاهم قيمـة مـا كان لهم من تمر وغيره ، كما أجلى يهود فَدَك ونصارى نجران .

جاء رجل من بني الحقيق وقال : يا أمير المؤمنين ، أتخرجنا وقـد أقرّنـا محمـد وعاملنا على أموالنا ، وشرط ذلك لنا ؟

فقـال عمر رضي الله عنـه : أظننت أني نسيت قـول رسـول الله ﷺ لـك : « كيف بكَ إذا أُخرجت من خيبر يعـدو بـك قلوصـك[٢] ليلـة بعـد ليلـة » ؟ ، فقال : هذه كانت هزيلة[٣] من أبي القاسم ، فقال عمر : كـذبت يـا عـدو الله[٤] .

---

(١) الطبري : ٢١/٣ .

(٢) القلُوص من النُّوق الشّابة .

(٣) الهَزْل ضدُّ الجِدّ .

(٤) السِّيرة الحلبيّـة : ٦٨/٣ ، السِّيرة النبويّـة لابن كثير : ٤١٥/٣ ، الكامل في التـاريخ : ١٥١/٢ ، ابن هشـام : ٢٢٨/٣ ، ابن خلـدون : ٣٩/٢ ، البـلاذري (فتـوح البلـدان) : ٤١ ، البـدايـة والنهاية : ٢١٩/٤ : « لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان » .

فعمر ، وقد تمثّل الإسلام به ، أحرص الناس على عقود الأمان والمعاهدات وتنفيذها .

☆ ☆ ☆

١٣ ـ « وقد احتفظ الإسلام بنظام الرقيق السّامي القديم الذي أقرّته التّوراة من قبل ، ومع أنّ الإسلام أوصى بإصلاح شأن العبد ، وضع ـ أي ألغى ـ الشرع استرقاق المسلم ، فإنّ الرقيق لم يكن من حقّه أن يُعْتَقَ بمجرّد دخوله في الإسلام ، وكان معظم العبيد في فجر الإسلام من أسرى الحرب ، أو الغزو ، أو من الذين شروا بالمال .. ونصّت الشّريعة الإسلاميّة أنّ مولود الأَمَةِ من غير سَيّدها عبد سواء أكان الوالد عبداً أو حرّاً ، وكذلك يحسب ولدها من سيّدها مالم يعترف ببنوّته ، أمّا أولاد العبد من زوجة حرّة فأحرار » ، صفحة : ٣٠٣ .

ـ « وقد احتفظ الإسلام بنظام الرقيق السّامي القديم الذي أقرّته التوراة من قبل » ، وصواب هذه العبارات : في التوراة :

اليهودي لا يُسْتَرَق ، أما غير اليهودي فهو وحده الذي يجوز استرقاقه بالحرب أو الشراء ، ويعامل بعنف ، ولا يجوز تحريره أو افتداؤه ، ويبقى رقيقاً أبد الدهر ، (سفر التثنية ١٥ : ١٢ ـ ١٤) ، وفي اعتقاد اليهود ، أنّ الله جعل الغرباء عبيداً لليهود ، فلا يتحرّر من يقع في رقّهم بعتقٍ أو فداء .

أمّا في الإسلام : فالرّقّ عَجْزٌ حُكْمِيٌّ يصيب من يقع أسيراً في حربٍ مشروعة ، وبهذا التعريف يختلف الرّق في الإسلام في مصدره ومفهومه عن قوانين وشرائع الشعوب الأُخرى ، لأنّ مصدره الوحيد في الإسلام « حرب مشروعة » ، وهي قتال من يصد دعوة الإسلام بعد أن يتبلّغها ، وألغى ما سواه من المصادر الأُخرى ، فضيّق بذلك المدخل إلى الرّق ، ثمّ حضّ على العتق ويسّر أسبابه ،

فأوسع بـذلـك الخروج من الرّق ، وأمر أن يعـامل الرقيق معـاملـة كـريمـة تحفـظ شعوره الإنساني[1] .

وهذا الرّق مؤقت ، يزول بالفداء أو العتق ، وشرّع للأرقّـاء شرعـة لم يسبقـه إليهـا دين من الأديـان ، واعتبر الرّق نظـامـاً دوليـاً لا يمكن إلغـاؤه من جـانب واحد ، فالرّق في الإسلام نظام استثنائي فرضته ظروف الحرب كمعاملـة بـالمثل ، هذا .. وليس في القرآن الكريم آية واحدة تحثّ أو تحضّ أو تحبّذ الرّق ، وكـذلـك الحديث الشريف .

فأين هذا من نظام الرقيق الذي أقرّته التوراة ؟

ـ « إنّ الرقيق لم يكن من حقّه أن يعتق بمجرّد دخوله في الإسلام » .

وهـذا أمر طبيعي ، خشي الإسـلام ألاعيب المنـافقين ، فقـد يُظْهِرُ أحـدهم الإيمان في الأسْرِ ، حتى إذا نجا بنفسه ، عاد إلى قومـه يحمل السّلاح ليسيء إلى من أحسنوا إليه ، وإذا كان الرجل صادقاً في الإسلام ، فلن تضرّه مهلة يسترد بعـدهـا حريّته في منفذ من المنافذ ، كالعِتْق أو المكاتبة أو التدبير[2] ..

ـ « ونصّت الشريعـة الإسلاميّـة أن مولود الأَمَـة من غير سيّـدهـا عبـد سواء أكان الـوالـد عبـداً أو حرّاً ، وكـذلـك يحسب ولـدهـا من سيّـدهـا مـالم يعترف ببنوّته .. » .

أوّلاً : هل يحقُّ للأَمَةِ لقاء غير سَيِّدها إذا تسرّى بها ؟

ثانياً : إذا أصاب السّيِّد أَمَتَـه فحملت منـه ووضعت حُرِّم بيعهـا أو هبتهـا ، وأُعتقت بموته ، وكان ولدها منه حُرّاً .

---

(١) انظر : الرّق ماضيه وحاضره ، د . عبد السلام الترمانيني ، سلسلة عالم المعرفة (٢٣) .

(٢) وإذا كان الإنسان رقيقاً لمشرك أو كافر وأسلم فـإنـه يتحرّر ، فقـد أعتق النبيُّ ﷺ عبيـد أهل الطائف لما انضمّوا إليه ، وأبى أن يردّهم إلى مالكيهم وقال : « هم عتقاء الله عزّ وجل » .

ـ ولم يتعرّض حتّي لموقف الكنيسة من الرّق ، لأنّها أيّدت بوجه عام استرقاق من لا يدين بالمسيحيّة ، وقد اتخذ الأوربيون من هذا المبدأ أساساً لاسترقاق الشّعوب ، واستندت الكنيسة في إباحتها استرقاق الزنوج إلى ما ورد في التوراة[1] من أن نوحاً عليه السّلام لعن ابنه حام ودعا ربّه أن يجعله هو وأولاده عبيداً لأخَوَيْه سام ويافث ولأولادهم من بعدهم ، وقد كان للكنيسة مصلحة ماديّة في الاعتماد على هذا النصّ التوراتي لتبرير استرقاق الزنوج ، فقد أغراها تجار العبيد بالمال ، وجعلوا لها رسماً عن كل عبد تُعَمِّده ، فيتنصّر بالتّعميد وتطهر روحه من دنس اللعنة التي أصابته من دعاء نوح . وفي المعجم الكبير للقرن التاسع عشر « لاروس » : لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم ، فإنّ نواب الدّين الرّسميين يقرّون صحّتّه ، ويسلّمون بشروعيّته .. وجاء فيه أيضاً : الخلاصة أن الدين المسيحي ارتضى الاسترقاق تماماً إلى يومنا هذا ، ويتعذّر على الإنسان أن يثبت أنّه سعى في إبطاله .

وكانت الملكة « اليزابيت الأولى : ١٥٥٨ ـ ١٦٠٣ م » ، تشارك في الاتّجار بالرقيق ، وكانت شريكة « لجون هوكنز » أعظم نَخّاس في التاريخ ، وقد رفعته إلى مرتبة النّبلاء إعجاباً ببطولته ، وجعلت شعاره رقيقاً يرفل في السّلاسل والقيود .

ومن المفارقات الطريفة : أنّ السّفينة الّتي أعدّتها لجون هوكنز ، كانت تسمّى « يسوع » ، وكان عدد السّفن المخصّصة للاتجار بالرقيق ١٩٢ سفينة ، تتّسعُ حمولتها في الرحلة الواحدة ٤٧,١٤٦ رقيقاً ، وقد طلبت انجلترا من رجال الدين مبرّراً لهذه التجارة ، فأسعفوها بنصوص التوراة التي تقدّمت !!

---

(١) وهنا يصح القول : « وقد احتفظت المسيحيّة بنظام الرقيق السّامي القديم الذي أقرّته التوراة من قبل » .

ولويس الثالث عشر ملك فرنسة ، لم يصدر قراراً باسترقاق الزنوج ، إلاّ بعد أن أوحوا له أنّه الطريق السّليم لهدايتهم للمسيحيّة !!

☆ ☆ ☆

١٤ ـ « ولقد أثّر القانون الروماني مباشرة أو بواسطة التلمود في التشريع الأُموي ، إلاّ أن المدى الذي بلغه ذلك الأثر لم يتحقّق بعد » ، صفحة : ٣١٠ .

ولن يتحقّق هذا الأثر ، لأنّه لا يوجد تشريع أُموي مطلقاً ، فالإسلام كان نهج المجتمع في الدولة الأُمويّة .

☆ ☆ ☆

١٥ ـ واصل بن عطاء : « وهو مؤسّس المدرسة الفكرية التي اعتمد أصحابها على العقل دون النقل ، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين ، أي أنّ الفاسق المرتكب للكبائر يعتزل عن جماعة المؤمنين ، فهو ليس بمؤمن ولا كافر ، بل له مقام وسط بين الاثنين وهو الاعتزال ومنه عرفوا بالمعتزلة » ، صفحة : ٣١٣ .

وصواب سبب التسمية ما يلي :

سئل الحسن البصري[1] عمّن يكفّر أصحاب الكبائر ، وعمّن يرجئونهم ، فتفكّر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء[2] : أنا لا أقول إنّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى أُسطوانة من أسطوانات المسجد يقرّر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسمي هو وأصحابه معتزلة[3] .

☆ ☆ ☆

(١) توفي رضي الله عنه سنة ١١٠ هـ .

(٢) ٨٠ ـ ١٣١ هـ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني : ٤٨/١

١٦ ـ « بناء المدارس يُعَدُّ من النوافل في الإسلام » ، صفحة ٤٩٩ .

النَّفْلُ والنَّافِلَةُ : ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه ، [اللّسان : نفل] .

أين هذا من أوّل كلمة نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ اقرأ ﴾ ؟

ومن السُّورة الثانيَّة من حيث النُّزول : ﴿ ن ، والقلم وما يسطرون ﴾ ، وفسَّر العلماء « ن » بالدواة ؟

وأين هذا من : « العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، « ليس منّي إلاَّ عالم أو متعلّم » ؟

بل أين هذا من أسرى بدر ، قال ابن سعد « الطبقات : ٢٢/٢ » : « كان أهل مكّة يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن له فداء دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلَّمهم ، فإذا حذقوا فهو فداؤه » ؟

وهل وصل المسلمون إلى بقعة من الأرض ولم تزدهر بها العلوم ، ولم ينشئوا فيها المدارس والجامعات والمستشفيات ..؟

أنسي حتّي الأندلس وصِقِلّيَّة وجنوب فرنسة وما وراء النهر وبغداد ودمشق ، إن في دمشق حيٌّ كامل اسمه حيُّ المدارس ؟

فبناء المدارس في الإسلام من الفروض ، علماً أن المساجد كانت حلقاتها مدارس لكل العلوم أيضاً .

☆ ☆ ☆

١٧ ـ « جعل المأمون الاعتزال دين الدولة الرَّسمي » ، صفحة ٥١٧ .

ونسأل حتّي : ماذا كان دين الدولة قبله ؟

الصواب : الاعتزال مذهب الدولة الرَّسمي ، فالدين هو الإسلام لم يتبدل ولم يتغيَّر .

وقال في الصفحة ٧٣٦ : « أما الأحكام التي وضعها عليهم الشّرع الشّافعي فانظر بشأنها الأبشيهي » .

وصوابه : المذهب الشافعي ، ولا نعرف شرعاً اسمه « الشّرع الشافعي » .

☆ ☆ ☆

١٨ ـ وقال حتّي في الصفحة ٨٦٨ عن الجزيرة العربيّة : « كانت الجزيرة العربيّة كتلة مستقلة بذاتها متميّزة من كتلة أفريقية الشمالية ، وكتلة الهلال الخصيب ومصر . وقد أحاط بالجزيرة بصفتها مهد الإسلام هالة من القدسيّة ، ومن هنا صار لها مكانة خاصّة في قلوب المسلمين في كل العالم ، وقد طبعتها قدسيتها هذه وانعزالها الجغرافي ومواصلاتها غير المنظّمة بطابع العصور الوسطى الذي لا يزال يميّزها حتى الآن » .

ـ الجزيرة العربيّة كتلة متمّمة لكتلة الهلال الخصيب ومصر ، وبعض الجغرافيين يعتبرون أرض الجزيرة ما بين الدجلة والفرات منها ضمناً .

ـ وصحيح أن للجزيرة العربيّة مكانتها الخاصّة في قلوب المسلمين في كل العالم ، كما لكل أتباع الديانات الأُخرى أمكنة لها قدسيتها عندهم ، ولكن هذه القدسيّة لم تسبب انعزالها ، بل العكس صحيح ، هذه القدسيّة جعلت مئات الأُلوف من المسلمين يؤمونها كل عام . وطابع العصور الوسطى طابع رائع عظيم .

طابع العصور الوسطى طابع التأخّر والظلام والجهل وحرق العلماء ومحاربة المعرفة حقٌّ لا ريب فيه ، لكنه ينطبق على أُوربة وحدها ، باستثناء أُوربة التي وصلها المسلمون .

وطابع العصور الوسطى في العالم الإسلامي طابع الجامعات المفتوحة للطلبة الأُوربيين الذين جاؤوا من بلادهم لطلب العلم ، فطابع العصور الوسطى عندنا ، طابع الحضارة الرفيعة السّامقة ، التي نهلت منها أُوربة فكانت نهضتها .

فيليب حِتّي

وحضارتنا

☆ « إنّ التاريخ لا يهتم بماذا كان يمكن أن يحدث ، لو أن هذا قد حدث ، أو لو أن ذاك لم يحدث ، إنّ التّاريخ أعمق وأدق من أن يسبح في الخيال ، فواجبه الأوّل هو الاهتمام بالحقائق ، فكل موجة علمٍ أو معرفةٍ قدمت لأوربة في ذلك العصر ، كان مصدرها بلدان إسلاميّة » .

د . زيغريد هونكة

[شمس العرب تسطع على الغرب، ص: ٥٤١]

أما الافتراءات التي أوردها حتّي حول حضارتنا العربيّة الإسلاميّة ، فمنها :

١ ـ « ولم ينشئ العرب امبراطوريّة فحسب ، بل أنشأوا ثقافة زاهرة أيضاً » ، صفحة : ٢

وصوابه : ولم ينشئ المسلمون امبراطوريّة فحسب ، بل أنشؤوا حضارة زاهرة أيضاً .

☆ ☆ ☆

٢ ـ « وقاموا مقام الوسيط في أن نقلوا إلى أوربّة خلال العصور الوسطى كثيراً من هذه المؤثرات الفكريّة التي أنتجت بالتالي يقظة أُوربة الغربيّة ، ومهّدت لها سبيل نهضتها الحديثة » ، صفحة : ٢ أيضاً .

يناقض ما سبق ، رأي آخر سجّله حتّي في الصفحة : ٤ ، قال فيه : « ثم إن اللغة العربية هي لغة تخاطب لما يقرب من خمسة وأربعين مليوناً من النـاس[1] ، وقـد كانت طوال قرون عـديـدة في العصور الـوسطى لغـة العلم والثقـافـة والفكر الرّاقي في جميع أنحاء العالم المتمدّن ، بحيث كان مـا أُلّف فيهـا فيما بين القرن التـاسع والقرن الثاني عشر من التآليف الفلسفيّة والتاريخيّة والدينيّة والفلكيّة والجغرافيّـة أكثر مما أُلّف في أي لغة أُخرى ، وهذه لغات أُوربة الغربيّة لا تزال إلى الآن تحمل أثر الطابع العربي في طائفة كبيرة من الألفاظ المستعارة » .

العرب المسلمـون ليسـوا في مقـام الـوسيـط ، كما في الفقرة الأولى ، بـل ألّفـوا وأضافوا ورفدوا الحضارة في شتى فروعها العلميّة .

وقـال حتّي في الصفحـة : ٢٣٢ : « المـدنيّـة العربيّـة الإسلاميّـة ـ وصـوابهـا الحضارة العربيّة الإسلاميّة ـ هي تكملة للمدنية ـ أي الحضارة ـ السّـاميّـة العريقـة الّتي زهت في الهـلال الخصيب ، ابتـدعهـا ورعـاهـا الآشـوريّـون والبـابليّـون والفينيقيّـون والآراميّـون والعبرانيّـون ـ وهـذا إقحـام للعبرانيين بـدل العرب الكنعـانيين[2] ـ ، ثم أتمّ عملهم العرب ، فهي مثـال الـذروة القصـوى التي بلغتهـا مدنيّة ـ أي حضارة ـ البحر المتوسّط القائمة في غرب آسية » .

« وقاموا مقام الوسيط » .

إنّ هذه العبارة الحاقدة ، تعطي العرب المسلمين دورَ سـاعي البريـد فقـط ، وتنقص من قدرهم .

إن بساط الحضارة بساط نسجته وتنسجه أيدٍ كثيرة ، وكلُّها تهبـه طـاقتهـا ، وكلُّها تستحق الثناء والتقدير .

---

(١) ما يقرب من مئتي مليون من الناس حالياً .

(٢) يتناسى الكنعانيّين لأن التوراة في جدولها لم تذكرهم بين أبناء سام ، لأسباب سياسيّة ودينيّة .

ولم تنكر الحضارة العربيّة الإسلاميّة اعتمادها في نموّها وتطورها وازدهارها على حضارات أُخرى سبقتها ، كحضارة الهند والفرس والصين والإغريق[(١)] .

أما ما أسماه الأُوربيُّون : « المعجزة اليونانيّة » ، فإنها تتلخص بقيام اليونان بتدوين ما ابتدعته عبقريات الشرق الأدنى من الآثار بشكل منسّق .

وبما أن حضارة كل أُمّة هي امتداد لحضارة من سبقتها من الأُمم ، فيجدر القول هنا إنّ العديد من الحقائق التاريخيّة تذكر بأنّ الحضارة اليونانيّة هي امتداد للحضارة العربيّة القديمة في وادي الرّافدين ، ووادي النيل ، وبلاد الشّام ، ولذلك فمن المؤكّد أن يكون الإغريق الذين اقتبسوا من الحضارة العربيّة في شرق البحر المتوسّط ومصر الشيءَ الكثير من العلوم المختلفة ، الذي عاد أكثره إلينا على أنّه علم وطب إغريقي ونُسِيَ الأصل[(٢)] .

إن طاليس (٦٢٤ ـ ٥٣٦ ق . م) كان من أُوائل علماء اليونان المتخصّصين بالعلم والحكمة ، وقد قام بزيارة مصر عدة مرات ، ونقل معه العلوم الهندسيّة ، إضافة إلى ذلك ، فإنّه تعلّم من الفينيقيين العرب تحسينات في فن الملاحة بواسطة النجوم ، بمساعدة الجداول الفلكيّة البابليّة .

أما فيثاغورس (٥٧٢ ـ ٤٩٧ ق . م) الذي زار مصر عدة مرات ، وتعلّم فيها العلوم الرياضيّة ، كما أنه مكث في بابل مدّة طويلة ، ودرس علم الرياضيّات فيها أيضاً ، وبات من المعروف الآن في الأوساط العلميّة بأن النظريّة التي نُسِبَتْ إليه ، والتي تقول : مساحة المربع المنشأ على وتر مثلث قائم الزاوية تساوي مساحة المربّعَيْن المنشأيْن على الضلعين القائمين ، هي في الأصل بابليّة[(٣)] .

---

(١) الإغريق واليونان في معنى واحد .

(٢) انظر الفيصل ، العدد ٩٢ (حضارة الإغريق امتداد للحضارة العربيّة القديمة) ، د . غازي الحاجم .

(٣) انظر « أطلس التاريخ العربي » ، صفحة : ١٨ ، حيث صورة اللوحة الحجريّة التي وجدت في تل حرمل ، المدينة البابليّة ، الواقعة في ضواحي بغداد .

أمـا ديمقراطس (٤٧٠ ـ ٣٦١ ق . م) ، وأفلاطـون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق . م) ، وأيـودكسس (٤٠٨ ـ ٣٥٥ ق . م) ، فقـد أقـام كل واحـد منهم في مصر ، ودرس العلوم المصريّة المختلفة التي نقلها بدوره إلى اليونان .

والطب اليونـاني استفـاد الكثير من العلوم الطبيّـة المصريّـة والبـابليّـة ، إن شعار الأفعى كرمز للشفاء ، معروف لـدى العـاملين في الحقول الطبيّـة المختلفـة ، وقـد اعتُقِـد بـأن هـذا الشعـار من أسقلابيوس اليونـاني ، ولكن توجـد في متحف اللّوفر بباريس منحوتة من لكش ـ إحدى المدن العراقيّة القديمة ـ ، يعود عهدهـا إلى ألفي سنـة قبـل الميـلاد ، مـزّينـة بـدورق فيـه صـورة لأفعيين ملتفّتين على بعضهما ، يقف خلفهما (جوديـا) أمير لكش ، ومكتـوب عليهـا : إنهـا مهـداة إلى نينكيش زيدا مع الشّفاء .

وأثبت ريجتال ثومبسون في كتابه : « النباتات الطبيّة الآشوريّة » ، جدولاً بما اقتبسه اليونانيون من النباتات الطبيّة العربيّة[١] .

---

(١) أهم مـا اقتبسـه اليـونـانيـون من النبـاتـات الطبيّـة العربيّـة القـديمـة ، كما جـاءت في كتـاب (ثومبسون) :

اللفظة اليونانيّة :	الكلمة العربية اليوم :	الكلمة الآشوريّة :
Myrrha	المُرّة	Murra
Termis	الترمس	Tarmus
Azaolus	الوزال (البلّوط)	Arzallu
Curcuma	الكركم	Kurkamu
Sesamum	السُمسم	Samassamu
Saffaran	الزعفران	Azupiramu
Amber	العنبر	Anber
Cherry	الكرز	Karru
Carob	الخروب	Marabu
Cotton	القطن	Kitu

ولا شكّ أنّه بعد أن انتقلت العلوم الطبيّة العربيّة المصريّة والبابليّة إلى اليونان ، حدث تطور كبير لا ينكر في العلوم الطبيّة اليونانيّة ، وخاصة في جزيرة كوس اليونانيّة ، حيث تأسّست مدرسة طبيّة فيها ، وظهر بها أعظم أطباء اليونان أبو قراط (٤٦٠ ـ ٣٧٥ ق . م) .

وللحضارة العربيّة الإسلاميّة الفضل الكبير في المحافظة على التراث اليوناني والعربي القديم ، لأنّ الأوربيين كانوا يجهلون العديد من مؤلّفات اليونان التي اعتمدت أصلاً على التراث العربي القديم .

« إنّ ماقام به العرب ـ المسلمون ـ لهو عمل انقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ العالم ، وإن حضارة قد هوت وتحطّمت وكانت على وشك الفناء أمام أعين خالقيها الذين صار لهم الآن هدف آخر يسعون إليه ولا يمت لهذا العالم بصلة ، فما بقي من هذه الحضارة ، يجب أن تشكر عليه البشريّةُ اليوم العربَ وحبهم للعلم ، ولا يعود لبيزنطة فيه إلاّ فضل قليل ، وعلى أيّة حال ، فإن مابقي ليس إلاّ جزءاً من كل ، فأدب القدماء ـ كاملاً ـ لا ولن نعرفه ، فلقد فُقِد الكثير منه »[1] .

وجاء دور العرب المسلمين في بناء الحضارة ، فنقلوا وترجموا .. وصحّحوا ودرسوا وأضافوا وأبدعوا ..

فلوغارتمات الخوارزمي الرياضيّة باقية في كل أرجاء العالم إلى يومنا هذا .

وبصريات الحسن بن الهيثم ، جعلت زيغريد هونكه تقول : « علم البصريّات علم عربي دون أيّة مبالغة[2] » .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ، د. زيغريد هونكه ، ص : ٣٧٧

(٢) في كتابها : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص : ٢٧٩ ، وقال عنه وول ديورانت : « لامبالغة مهما قلنا في أثر ابن الهيثم في العلم في أوربة » .

وكل من لم يطَّلع على كتب ابن سينا والرَّازي ، وأراد ممارسة الطب ، اتُّهم بالعمل على الإضرار بالمصلحة العامَّة[1] .

وطب ابن النفيس مشهود له معروف ، سبق هارفي بأربعمئة سنة ، وسبق سارفيتوس بثلاثمئة سنة ، وقد قيل فيه : « لا يوجد على وجه الأرض قاطبة مثيل له ، ومنذ ابن سينا لم يوجد أحد في عظمته[2] » .

الجرَّاح الأندلسي أبو القاسم الزهراوي : « أدخل تجديدات كثيرة ليس على علم الجراحة عامة فحسب ، بل أيضاً على مداواة الجروح ، وفي تفتيت الحصاة داخل المثانة ، وفي التشريح ، وإجراء العمليَّات[3] .. » .

والعرب المسلمون هم المؤسّسون الحقيقيُّون لمهنة الصيدلة .

« إن كل مستشفى ، مع مافيه من ترتيبات ومختبر ، وكل صيدليَّة ومستودع أدوية في أيامنا هذه ، إنَّما هي في حقيقة الأمر نصب تذكاريَّة للعبقرية العربية ، كما أن كل حبَّة من حبوب الدواء مذهَّبة أو مسكَّرة ، إنما هي كذلك تذكار صغير ظاهر يذكِّرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ، ومعلِّمي بلاد الغرب[4] » وهما ابن البيطار ، وابن الخطيب الأندلسي ..

لقد ظلَّ الغربُ متأخِّراً ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عزل فيها عن الإسلام ، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلاَّ حين بدأ احتكاكه بالمسلمين سياسيّاً وعامياً وتجاريّاً ، والعداء الديني ، والتعصُّب الأعمى كانا أسوأ قائد لأُوربة ، حرماها من الحياة والازدهار فترة طويلة .

---

(١) أوردت هذا الرأي زيغريد هونكة في « شمس العرب .. » ص : ٢١٣ نقلاً عن : أغريبا فون نيتسهايم .

(٢) شمس العرب .. ، ص ٢٦٢

(٣) شمس العرب .. ، ص ٢٧٧

(٤) شمس العرب .. ، ص ٣٣٤

لقد بدأت نهضة الغرب ، عندما بدأ يسمع بالخوارزمي ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، والرازي ، وجابر بن حيّان الكوفي ، وابن النفيس ، وأبي القاسم الزهراوي ، وابن زُهْر ، والدّينوري ، والإدريسي ، والبتّاني ، والبيروني ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن خلدون ...

إن الحضارة العربيّة الإسلاميّة ، لم تكن « ساعي بريد » مهمّته النقل والإيصال ليس غير ، بل مع حفاظها على تراث الحضارات السّابقة ، أبدعت وأضافت ، والكتب التي أنْصَفَتْها كثيرة ومتوفّرة في مكتباتنا ، وإن لم ينصفها حتّي .

☆ ☆ ☆

٣ ـ « وبعد أخبار العلماء العصريين من أرباب الاكتشاف والارتياد ، فإن أهم ما يعتمد عليه من المصادر لدراسة تاريخ الجزيرة القديم ، هو التآليف العربيّة الّتي وُضِعَت بعد الإسلام ، وأكثرها على غزارة مادتها متأخّرة لا يوثق بها تمام الثقة » ، صفحة : ٧ .

لماذا لا يوثق بها تمام الثقة ؟ لم يجب حتّي !!

ونحن نذكّر هنا ، بأن دراسة الحديث الشّريف أثمر منه علم جديد هو : « مصطلح الحديث » ، أو : علم أُصول الأحاديث ، وهو من أنفس ماأوجدته حضارتنا من علوم ومبتكرات ، « مصطلح الحديث » أدقُّ ميزان علمي لتمحيص الأخبار والروايات وتمييز زائفها من صحيحها ، فقد أُحكمت فيه قواعد هذا التمحيص والنقد . واستخدم هذا المصطلح في تمحيص الروايات التاريخيّة ، وفي أُصول البحث والتحقيق التّاريخي بدقّة عالية المستوى .

فلماذا لا يثق بها حتّي ؟!

☆ ☆ ☆

٤ ـ « كانت جزيرة العرب إسفيناً يفصل بين مركزَيْ الثقافة القديمة ، مصر وبابل ، وربما كانت البَنْجاب في الهند مركزاً ثقافياً ثالثاً ، ففصلت الجزيرة بينها وبين بلدان الغرب أيضاً ، وعلى الرغم من أن الجزيرة لم تقع تحت سلطان الثقافة التي ترعرعت وازدهرت في وادي النيل ووادي الرّافدين ، فإنّها لم تستطع أن تتخلّص من تأثيرها » ، صفحة : ٤٠ .

وصواب ماسبق :

بابل من أطراف الجزيرة الشماليّة الشرقيّة .

ولم تكن جزيرة العرب إسفيناً يفصل بين مراكز الحضارة القديمة ، مصر وبابل والهند من جهة ، وبينها وبين الغرب من جهة أُخرى .

لقد وصل نفوذ (دولة مَعين) التّجاري حتى الخليج العربي ، وإلى جنوب سوريّة ، وحتى الحوض الشرقي للبحر المتوسّط بواسطة مدينة غزّة .

والسبئيُّون : كانوا ملاحين ماهرين ، وتجّاراً نشيطين ، عبروا المحيط الهندي إلى الشرق الأقصى ، وإلى موانئ الهند والصين وسومطرة ، وإلى الصومال وغيرها ، وكانوا ينقلون التّوابل والأفاويه وغيرها من سلع الهند إلى مصر عبر البحر الأحمر ، وسيطروا على طرق القوافل التجاريّة من حضرموت إلى مأرب فمكّة فغزّة .. وبهذا كانت الجزيرة العربية حلقة اتصال بين مراكز الحضارة القديمة[1] .

☆ ☆ ☆

(١) ودولة كِنْدَة التي قامت وسط الجزيرة قبل الإسلام ، وكانت عاصمتها الفاو (قرية) شمال شرقي اليمن ، كان مجتمعها متحضّراً بكل ماتحمله هذه العبارة من معنى ، فرغم بعدها الجغرافي عن بلاد الرافدين وبلاد الشام ، إلاّ أنها كانت على اتصال وثيق بالحضارات بسبب التجارة ، وللثقل السّياسي الذي مثّلته دولة كِنْدَة .

٥ ـ « وحوالي سنة ٥٠٠ ق . م نزل الأنباط الأرض الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء ، ونستطيع أن ندرك مدى الرُّقي الذي بلغته حضارتهم فيما بعد ، وذلك بتأثير الرومان ، بما يبدو في آثار البتراء عاصمتهم المنحوتة في الصخر من عظمة ومجد » ، صفحة : ١٢ .

« للأنباط[(١)] حضارة عريقة تميَّزت بطابعها التجاري والعمراني ، وهي عربيَّة في لغتها ، آراميَّة في كتابتها ، ساميَّة في ديانتها ، يونانيَّة رومانيَّة في فنّها وهندسة عمارتها ، لذلك فهي مزيج حضارة مركَّبة ، سطحيَّة المظهر الهلّيني ، ولكنها عربيَّة الأساس » ، هذا ماقاله فيليب حتّي في كتابه : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين[(٢)] : ٤٢٦/١ و ٤٢٩ .

فهي عربيَّة الأساس كما اعترف حتّي ، والحقيقة تقول أيضاً : عاصرت دولة الأنباط السّلوقيين والبطالمة قبل الميلاد ، والدولة الرومانيَّة بعد الميلاد . وغالباً ماكانت تميل إلى البطالمة وتتأثّر بنفوذهم على المحافظة على استقلالها . ويتبع العمران النبطي أساليب فنيَّة وزخرفيَّة نافرة متأثّرة بالفن الهلنستي الذي كان سائداً في سوريَّة ومصر في أثناء حكم السّلوقيين والبطالمة ، وهو فن مزيج من عناصر هلّينية (يونانيَّة) في الأصل ، خضعت لتأثيرات وأوضاع شرقيَّة طوَّرته . ولما استقدم الحارث الثالث الصنَّاع السُّوريين ، أدخلوا معهم نماذج هلنستية تبدو ملامحها على الواجهة الجميلة لبناء يُسَمَّى اليوم « هيكل الخزنة » في البتراء[(٣)] .

لقد كانت البتراء الجميلة قبل مجيء الرومان إلى سورية سنة ٦٦ ـ ٦٥ ق . م ، فكيف أثر بها الرومان ؟!

☆ ☆ ☆

(١) سكن الأنباطُ البتراءَ حوالي ٥٠٠ ق . م ، وسقطت دولتهم في عهد الامبراطور (تراجان) سنة ١٠٦ م .

(٢) ونقل أيضاً هذه العبارات د. توفيق برو في كتابه : « تاريخ العرب القديم ، ص : ١٠٥

(٣) وهذا ذكره حتّي أيضاً ، ص : ٤٢٠ ، في كتابه : تاريخ سوريَّة ولبنان وفلسطين .

٦ ـ وبعد حديث مطوّل عن نصرانيّة اللّخميين المناذرة ، قال حتّي في الصفحة ١١٣ : « وقام النصارى من سكان جنوبي الفرات بدور المعلّمين للعرب الوثنيّين ، يعلّمونهم القراءة والكتابة والدين » .

متى علّموهم القراءة والكتابة وكيف ؟ لم يذكر حتّي شواهده وأدلّته .

أما الدين ، فقد بقي عرب الجزيرة الوثنيين على وثنيتهم حتى ظهور الإسلام .

☆ ☆ ☆

٧ ـ فلسفة العرب « في الجوهر فلسفة يونانيّة متأثّرة بنظريات الشّعوب الّتي غلبوها ، وببعض المؤثرات الشرقيّة » ، صفحة : ٤٥٢ .

قال فريق من المستشرقين ، وتبعهم فريق من الدّارسين العرب : إن الفلسفة العربيّة في الإسلام ليست سوى الفلسفة اليونانيّة مكتوبة بحروف عربيّة ، وغالى بعضهم فعدّها تعريباً لفلسفة أرسطو .

لقد تفاعلت العقليّة العربيّة حاملة الدين الجديد مع عقليات الأمم الأخرى في البقعة الواسعة التي انتشر بها الإسلام ، وتمازجت ثقافتها مع ثقافاتها ، وكان من حصاد ذلك عقلية جديدة ، وثقافة جديدة ، احتلت الفلسفة الإسلاميّة منها مركزاً ممتازاً(١) .

الفلسفة اليونانية أثّرت في الفلسفة الإسلاميّة بعد أن اطلع العرب عليها عن طريق الترجمات السّريانية .

وكان أضخم تراث فلسفي يوناني وصل إلى المسلمين ، هو فلسفة أرسطو في ثوبها الأفلاطوني الحديث .

---

(١) التراث العربي ، العدد ١٧ ، المحرّم ١٤٠٥ هـ / تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٨٤ ، السنة الخامسة ، مقالة : مقدّمة لدراسة الفلسفة العربيّة ، للأستاذ تيسير شيخ الأرض ، ص : ٦٨

إلاّ أنّ العناصر الجديدة في الفلسفة الإسلاميّة هي من إبداعها ، عدا أن التأليفات المختلفة بين العناصر الفلسفيّة هي إبداع فلسفي بحدّ ذاتها ، وأثّرت هذه العناصر انفلسفيّة العربيّة فيا بعد بالفلاسفة الأوربيين المحدثين والمعاصرين .

ومن هذه العناصر الجديدة التي هي من إبداع العرب أنفسهم[1] :

ـ برهان الممكن والواجب للفارابي ، وهذا البرهان نجده على نحو مشابه لدى ليبنتز حينما تكلّم في « المونادولوجيا » على العلّة الكافية ابتداء من الفقرة ٣٦ إلى الفقرة ٤٠[2] .

ـ اثبات الحياة الآخرة : حرية الإرادة ، وخلود الروح ، ووجود الله والحقيقة .. فالشبه كبير بين برهان « كنوا » على وجود حياة آخرة وبرهان إخوان الصفا .

ـ الغزالي واختلاف المعقول عن الموجود ، استفاد « كنوا » من هذه الفكرة في نقضه للدليل الوجودي الذي يستنتج وجود الله من فكرة كاله ..

ـ إنكار السّببيّة كما جاء عند الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » ونجد مثل هذا الإنكار لدى « ديفيد هيوم » الإنكليزي .

ـ معنى الهيولى عند ابن باجة شبيه بنظرية القصيدة عند الفيلسوف الألماني « إدمند هسرل » .

وعلى ماسبق ...

لايحقّ لنا أن نقول إن هناك فلسفة يونانية صرفة لم تأخذ من غيرها ، أو لم

---

(١) نوردها هنا مقتضَبَة ، يراجع ص ٨٢ من المقال المشار إليه في الحاشية السّابقة .

(٢) يراجع في ذلك كتاب جورج طعمة : فلسفة ليبنتز ، تعريب نص : « مونادولوجيا » .

تتأثّر من الشعوب السّابقة ، كما أنّنا لا نستطيع القول إن هناك فلسفة عربيّة لم تتأثّر بغيرها أيضاً ، لأنّ الفلسفة فكر مستمر يحدّد موقفه من بعض المفاهيم ، كالكون ، والإله ، والروح والنفس والموجودات ، والكل والجزء ، والماديّة والهيولى .. ولا نقول إن الفلسفة الإسلاميّة لم تتأثّر بالفلسفة اليونانيّة ، كما أنّنا بالمقابل لا نستطيع أن نقول إنّها امتداد للفلسفة اليونانيّة ، بدليل أنّها استطاعت أن تحدّد موقفها من هذه الأُمور على ضوء الدّين الجديد ، فالله في الإسلام يختلف تصوّره ومفهومه اختلافاً كلياً عمّا قرّره فلاسفة اليونان ، وما قرّرته المسيحيّة أيضاً .

إنّ الله (سبحانه وتعالى) في الإسلام ، مغاير تماماً عمّا قاله أرسطو في فلسفته عن الإله ، فالله عنده مجرد تجريداً كاملاً ، بينما في الإسلام مرتبط بخلق العالم وعلم الله وقدرته وإرادته ..

☆ ☆ ☆

٨ ـ « ولنتقدّم الآن إلى الحركات الفكريّة التي أوجدتها الفطرة العربيّة الإسلاميّة ، وأهمها الإلهيات والحديث والفقه وفقه اللُّغة وأُصول اللغة ، فقد كان أعظم العلماء في هذه الميادين عرباً ، على نقيض الطب والفلك والرياضيّات والكيمياء التي كان رجالها أغراباً من أصل سرياني ، أو يهودي ، أو فارسي » ، صفحة : ٤٧٩ .

وهذا التصنيف تصنيف خاطئ .

فمن قال عنهم (عرباً) عملوا في اللغة والفقه .. كان كثير منهم من غير العرب ، مثل : مسلم ، البخاري ، الغزالي ، سيبويه ..

ومن قال عنهم « أغراباً » عملوا في الطب والعلوم المختلفة . كان كثير منهم من العرب : مثل : خالد بن يزيد ، وابن الهيثم ، وابن النفيس ..

جمع هؤلاء كلّهم دين جديد ، وعقيدة واحدة ، دون النظر إلى الجنس ، إنه الإسلام الذي كرّسوا أنفسهم مخلصين لخدمته ، وأفنوا حياتهم وهم في كل لحظة حريصون على أن يخدموا علوم الإسلام في كل مجالاتهم .

☆ ☆ ☆

٩ ـ « بلغت السُّلطة الإسلاميَّة في الغرب في عهد عبد الرحمن الثالث وخلفه الحكم الثاني ٩٦١ ـ ٧٦ وديكتاتورية الحاجب المنصور ٩٧٧ ـ ١٠٠٢ أوفى مجدها ، في هذه الحقبة تسنَّمت العاصمة الأُمويَّة مركزاً سامياً جعلها أعظم مدن أوربة ثقافة ، فكانت هي والقسطنطينيَّة وبغداد المراكز الثلاثة للثقافة العالميَّة » ، صفحة : ٦٢٦ .

الحاجب المنصور(١) غدا الحاكم الحقيقي للأندلس ، وتثني معظم المصادر عليه ثناء عطراً ، وتشيد بقوّته الإداريَّة والعسكريَّة ، وغدت هيبةُ الأندلس المسلمة وقوَّتُها أكثر ظهوراً في أعين أُوربة النصرانيَّة . ولعل الذي أزعج حتّي فوصفه بالديكتاتور ، حملات الحاجب المنصور على كونتية برشلونة ، ومملكة ليون حيث وصل عاصمتها ومدنها الكبرى !؟!

أما مقارنة القسطنطينيَّة ببغداد وقرطبة ، فمقارنة خاطئة ، لأن ثقافة القسطنطينيَّة ثقافة كنسيَّة لاهوتيَّة فقط ، وبغداد وقرطبة « جوهرة العالم » فقد كانتا قبلة العلوم كلّها على اختلاف أنواعها وفروعها ، ولهذا كانت قرطبة والأندلس كلُّها مركز إشعاع فكري حضاري في أوربة ، ولم تكن القسطنطينيَّة كذلك .

☆ ☆ ☆

(١) الحاجب المنصور : أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري .

١٠ ـ وعن أثر الدراسات الجغرافيّة في الغرب ، قال حتّي في الصفحة ٦٧٧ : « لم يكن لهذه الدّراسات الجغرافيّة سوى أثر محدود في الغرب » ، ثم ذكر أنّ كولمبس قال : « بأن شكل الأرض يشبه شكل الأجاصة » .

وصواب العبارة الأُولى يتجلّى بالشواهد التالية التي أوردتها زيغريد هونكة في كتابها : « شمس العرب تسطع على الغرب » .

ـ « في عام ١٢٦٩ م نقل بطرس فون ماريكور Petrus Von Maricourt عن العرب مباشرة معلوماته عن المغناطيس ، وعن كيفيّة استعمال البوصلة ، وأدخل استعمالها إلى أُوربة في رسالة Epistole de Magnete ، وبعد ذلك بخمسين عاماً ـ أي حوالي عام ١٣٢٠ م ـ اكتشف إيطالي من أمالفي البوصلة كما زعموا ، وتقع أمالفي هذه إلى جانب البندقيّة ، أُولى المدن البحريّة الّتي كان لها تجارة مزدهرة مع العرب الأصدقاء ، وكان لها أيضاً مراكز تجاريّة في المرافئ العربيّة » ، صفحة : ٤٨ .

ـ « إن العرب قد وفّقوا أبعد التوفيق في تطويرها[1] والسّير بها خطوات واسعة إلى الأمام .. ثم أوجدوا الأسطرلاب الدائري إلى جانب الأسطرلاب المسطّح .. » ، صفحة : ١٣٩ .

ـ « الإدريسي أتمّ عام ١١٢٥ م عمله العظيم ، وقدّم لروجر الثاني ملك صِقلّيّة النورماندي سبعين خريطة ، « خرائط تفوق خريطة بطليوس الشّهيرة في دقتها ووضوحها وقلّة أخطائها ، بيد أن درّة عمله ، كانت خريطة العالم التي نحتها على لوح من الفضّة قطره متران ، ووزنه يعادل وزن رجلين ناميّيْن ، وتوضيحاً لخرائطه وضع الإدريسي كتابه القيّم في وصف الأرض ، المعروف في العالم الإسلامي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، صفحة : ٤١٧ .

---

(١) تطوير الأسطرلاب .

ـ وساهمت الرحلات العالميّة التي قام بها العلماء العرب أمثال ابن بطوطة في زيادة المعلومات الجغرافيّة التي صحّحت آراء خاطئة، وأخطاء شائعة. واستطاع البتّاني [1] وابن يونس [2] والبيروني [3] وابن سعيد [4] وياقوت الحموي أن يحدّدوا بدقّة متناهية الموقع الجغرافي للبلدان الهامة بالنسبة إلى خطوط الطول والعرض، صفحة : ٤١٨.

ـ وفي فرع آخر من الجغرافية الطبيعيّة والجيولوجيّة أعطى ابن سينا والبيروني أمثلة صحيحة تماماً، ولها قيمتها العلميّة في دراستهم لنشأة الجبال وطبقات الصخور، صفحة : ٤١٩.

ـ « ولم يعرف الناس في أوربة لزمن طويل الجغرافية المؤسّسة على المراقبة والتجربة كما عرفها العرب، فلم تكن خرائط الأديرة ترسم الأرض طبقاً لفهمهم للإنجيل إلا على أنّها قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالمي، وفي وسطها تقع الجنّة »، صفحة : ٤٢٠.

ورغم رأي حتّي، ستبقى أسماء الجغرافيين العرب : الإدريسي، ابن يونس، البيروني، البَلْخي [5]، الإصْطَخْري [6]، ابن حَوْقَل [7]، المقدسي [8]،

---

(١) أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني، ولد قبل ٢٤٤ هـ / ٨٥٢ م، وتوفي عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م.

(٢) أبو محمد عبد اللّطيف بن يوسف أبو يونس البغدادي : ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م ـ ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م.

(٣) محمد بن أحمد أبو الريحان البَيْروني، ولد : ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م، وتوفي : ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م.

(٤) أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المغربي ولد سنة ٦١٠ هـ وتوفي سنة : ٦٨٥ هـ.

(٥) أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، ولد حوالي ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م، وتوفي : ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م.

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإصْطَخْري، المتوفى سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م.

(٧) أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، المشهور بابن حوقل، عاش في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي.

(٨) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي، ولد في بيت المقدس : ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ ـ ٩٤٧ م وتوفي في أواخر القرن الرابع الهجري.

أحمد بن ماجد (أسد البحر) ، المسعودي[١] ، القزويني[٢] .. منارات سامقة بين أسماء الجغرافيّين العالميين .

ودليل آخر على عمق أثر الدراسات الجغرافيّة العربيّة وعظيم أثرها غير المحدود في الغرب :

- البتّاني ذاع صيته في أوربة وعُرِف باسم Albategnius ، واهتم به كثيراً الرّياضي ريجيو مونتانوس (١٤٣٦ - ١٤٧٦ م) بصدد حساب المثلّثات الكرويّة ، كما استفاد دنتورن Dentorn فائدة كبيرة من ملاحظاته عن الكسوف ، وذلك حتى عام ١٧٤٩ م ، وجداول البتّاني الفلكيّة ترجمها إلى اللاّتينيّة عام ١١٤٠ م أفلاطون التيفولي ، وأهم فصل فيها هو السّادس الذي يعطي فيه وصفاً عاماً للأرض ، ويخصُّ بالتفصيل البحار ، وتدين أُوربة بتصوّراتها المسبقة عن المحيط الهندي حتى عهد فاسكو دوغاما إلى البتّاني . وقد اجتذب هذا الفصل أنظار العلماء الأُوربيين منذ أن كان الكتاب معروفاً في مخطوطته الوحيدة بمكتبة الأسكوريال في مدريد ، وقد ترجمه رينو ومهرن قبل ظهور طبعة المستشرق نالينو[٣] .

- والجغرافي المسلم أحمد الرّازي المتوفى عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م ، ترجم إنتاجه الجغرافي عام ١٣١٦ م بأمر الملك البرتغالي دنيس Denis ، وقام بترجمته Gilperes[٤] .

- ويصف المستشرق روزن كتاب البيروني : « تحقيق ماللهند من مقولة

---

(١) أبو الحسن علي بن الحسين ، المتوفى عام : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م .

(٢) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م - ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م .

(٣) أعلام الجغرافيين العرب ، د. عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، ط : ١ ، ص : ١٥٩

(٤) المرجع السّابق ، ص : ٣٠٢

مقبولة في العقل أو مرذولة » : « أثرٌ فريد في بابه ، لا مثيل له في الأدب العلمي القديم أو الوسيط سواء في الغرب أم في الشرق »[1] .

ـ وكتاب الإدريسي « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، مع خرائطه السّبعين ، نشر في رومة سنة ١٥٩١ م ، وتُرْجِمَ إلى اللاتينيّة عام ١٦١٩ م من قِبَل جبرائيل ويوحنا الحصروني وطُبِع النصُّ أيضاً في ليدن ومدريد وبون[2] .

ـ وكتاب الحسن بن محمد الوزّان الزيّاتي في وصف إفريقية نشره راموزيو سنة ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م في مدينة البندقيّة ، وبعد فترة لا تزيد عن ٢٤ عاماً من فراغ الحسن الوزّان من تأليفه باللغة الإيطاليّة أعاد راموزيو نشره للمرّة الرّابعة عام ١٥٥٨ م ، وفي سنة ١٥٥٥ م ظهرت الترجمة الفرنسيّة بجهود تامبورال ، وبعد فترة وجيزة تمّت ترجمته إلى اللاّتينيّة بقلم جان فلوريان سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٦ م في مدينة أنفرس البلجيكيّة ، وفي سنة ١٦٠٠ م ظهرت ترجمته الإنكليزيّة على يد جون بوري ، وظهرت ترجمته الهولنديّة سنة ١٦٦٥ م[3] ..

ونتساءل : لماذا لم يكن لهذه الدّراسات الجغرافيّة العربيّة سوى أثر محدود في الغرب ؟

أما قول حتّي : إن كولبس قال : « بأن شكل الأرض يشبه شكل الأجاصة » ، ليت حتّي تساءل : من أين جاء كولبس بها ؟!

أمّا الأمر الذي لا شكّ فيه ، فهو أن الفكرة الّتي نهضت بكولبس للإبحار غرباً ، إنّما كانت فكرة علميّة مستمدّة من المؤلّفات الإسلاميّة ، فلولا اقتناع كولبس بكرويّة الأرض ، لما خطر له أن يصل إلى الهند عن طريق الغرب ، ولم

(١) المرجع السّابق ، ص : ٣٤١

(٢) المرجع السّابق ، ص : ٣٨٩

(٣) المرجع السّابق ، ص : ٦٢٧

تكن في إيطالية وإسبانية يومئذ مؤلّفات تشرح هذه الفكرة إلاّ المؤلّفات العربيّة الإسلاميّة .

ومما يذكر أنّه عندما طبعت مذكرات كولمبس وقرأها العلماء الباحثون ، عجبوا لِمَا قرأوا فيها ، فقد وصف الكرة الأرضية بأنّ لها شكل الكمّثرى ، وهذا الأمر - برأي الباحثين الأوربيين - لم يكتشف إلاّ حديثاً في زمن قريب ، فكيف عرف كولمبس ذلك ، أَمْ هي رمية رام بليل ؟

الجواب واضح جلي ، ومن فم كولمبس إن راق لحتّي ومنصفي الحضارة العربيّة الإسلاميّة ذلك ، لقد قال كولمبس عن نفسه بأنّه انبعث إلى السفر قاصداً الهند عن طريق المحيط الأطلسي ، وذلك بمطالعة كتب ابن رشد ، وهذا الكلام ذكره « درابر » صاحب كتاب : « تجديد العلوم في الجنوب » ، أي جنوب فرنسة ، أي : في الأندلس .

هذا جزء يسير من فضل العرب على الغرب في علم الجغرافية ، في الوقت الذي كان « لا يجرؤ أحد على السفر إلى سورية ومصر » ، بسبب الشّائعات الكنسيّة الّتي كانت تتناقلها الألْسُن من رومة حتى القسطنطينيّة في العصور الوسطى .

لقد افترى حتّي فيما قال ، وصدقت زيغريد هونكة عندما قالت : « كل موجة علم أو معرفة قدِمَت لأُوربة في ذلك العصر ، كان مصدرها بلدان إسلاميّة » .

☆ ☆ ☆
☆ ☆
☆

هَفَواتٌ جُغْرَافِيَّة

وأَغَاليطُ

☆ لم يميّـز حتّي بين الرّيــاح الموسميّـة ورياح السموم ، ولا بين قرطاجة وقرطـاجنّـة ، ولا بين فرع النهر ورافده ..

ومن هفوات فيليب حتّي الجغرافيّـة في كتـابـه « تـاريخ العرب المطوّل » ، ما يلي :

١ ـ جاء في الصفحة ١٩ : [ولئن كان المحيط الهندي في الجنوب يساعـد على وقوع بعض المطر في أطراف الجزيرة فإن الرياح المْوسميّـة التي تنتـاب الجزيرة في مواسم معروفة ، تسلب الرطوبة من الهواء قبل أن يبلغ داخلية البلاد] .

☆ ☆ ☆

٢ ـ وفي الصفحة ٦٤ : [لقـد كان أهل سبـأ فينيقيي البحر الجنوبي قـد عرفوا طُرُقَهُ وتعرجات سواحله وموانيه ، وامتلكوا رْياحه الموسمية الغدارة السموم] .

☆ ☆ ☆

٣ ـ وفي الصفحة ٧٨ : [السموم أوصلت السُّفن إلى الهند ، ولكن لم يقوَ أحـدٌ على الاستفـادة من هــذا الاكتشــاف العظيم الــذي أزاح السّتــار عن سر السمـوم الدوريّة ، وأظهر الخط المباشر إلى الهنـد ، حتى العصر الـذي استولت فيـه رومـة على مصر ..] .

والصّواب :

الرياح الموسميّة غير رياح السموم .

الريـاح الموسميّـة ريـاح ممطرة بغزارة صيفاً ، تهب من المحيـط الأطلسي عبر خليج غينية ، وتعبر قارة أفريقية صاعدة هضبة الحبشة ، ثم تمر فوق اليمن .

كما وتهب الرياح الموسميّة من المحيط الهندي ، وتؤثر على شبه القـارة الهنـديَّـة وجنوب شرقي آسية ، لا على الجزيرة العربيّة .

أما السموم فنوع من الرياح المحليّة الحارة المرملة والجافـة ، إلا إذا مرَّت فوق مسطّحات مائيّة حيث تتشبَّع ببخار المـاء فتسبب تسـاقـط أمطـار ، مثل ريـاح السيروكو عندما تصل إلى إيطالية .

وتهب ريـاح السمـوم في شهري آذار ونيسـان من كل سنــة في قلب الجـزيرة العربيّة باتجاه البحر المتوسط الـذي يصبح منطقـة ضغـط خفيف ، بسبب دخول المنخفضات الجويَّة عليه من المحيط الأطلسي ، وتسمَّى هذه الرياح :

السموم في الجزيرة العربية .
والخماسين أو الهبوب في وادي النيل (مصر والسُّودان) .
والسيروكو في المغرب العربي .

☆ ☆ ☆

٤ ـ وفي الصفحة ٢٠ : [وقد يقع بعض المطر في أقـاليم الجزيرة الوسطى من الغيوم المتبخّرة عن سطـح خليـج فـارس[١]] . والخليـج العربي بحر داخلي ضيّـق يكاد يكون تأثيره على نظام المطر معدوماً .

☆ ☆ ☆

---

(١) استعمـل حتّي « الخليـج الفـارسي » بـدل « الخليـج العربي » في الصفحـات : ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٩١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٨٦٧ ، ٨٧٠ ، ٨٨٢

٥ ـ وفي الصفحة ٢١ : [وأهم الطرق البرِّيَّة « في الجزيرة العربيَّة » اثنان ، أحدهما يسير من العراق ماراً ببُرَيْدَة في نجد متتبّعاً وادي الرمة ، والآخر من الشام مارّاً بوادي السرحان متاخماً لساحل البحر الأحمر] .

وصوابه : وادي السَّرحان جنوب شرقي سوريَّة الطبيعيَّة ، شرقي الأردن حالياً ، ولا يتاخم سواحل البحر الأحمر .

☆ ☆ ☆

٦ ـ وفي الصفحة ٢١ أيضاً : [جبل حضور الشيخ في اليمن الذي تسقط عليه الثلوج في شتاء كل عام تقريباً] .

وصوابه : تسقط عليه في صيف كل عام تقريباً ، لأن أمطار اليمن موسميَّة صيفيَّة .

ومصوَّر صفحة ٩١ جاءت فيه مدينة فَدَك بين تيماء وتبوك ، وصوابه : إنها قرب خيبر شمال المدينة المنوَّرة . وجاءت مؤتة جنوب غربي البحر الميت ، والصَّواب : جنوب شرقي البحر الميت . والجابية صواب موقعها جنوب غربي دمشق في حوران ، لا في جنوبها الشرقي . والأُبُلَّة شرق شط العرب ، لا على ضفّته الغربيَّة ، وشبوه شرق مأرب تماماً ، لا في جنوبها . وكُتِبَ على نهر عطبرة نهر النيل خطأ .

☆ ☆ ☆

٧ ـ وفي الصفحة ١١٤ قال عن كِنْدَة إنها في الأرض الواقعة إلى غربي حضرموت .

وصوابه : إنها تقع شمال حضرموت حتى دُومَة الجندل « دوماتا » .

☆ ☆ ☆

٨ ـ وجاء في الصفحة ٢٧٩ : [فلقد استعان حسّان بالأُسطول الإسلامي على طرد البيزنطيين من قرطجنة] .

وفي الصفحة ٢٨٠ ذكر أن قرطجنة في تونس .

وفي المصوَّر صفحة ٢٨٢ كُتِبَ على ساحل تونس الشمالي الشرقي : « قرطجنة » .

وصوابه : قرطاجة ، وقرطاجنة على ساحل الأندلس الشرقي جنوب مرسية ، مابين المرية ودانية .

☆ ☆ ☆

٩ ـ وفي الصفحة ٣٥٦ : الزاب الكبير ، [وهو فرع من الدجلة] .

وصوابه ؛ وهو رافد من روافد الدجلة . فالفرع نهر يأخذ مياهه من مياه النهر الأصلي ، والرافد نهر يصب مياهه في النهر الأصلي .

☆ ☆ ☆

١٠ ـ وفي الصفحة ٥٨٤ : [عين جالوت قرب الناصرة] .

وصوابه : عين جالوت في مرج ابن عامر ، قرب مدينة بيسان .

واستعمل كلمة « القسطنطينية » في الصفحات : ٨٦١ / ٨٦٣ / ٨٦٥ / ٨٦٧ / ٨٦٨ / ٨٧٣ / ٨٧٥ / ٨٨٢ / ٨٨٨ ، بدلاً من كلمة « اسطنبول » ، فالقسطنطينية بعد فتحها عام ١٤٥٣ م على يد محمد الفاتح ، أضحى اسمها « اسطنبول » لا القسطنطينية وهو اسمها عندما كانت عاصمة لبيزنطة ، دولة الروم الشرقية .

☆ ☆ ☆

افتراءات وهفوات

أُخرى

☆ « وهكـــذا وَجَبَ أَنْ يظهرَ الحـقُّ وَيَعْلُـوَ ، كما نَجَحَ في هـذا محمَّدَ الَّـذي أخْضَـعَ العَـالَمَ كُلَّـهُ بِكَلِمةِ التَّوْحيدِ » .

غوته

[الديوان الشرقي الغربي]

١ ـ جعل حتّى من مراجعه المعتمدة مثلاً :

ـ كتاب « ألف ليلة وليلة » : وهو مجموعة منوّعة من القصص الشّعبي ، لغتـه بين الفصحى والعاميّة يتخلّلـه شعر مصنوع أكثره ، مكسور ركيـك في نحو ١٤٢٠ مقطوعـة . ذكر ابن النـديم في « الفهرست » أنّهـا مترجمـة عن أصـل فـارسي اسمـه « الهزارأفسان » ، أي ألف خرافة ، ولما كان كتاب الهزارأفسان غير موجود ، فـإنّ البحث في أصل اللّيالي يزداد غموضاً[١] . ويسميهـا الإفرنج « اللّيـالي العربيّـة » ، لأنّها تُرْجِمَت عن العربيّة ، قام بترجمتها الكاتب الفرنسي « أنطوان جالان[٢] » .

ويمكن للباحث أن يقرّر بثقـة أن نواة كتـاب ألف ليلـة وليلـة مـأخوذ عن كتاب قصص فارسي « الهزارأفسان » ، نُقِل إلى العربيّة في القرن الثالث الهجري ، وأن غالب القصص من أصل هندي .

(١) دائرة معارف البستاني : ٢٦١/٤ ، دائرة المعارف الإسلاميّة : ٥١٨/٢

(٢) ولد سنة ١٦٤٦ م .

لقد شوّهت ألف ليلة وليلة عصرنا الذهبي ، عندما أوردت اسم هارون الرّشيد في بعض قصصها ، مع أن الرّشيد لم يسمع بها ، وتدل قصصها على أنّها مؤلّفة من قبل عديدين أضافوا عليها حتى العصر المملوكي .

إن كتاب « ألف ليلة وليلة » ليس كتاب تاريخ ، إنّه كتاب قصص خياليّة .

ـ واعتمد حتّي كتاب « الأغاني » للأصفهاني ، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً ، إنّه كتاب أدب ، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به ، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة ، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرّواية .

إن كتاب « الأغاني » الذي جعله حتّي مرجعاً تاريخيّاً معتمداً ، صاحبه متّهم في أمانته الأدبيّة والتاريخيّة ، جاء في « ميزان الاعتدال في نقد الرّجال[1] » : أن الأصفهاني في كتابه « الأغاني » كان يأتي بالأعاجيب بحدّثنا وأخبرنا .

ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيّين لهواً ومجوناً وغناءاً وشراباً .. وهذا يناسب المؤلّف وخياله وحياته ، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب ..

فكتاب « الأغاني » ليس كتاب تاريخ يحتج به .

ـ أما كتاب ابن العبري[2] « مختصر تاريخ الدُّول » فقد كتبت أُصوله بالسّريانيّة ، ثم ترجم إلى العربيّة بعد أن حذف منه الروايات والأفكار التي هاجم بها رسول الله ﷺ والإسلام .

---

(١) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي ، تحقيق علي محمد البجاري : ١٢٣/٣ و ١٢٤

(٢) ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس يوحنا ، ولد سنة ١٢٢٦ م في مدينة ملطية قاعدة أرمينية الصغرى ، توفي سنة ١٢٨٦ م .

لقد وجّه ابن العبري في كتابه انتقادات عنيفة للإسلام والرسول الكريم ، وقد أمِنَ غضب المسلمين لأنّه كتب تاريخه بالسريانيّة التي كان يجهلها المسلمون ، وعندما طُلِبَ منه أن يترجم كتابه إلى العربيّة ، ترجم الكتاب وحذف منه تلك الانتقادات الموجّهة ضد الإسلام وأهله(1) .

لقد أظهر ابن العبري الخلفاء والولاة المسلمين بأنّهم يميلون إلى البطش والتخريب ، لقد كتب الجوانب السَّلبيّة مجسّمة ، وأغفل الجوانب الإيجابيّة وطمس روائع تاريخنا ، ولم يذكر منها في تاريخه إلا النادر .

مما سبق ، يتوضّح لنا سبب اعتماد حتّي لكتاب ابن العبري « مختصر تاريخ الدُّول » .

وعلى ماسبق أيضاً ، لن نناقش حتّي عندما يجعل مصدر أفكاره « ألف ليلة وليلة » ويقول صفحة ٣٦٣ : « أصبحت بغداد مقرّاً لتلك المغامرات الروائيّة التي خلدت ذكرها شهرزاد بطلة ألف ليلة وليلة » ، وتكرر اعتماده على ألف ليلة وليلة في الصفحات : ٣٧٢ ، ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥٩٣ ..

ولن نناقشه عندما يجعل مصدره « الأغاني » ، ليقول صفحة ٣٧٦ : « ويعج كتاب الأغاني بالقصص التي تمثّل هذه الحياة الاجتماعيّة إلى حدٍّ كبير » ، وجاء بقصص الخمريّات والمكر والدّسائس والخداع والفساد والأفكار السّافلة وبنات الغواية .. كما في الصفحات : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ،

---

(1) انظر : عالم الفكر ، المجلد الخامس عشر ، العدد ٣ ، ١٩٨٤ ، مقالة : التاريخ العربي والإسلامي من خلال المصادر السّريانيّة العراقيّة ، ص : ٦٩٧ ، جاسم صكبان علي .

٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٠١ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ..

ولن نناقش حتّي في أفكاره التي سجّلها معتمداً على كتاب ابن العبري ، كما في الصفحات : ٢٢٢ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٨٩ ، ٦٧٣ ، ٧٢٣ ، ٧٦٣ ، ٧٧٠ ، ٨٠٧ .. حتّى أن المترجمين قالوا في حاشية صفحة ٨٠٧ حرفيّاً : « كَثُرت الاستعانة في هذا الكتاب بتاريخ ابن العبري « تاريخ مختصر الدول » نشر صالحاني في بيروت ١٨٩٠ م[1] » .

☆ ☆ ☆

٢ ـ « ولعل أقدم إشارة إلى القهوة ، خمر الإسلام ، قد وردت في مؤلّفات القرن السّادس عشر » ، صفحة : ٢٢ .

وهذه سخرية بحق الإسلام والمسلمين لاتليق من أُستاذ جامعي !!

☆ ☆ ☆

٣ ـ « وبوله ـ بول الجمل ـ علاجاً لتقوية الشعر ، ودواء يستشفى به » ، صفحة : ٢٦ ، مع وصف لتقيُّؤ الجمل كي يشرب البدوي في الصفحة ذاتها . ثم قال في الصفحة ٢٧ : « ولقد كان الجمل من العوامل الّتي سهّلت الفتوح الإسلاميّة الأُولى ، ذلك أنّه أتاح لأصحابه سرعة في الحركة جعلتهم يتفوّقون على أهل الحضر » ، ونسب حتّي لسيّدنا عمر رضي الله عنه : لا يفلح العربي إلا حيث يفلح الجمل .

---

(١) ونلمّح أيضاً أن حتّي اعتمد جرجي زيدان ، وبندلي جوزي ، وابن القوطيّة مصادر لكتابه ؟!!!

وقال حتّي في الصفحة ٢٣١ : « على أن عظمة الجيش العربي لم تقم على قوّة السّلاح أو جودة التنظيم ، بل كانت ثمرة القوّة المعنويّة الروحيّة ، الّتي كان الإيمان والدّين قد عزّزاها في نفسه ، ووليدة الصّبر والمثابرة اللّذين تمنحهما البادية لأبنائها ، ونتيجة سرعة حركته العجيبة الّتي هيأها للعرب بالأكثر اعتمادهم على الإبل للركوب » .

- إن صورة بول الجمل كدواء يستشفى به ، مع تقيُّؤ الجمل كي يشرب البدوي ، صورة تمجُّها النفس ويتقزّز منها الذوق السّليم ، وتكرهها الفطرة ، ولكن حتّي جعلها أهم من وصف سدّ مأرب مثلاً ، كصورة حضارية رفيعة للعرب قبل الإسلام .

- ولقد أفلح العربيُّ المسلم حيث لم يفلح الجمل ، لقد أفلح المسلمون في حروبهم في البحر ، في قبرص وكريت وصِقِلّيّة وسردينية وجزر البليار ، وأَفْلَحُوا في الأندلس .. ويفلحون اليوم بلا جمل أو حصان من اليابان شرقاً وحتّى أمريكة غرباً .

- أما قول حتّي : إن العرب نجحوا في فتوحاتهم بسبب بداوتهم التي صقلت قوتهم في صحرائهم ، وأن الجمل هو نقطة القوّة في الفتوحات ، إذ أمَّن سرعة عجيبة ، فنردُّه بما يلي :

إن العرب في الجزيرة حاربوا عرباً أكثر منهم عدداً ، وهم مثلهم عاشوا في بيئة واحدة ، في بادية واحدة ، تحت شمس واحدة .. فَلِمَ كُتب النصر للعرب المسلمين على قلّتهم ، وهُزِمَ العرب الوثنيُّون على كثرتهم ؟ وكلاهما يستعمل الجمال والخيول !!

وفي اليرموك ، كان مع الروم آلاف مؤلّفة من الغساسنة العرب ، وكان

جيش العرب المسلمين قِلَّة بالنسبة للروم والعرب الغساسنة ، فَلِمَ كتب النصر للمسلمين ؟

ونسي حتّى أن « الجمل » لم يكن ضروريّاً ـ لو سلّمنا بأهميّته ـ لدولة الفرس أو دولة الروم ، فقد كانت ساحات المعارك في أراضيهما ، فهما لم تكونا بحاجة لمثل هذه الحركة السّريعة الّتي يؤمّنها الجمل ، ومَلَك الفرس سلاحاً أقوى وأرهب ، ألا وهو الفِيَلَة ، ومع ذلك ، لمن كان النصر في القادسيّة ؟

وهذا الجمل ماذا سينقل من الحجاز ؟ هل سينقل التمور في سرعة حركته العجيبة ؟

وهل انتصارات المسلمين في أرمينية وإيران والأندلس بسبب الجمل ؟

أين الجمل في انتصاراتهم في ما وراء النهر ، والهند ، وجنوب شرق آسية ؟

☆ ☆ ☆

٤ ـ « وتعتبر الخيمة وما فيها من أثاث حقير ملكاً للفرد » ، صفحة : ٣٣ .

والأَوْلى قوله : وما فيها من أثاث بسيط ، فكلمة بسيط ، أجود وأقوم وأسلم .

☆ ☆ ☆

٥ ـ « وتخضع المرأة لنظام يجعل الرجل بعلاً أي سيّداً » ، صفحة : ٣٦ .

جاء في القاموس المحيط ٣/٣٣٥ : البعل : والأُنثى بَعْلٌ وبَعْلَةٌ ، واستخدم العرب (بعل) بمعنى زوج ، باعَلْتُ : اتخذت بعلاً ، وباعل القوم قوماً : تزوّج بعضهم إلى بعض ، وبعل كالزوج ، ذكر وأنثى ، فأين السّيادة التي يفهم منها الأجنبي سيادة وصولة الرجل ، وعبوديّة المرأة العربيّة ؟

☆ ☆ ☆

٦ ـ « ولما كان الغساسنة عمالاً للبيزنطيّين ، واللخميُّون عمـالاً للفرس .. » ، صفحة : ١١٤ .

الدولتان ـ الغساسنة واللخميون ـ كانتا من النوع الذي يسمّى اليوم « الدول الحاجزة » ، لوقوعهما على حدود دولتين كبيرتين ، عمدتا إلى استخدامها مجنّاً يصدُّ الحروب المتبـادلـة بينهما . وخجل حتّي أن يقـول : كان الغسـاسنـة تحت سيطرة وسيـادة البيزنطيِّين وخـاضعين لهم ، وكان اللخميُّون تحت سيطرة وسيـادة الفرس وخاضعين لهم .

وبقيت كل من الإمارتين درعاً ومجنّـاً للـدولـة الّتي خضعت لهـا ضـد هجمات الـــدولـــة الأُخرى المعـــاديـــة ، إلى أن حرّرت جيـــوش العرب المسلمين أراضيهما وشعبيهما .

☆ ☆ ☆

٧ ـ « ولا تنحصر أهميّة كِنْدَة فيما أتى به أبناؤها من الأعمال ، وما حازوه من مجد وسؤدد ، بل بما لها من الفخار العائد إلى كونها تمثّل أوّل محاولـة قـام بهـا عرب الجزيرة الوسطى لجمع شمل القبائل تحت زعـامـة واحـدة مركزيَّـة يتولاَّهـا سيـد واحد ، فكانت محاولتها من هذه النـاحيـة سـابقـةً أفـاد منهـا أهل الحجـاز والنبيُّ محمَّد » ، صفحة : ١١٦ .

كيف أفاد أهل الحجاز والنبيُّ محمَّد ـ ﷺ ـ من هذه السّابقة ؟

لم يوضّح أو يفسّر أو يشرح حتّي ذلك .

والمهم أن يصدر أحكاماً ويهرف بما لا يعرف .

☆ ☆ ☆

٨ ـ « وربمـا كانت نـواة هـذه الجمـاعـة إسرائيليّـة صرفـة هجرت فلسطين في القرن الأوّل للميـلاد على إثر الفتـح الرومـاني ، ولعـل هـؤلاء اليهـود النـاطقين

بالآراميَّة هم الَّذين استبدلوا يثرب اسمها القديم باسم جديد مدينتا ، وهو آرامي ، أما الاعتقاد بأنَّها سميت المدينة لصيرورتها مدينة الرسول فهو رأيٌ متأخِّر » ، صفحة : ١٤٦ .

وصواب ماسبق :

ـ « نواة هذه الجماعة إسرائيليَّة » ، صوابها : نواة هذه الجماعة اليهوديَّة .

ـ « هجرت فلسطين ـ إلى الجزيرة ـ في القرن الأوَّل للميلاد » ، خطأ صوابه : يهود الحجاز عرب تهوَّدوا على أصوب الآراء[1] .

ـ أما استبدلوا يثرب اسمها القديم باسم جديد مدينتا وهو آرامي ، فهذا خطأ ودجل ، وقوله : « أما الاعتقاد بأنَّها سمِّيت المدينة لصيرورتها مدينة الرَّسول فهو رأيٌ متأخِّر » ، فأكثر خطأ ، وأعظم دجلاً .

جاء في معجم البلدان : ٤٣٠/٥ : « يَثْرِب : مدينة رسول الله ﷺ ، سُمِّيت بذلك لأنَّ أوَّل من سكنها عند التفرُّق يثرب بن قانية مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السَّلام ، فلما نزلها رسول الله ﷺ ، سمَّاها طيبة وطابة كراهيةً للتثريب ، وسمِّيت مدينة الرَّسول لنزوله بها » .

هذا وكتب السِّيرة المبكِّرة كطبقات ابن سعد ، وكتب التاريخ المبكِّرة استعملت « المدينة » بدلاً من يثرب ، فأين مدينتا الآراميَّة ، « والاعتقاد بأنَّها سمِّيت المدينة لصيرورتها مدينة الرَّسول فهو رأيٌ متأخِّر » ؟!!

☆ ☆ ☆

(١) انظر : د . أحمد سوسة « ملامح من تاريخ اليهود في العراق » ، ص ٢٤٠ ، و د . جواد علي « تاريخ العرب قبل الإسلام » : ١٦١/٦

٩ ـ وأورد حتّي قول النجاشي عندما سأل المهاجرين في عيسى عليه السّلام : « إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، فوالله لا أُسلمكم إلى أيدي الاضطهاد » ، صفحة : ١٥٨

وصوابه : « إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة »[١] .

جاء في سيرة ابن هشام : « قال لهم ـ النجاشي ـ : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا ﷺ : هو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قال ؛ هذا العود ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ، والشيوم الآمنون ، من سبّكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم ، والدبر بلسان الحبشة الجبل[٢] .. » .

☆ ☆ ☆

١٠ ـ لم يرجع حتّي ومن ترجم هذا الكتاب إلى لغتنا ، إلى الأُصول العربيّة على الأغلب :

ذكروا سورة الأسرى صفحة : ١٦٣ وصفحة : ١٨٠ ، وصوابه : سورة الإسراء .

وقالوا صلاة الغروب صفحة ١٧٩ ، وصوابه : المغرب .

وأوردوا حجي خلفة في الصفحات ٦٩٦ و ٨٧٣ .. وصوابه : حاجي خليفة .

وقالوا طلحة بن عبد الله صفحة ٢٣٧ ، وصوابه : طلحة بن عبيد الله .

---

(١) ابن هشام : ٢٩١/١ ، دار الجيل ١٩٧٥

(٢) انظر : الرُّوض الأُنف : ٨٨/٢

وذكروا فضلة بن عبيد الله الأنصاري ، صفحة ٣٦٤ ، وصوابه : فضالة[1] .

☆ ☆ ☆

١١ ـ جرير « الشاعر البدوي الهجّاء » شاعر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، صفحة ٢٨٦

وهل كان لعمر بن عبد العزيز شعراء في بلاطه ؟!

☆ ☆ ☆

١٢ ـ « وكان يعتبر مسجده بعد المسجد الأُموي بدمشق وقبّة الصّخرة في بيت المقدس ثالث محارم الشام » ، صفحة : ٢٨٦

وقال في الصفحة ٢٨٨ : « لا يزال المسجد الأُموي إلى اليوم رابع محارم الإسلام » .

وإذا عدنا إلى مادة حرم في لسان العرب نجد ما يلي :

المحارم : ما حرَّم الله ، ومحارم الليل مخاوفه التي يحرم على الجبان أن يسلكها . وحَرَم مكّة معروف ، وهو حَرَم الله وحَرَم رسوله ، والحَرَمان مكة والمدينة ، والجمع أحْرَام .

وشتان بين أحْرام وبين المحارم ؟!

---

(١) وكتب « بن » بين عَلَمَيْن في كل صفحات الكتاب مئات المرّات بإثبات الألف .
وفي الصفحة ٧٣٦ ، قال حتّي : « والواقع أن الأمر الصادر بهدم كنيسة القيامة إنما كان موقّعاً من قبل وزير الحاكم ، النصراني ابن عبدون ، وكان هذا العمل من جملة العوامل الّتي مهّدت الطريق للحروب الصليبيّة » ، وصوابه : إنّ الأمر الصادر بهدم كنيسة القمامة ، وليست القيامة ، كما جاء في خطط المقريزي : ٢٨٧/٢ ، طبعة : دار صادر بيروت ، طبعة جديدة بالأوفست ، عن طبعة دار الطباعة المصريّة المنشأة ببولاق ـ القاهرة ١٢٧٠ هـ .

وذكر في الصفحة ٣٣٢ بناء عبد الملك لقبّة الصّخرة ، **وقال : « وقد دعاه إلى بنائها عزمه على صرف الحجّاج عن مسجد مكة » ، وجعل مرجعه اليعقوبي** ٣١١/٢ : « ومنع عبد الملك أهل الشام من الحجّ ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة ، فلمّا رأى عبد الملك ذلك منهم منعهم من الخروج إلى مكّة ، فضجّ النّاس وقالوا : تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ، فقال لهم : هذا ابن شهاب الزُّهري يحدّثكم أن رسول الله قال : « لا تشدُّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لمّا صعد إلى السّماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبّةً ، وعلّق عليها ستور الدّيباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بني أُميّة » .

وردُّ هذه الرواية ونقضها يتّضح بما يلي :

١ - لم يلاقِ أهل الشّام عناءً في الحجّ إلى مكّة أيّام ابن الزبير .

٢ - ولم يجبر ابن الزبير أحداً على مبايعته ، وكان يتركهم - كما روى وذكر المؤرّخون - يأتمّون في صلاتهم بإمامٍ منهم .

٣ - والحديث الشريف يشير إلى مسجد بيت المقدس ، إلى المسجد الأقصى ، والمسجد الأقصى غير الصخرة ، والحج إلى مكة ، إلى الكعبة ، ولا يغني عن ذلك مسجد الرّسول ﷺ في المدينة المنوّرة ، ولا المسجد الأقصى في بيت المقدس ، فالحديث لا يضع المسجد الأقصى موضع البديل عن المسجد الحرام الذي نصّ القرآن الكريم صراحة إلى فرض الحج إليه ، وحرّم الصّد عن سبيله .

٤ - وليس من المعقول أن يأخذ عبد الملك نفسه بشبهة الكفر ويصد الناس عن سبيل الحج إلى بيت الله الحرام .

٥ً ـ انفرد اليعقوبي بهذه الرّواية ، ولم يشر إليها المؤرّخون المعاصرون له ، مثل ابن الفقيه ، والبلاذري ، والطبري .. وهذا مما يقوّي الشك في الرّواية كلها .

٦ً ـ بناء قبة الصخرة نفسه ، لم يُعَد إعداداً صالحاً لطواف الحجّاج كما يطوفون حول الكعبة(١) ، فإنّه من جهة محصور في جدران غليظة ، وأبوابه الأربعة من جهة أُخرى ضيّقة لا تسمح بدخول أفواجٍ من النّاس وخروجهم في يسر وحريّة وهم على هيئة الطواف ، وكذلك فإنّه يحيط بالصّخرة رواقان ، ولو كان القصد من البناء تيسير الطواف ، لجعل له رواق واحد ، أو ساحة واحدة تحيط بالصّخرة ، ثم إن هذين الرّواقيْن ضيّقان من جهة ، غير متساويَيْن اتّساعاً من جهةٍ أُخرى ، ولهذا فإنّ تصميم البناء نفسه يؤكّد عدم تخصيصه للطّواف .

إن قبّة الصخرة بُنِيَت تخليداً لذكرى الإسراء .

أو بُنِيَت خشية أن تعظم في قلوب المسلمين الكنائس السّامقة ، وأن يبهرهم مظهرها ، فبنى عبد الملك على الصّخرة قبّة مشرقة متلألئة ، يروي المقدسي أنه لم يَرَ في الإسلام ، ولا سمع في الشرق مثلها(٢) .

وإضافةً لما سبق ، أراد عبد الملك أن يؤكّد للمسيحيين واليهود ، انتصار الإسلام الذي ثبّت أقدامه في مدينة القدس . بإقامة بناء إسلامي بارز ظاهر .

إنّ اليهود كانوا يزورون الصّخرة باعتبار أنّها كانت الموضع الذي هَمَّ عليه إبراهيم عليه السّلام بذبح ابنه ، وكانت الموقع الذي جرت عليه أحداث الفداء ، وكانت هذه الزّيارات تزعج المسلمين وتقلقهم وتضايقهم في إقامة صلاتهم على

---

(١) انظر : عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الأوّل ١٩٨٠ ، قبّة الصخرة ، ص ١٣ ، د . أحمد فكري .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص : ١٥٩ ، ١٧٠ ، ليدن ط ٢ سنة ١٩٠٦

الحرم الشَّريف ، وفي المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام الصخرة ، فأراد عبد الملك بإقامة بنائه حفظ الصَّخرة من عبث اليهود .

ويرجِّح الباحثون أيضاً حرص عبد الملك بن مروان في تخليد ذكرى أُوْلى القبلتَيْن ، ويؤيِّد هذا الرأي تصميم البناء نفسه ، فهو بناء ليس على نظام المساجد ، فلا يصلح أن يجتمع فيه المسلمون للصلاة ، وهو كذلك لا يصلح للطَّواف ، وروعي في هذا البناء أن يكون مزاراً فحسب ، وقد صُمِّم البناء بحيث يتَّسع الرواق المحيط بالصَّخرة ليستوعب أكبر عدد من الزُّوَّار ، وهذه هي الحكمة في زيادة اتِّساعه زيادة ملحوظة عن الرِّواق الأَوَّل الملاصق للأبواب ، والذي يقتصر استخدامه على دخول هؤلاء الزُّوَّار وخروجهم ، فكأن البناء معرض مخصَّص لعرض تحفة ثمينة مع الحفاظ عليها ، ولهذا أيضاً روعي أن تكون فخامته وعظمته بقدر قيمته ، هذا الكنز الذي يضمُّه بين أجنحته ، وهل هناك بعد الكعبة والرَّوضة الشَّريفة كنز أكثر قدسيةً من القِبْلَةِ الأُولى ؟

وعبد الملك كما قال الجاحظ : « سنان قريش ، وسيفها رأياً وحزماً ، وعابدها قبل أن يستخلف ورعاً وزهداً » ، إنه من التابعين ، احتجَّ به مالك بالمُوَطَّأ بإحدى أعماله ، حفظ الحديث الشَّريف عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، وسمع من أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله وغيرهم من أصحاب رسول الله ، فلا يعقل أن يتجاوز حدود الله وشرعة القرآن الكريم .

☆ ☆ ☆

١٣ ـ « خلَّف الزبير بن العوام ألفَ فَرَس وألفَ عبد وأمَة » ، صفحة : ٣٠٣ .

لقد جعل مصدره المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، وغاب عنه أنها من أغاليط المؤرخين ، فكتَّاب التاريخ والسِّير قبل المسعودي ، كابن اسحق [٨٥ ـ ١٥٢] ، وابن هشام المتوفى ٢١٨ هـ ، وابن سعد [١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ] ، والمدائني [١٣٥ ـ ٢٢٥ هـ] ، والبلاذري المتوفى ٢٧٩ هـ ، وابن عبد الحكم المتوفى ٢٥٧ هـ ،

والـدينـوري المتـوفى ٢٨٢ هـ ، وابن قتيبـة المتـوفى ٢١٣ هـ ، والطَّبري [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] .. لم يذكروا ذلك .

☆ ☆ ☆

١٤ - « اختلفت ضروب الغناء عند عرب الجـاهليَّـة ، فمنـه الحـداء للإبل في سيرها ، والهزج وقت الغـارة ، والإنشـاد في الصلاة أو الأفراح أو المـآتم ، ولا تزال آثار التَّرانيم الدينيَّة السَّاذجـة محفوظـة في التلبيـة من مراسيم الحجِّ » ، وفسَّر حتِّي التلبية : هي أن يقول الحاج لبيك في أول الدعاء ، صفحة : ٣٤٣

أيَّة صلاة كان ينشد بها ضروب من الغناء في الجاهلية ؟

وكلمة « ساذجة » تدل على نفسيته الصليبيَّـة الحـاقـدة ، مـا قـال عن ترانيم كنيستـه إنهـا سـاذجـة ، ولكن التلبيـة في الحـج : لبيـك اللهم لبيـك ، لبيـك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لـك ، ترانيم دينيَّـة ساذجة . وأسخف من هذا تعريفه وتفسيره للتلبية : أن يقول الحاج لبيك في أول الدعاء !!

☆ ☆ ☆

١٥ - « أما مصر وهي البلاد التي اعتنقت النصرانيَّة بصورة سطحيَّة في القرن الرَّابع للميلاد ، فقد حدث تحوُّلها إلى الإسلام على أيسر الطُّرق » ، صفحة : ٤٤١

نسي حتِّي أن دخـول مصر في الإسـلام كان في القرن السَّـابـع للميـلاد ، بعـد ثـلاثـة قرون من اعتنـاقهـا النصرانيَّـة ، فهـل بقي اعتنـاقهـا للنصرانيَّـة بصـورة سطحيَّة ؟!

« يرجـع النَّجـاح السَّريـع الـذي أحرزه غـزاة العرب ، قبـل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيِّين الذين كرهوا الحكم البيزنطي ، لما عُرف بـه من الإدارة الظالمة ، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت » .

لقد تحولت مصر إلى الإسلام على أيسر الطُّرق ، لأن الفاتحين المحرِّرين المسلمين ضمنوا لهم الحريَّة الدينيَّة المطلقة[1] .

إن حتِّي لم ينظر بعين الارتياح إلى الاتجاه الديني الذي كان منتشراً في مصر ، والذي لم يقبل « مذهب الإرادة الواحدة » الذي كان منتشراً في القسطنطينيَّة !!

☆ ☆ ☆

١٦ ـ وفي الصفحة ٤٤٠ قال حتِّي : « وصارت لفظة زنديق فيما بعد تدل على من اتصف بالحريَّة الفكرية » .

الزَّندقة : فارسيَّة معرَّبة ، نسبة إلى زند ، وهو كتاب يفسِّر كتاب الأفستا المجوسي ، وكانت وما تزال وستبقى تطلق على من يبطنون الكفر ويجاهرون بالفسق والفجور والاستهزاء بالعقيدة الإسلامية ، اللهم إلاَّ إذا اعتبر حتِّي الدسَّ الشعوبي على تراث الإسلام ، وفكر الإسلام ، ورجالات الإسلام حريَّة فكريَّة ؟!

☆ ☆ ☆

١٧ ـ « محمَّد بن تومرت اتخذ لقب المهدي ، ونادى بنفسه نبيّاً » ، صفحة : ٦٤٩

إن من يدرس جميع المصادر والمراجع التي تحدَّثت عن دولة الموحِّدين[2] ومؤسِّسها المهدي بن تومرت ، مثل :

---

(١) كانت مصر مسرحاً للاختلافات الدينيَّة الكثيرة قبيل الفتح العربي الإسلامي ، وكان أهلها يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات ، وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينيَّة وأنهكها استبداد الحكام تحقد أشد الحقد على سادتها الروم ، وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين ، عن « حضارة العرب » ص ٣٣٦ لغوستاف لوبون .

(٢) دولة الموحِّدين [٥٤١ ـ ٦٦٨ هـ / ١١٤٧ ـ ١٢٦٢ م] ، معجم الأنساب والأُسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، لزمباور ، ص : ١١٥

« تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين » ، ليوسف أشباخ .

« المغرب عبر التاريخ » ، إبراهيم حركات .

« التّاريخ الأندلسي » ، د . عبد الرحمن علي الحجّي .

« المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ دولة الموحّدين » ، لعبد الواحد بن علي التيمي المراكشي .

« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان » ، لأبي العبّاس شمس الدين بن خلكان .

« الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى » ، للشيخ أبي العباس أحمد بن خالد الناصري .

أو الكامل في التاريخ ، أو نفح الطيب ، أو تاريخ ابن خلدون .. لن يجد قطعاً ما ادعاه حتّي في عبارته : « ونادى نفسه نبيّاً » .

المهدي بن تومَرْت [٤٨٥ ـ ٥٢٤ هـ] : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ، المنعوت بالمهدي الهرغي ، ينسب إلى علي بن أبي طالب ، وهو من جبل السُّوس في أقصى بلاد المغرب ، ونشأ هناك وتلقّى ثقافته الأُولى ، ثم جاز البحر إلى الأندلس طلباً للعلم في قرطبة والمَريَّة ، ثم ارتحل إلى المشرق طلباً للعلم ، فانتهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والطُرْطُوشي .. ولازم الغزالي ثلاث سنوات ، وبشّره الغزالي بأنّه سيكون له شأن عظيم ، وعاد من المشرق إلى المغرب سنة ٥١٠ هـ بعد دراسة دامت حوالي عشر سنوات ، متأثّراً بتعاليم الغزالي أكثر من أيّة شخصيَّة أُخرى .

وخلال مكوثه في المشرق حجَّ وأقام بمكّة فترة قصيرة ، حصل فيها طرفاً صالحاً من علم الشّريعة ، والحديث النبويّ ، وأصول الفقه والدين .

وامتاز ابن تومرت بفصاحته في العربيّة والبربريّة ، مع ملكة خطابيّة ممتازة ، وطهر ونسك منذ طفولته ، وكان ورعاً ناسكاً متقشّفاً مخشوشناً .. بسّاماً في وجوه النّاس ، لا يصحبه من متاع الدنيا إلاّ عصاه وركوة ، شديد الإنكار على النّاس فيما يخالف الشّرع ، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره ، وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحمّلاً للأذى من الناس بسببه .

وفي إحدى قرى بَجَاية ، واسمها ملالة ، قابل عبد المؤمن بن علي القيسي ، فسأله : أين قصدك ؟

فقال عبد المؤمن : الشرق .

فقال ابن تومرت : ما تبغي ؟

قال : أطلب علماً وشرفاً .

فقال ابن تومرت : وجدت علماً وشرفاً وذِكْراً ، اصحبني تنله ، فوافقه على ذلك ، وألقى إليه أمره .

ومن بلدة « تينمل » العاصمة الأُولى للموحّدين ، توجّهت جيوشه لمحاربة المرابطين ، وفيها تسمّى بالمهدي القائم بأمر الله .

لقد دعا ابن تومرت إلى التوحيد الخالص ، وسمّى أتباعه بالموحّدين ، وكان يرى أنّه معدٌّ لتحمُّل رسالة المهدويّة حتى ينقذ النّاس من الضلال ، ويرجعهم إلى الإسلام الصحيح .

كما حارب طريقة المرابطين في الأخذ بالفروع ، وأمر بالرجوع إلى الكتاب والسُّنّة ، وإلغاء دور السّيادة المطلقة في الدولة لفقهاء المالكيّة .

وابن تومرت ، وإن لم يفتح شيئاً من البلاد في حياته ، فقد قرّر القواعد

ومهّدها ، ورتّب الأحوال ووطّدها ، فكانت تعاليمه الروح الدافعة لجند قادهم عبد المؤمن ، فحقّق بهم نصراً سياسيّاً وحربيّاً .

هذا ملخّص ترجمة ابن تومرت ، وما مرّ معنا ، ولن يمرّ مع غيرنا ، أنّه « نادى بنفسه نبيّاً » ، كما يدّعي حتّي افتراءاً وبهتاناً .

وقال حتّي في الصفحة : ٦٥ : « واعتقد الموحّدون أنّ جماعتهم وحدها دون سواها تضم المؤمنين الحقيقيين » ، وهذا أيضاً كسابقه من أقوال حتّي .

لقد درسنا دولة الموحّدين ، وألّفنا بتاريخها ، ولم نجد سنداً لقول حتّي السّابق .

ودليل سوء نيّة حتّي بحق الموحّدين ، إغفاله انتصارهم بقيادة يعقوب المنصور الموحّدي على النّصارى الإسبان في معركة الأَرَك[1] ، التي سمت وارتفعت بشهرة الموحّدين الحربيّة في كل مكان ، وذكر معركة العُقّاب[2] خطأ ، وصوابها : العِقاب ، التي وقعت أيّام محمد النّاصر بن يعقوب الموحّدي ، لأنها أوّل وهن حقيقي دخل على الموحّدين ، وكانت بدء ضياع الأندلس .

☆ ☆ ☆

١٨ ـ « ثورة العراق ضد الانتداب البريطاني ، ونشبت ثورة ١٩٢٠ ، وبدأت بين القبائل على الفرات الأسفل » ، صفحة : ٨٨٦

وصوابه : وبدأت بين القبائل على الفرات الأوسط .

☆ ☆ ☆

١٩ ـ « إسماعيل بن محمد علي [١٨٦٣ ـ ١٨٧٩] » ، صفحة : ٨٧٧ .

---

(١) الأَرَك : ٩ شعبان ٥٩١ هـ / ١٨ تموز (يولية) ١١٩٥ م .

(٢) العِقاب : ١٥ صفر ٦٠٩ هـ / ١٦ تموز (يولية) ١٢١٢ م .

وصوابه : إسماعيل حفيد محمد علي لا ابنه . إنه : إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي [١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ م] ، أول من نال لقب خديوي في أسرة محمد علي باشا ، أما إسماعيل بن محمد علي فهو غير المعنيّ هنا ، وقد أُحرق أثناء فتحه للسودان في عهد والده في مدينة شندي على يد حاكمها « نمر » .

وقال حتّي في الصفحة : ٨٨٣ : خديو فارسية بمعنى سيد أو حاكم .

وصوابه : خديو تركية معناها : نائب السّلطان .

☆ ☆ ☆

٢٠ ـ « مصالح فرنسة في سوريّة ولبنان تعتمد على تقاليد الصداقة القديمة التي تعود إلى أيام الصليبيين » ، « وقد بلغ تذمّر السّوريين واستياؤهم من الانتداب أشده ، فقد اتّهموا الموظّفين الإفرنسيين في أنهم استعملوا الطرق الاستعماريّة نفسها الّتي استعملوها في شمالي إفريقيّة » ، « وكان من أسباب التذمّر والشكوى أيضاً أن الفرنسيين قسموا البلاد إلى دول متعدّدة لأغراض إداريّة ، وأنّهم اقتطعوا سنجق الاسكندرون ، ومنحوه لتركيا قبل انفجار الحرب العالميّة الثانية » ، صفحة : ٨٨٥ .

لن نعلّق على الصداقة القديمة التي تعود إلى أيام الصليبيين ، والتي اعتمدت عليها فرنسة لاستعمار سوريّة ولبنان ، فروحها الصليبيّة غنيّة عن التعليق ، ولكن أن يجعل حتّي تذمر السّوريين واستياءهم من الانتداب « لمجرد اتهامهم » للموظفين الافرنسيين في أنّهم استعملوا الطرق الاستعماريّة نفسها التي استعملوها في شمالي إفريقية ، فبعد عن الحقيقة ، وتشويه للتاريخ وللحركة الوطنيّة في سورية ، ولكن ذلك يرضي ـ لاشك ـ أسياده ، الدول الاستعمارية والامبريالية جميعها ، وفاته التوفيق وأخطأه عندما ذكر حتّي في الصفحة ذاتها [٨٨٥] إجراءات الفرنسيين الاستعماريّة في سورية ، فعدّد منها :

- العوائق أمام اللُّغة العربيّة .
- وخفَّضوا قيمة نقد البلاد بربطه إلى الفرنك .
- فرَّقوا البلاد أحزاباً وشيعاً ..

هذا ماقاله حتّي ، ثم يقول بعده : « فقد اتَّهموا الموظفين الافرنسيين في أنَّهم استعملوا الطرق الاستعماريَّة نفسها التي استعملوها في شمالي إفريقية » ، ولم يذكر حتّي ، وأغفل عن قصد ، تشويه فرنسة لتاريخنا العربي الإسلامي وطمسه ، وتدريس التاريخ الافرنسي للطلاب العرب السُّوريين خلال فترة الانتداب ، هذا لم يغفل عنه حتّي حتماً مادام عدد الأسباب السابقة لاستياء السُّوريين ، ولكنَّه لا يجرؤ على كتابة ذلك ، لأنه أداة من أدوات التشويه والافتراء على هذا التاريخ العربي الإسلامي .

ودليل كونه أداة من أدوات التشويه والافتراء ، تبريره للمستعمر الفرنسي تقسيمه سوريّة إلى دول ، وقال عن ذلك أنَّه « لأغراض إدارية » ، فلو قُسِّمت إلى محافظات أو ألوية يجمعها رئيس واحد ، وعلم واحد .. لقبلنا تبريره ، ولكنه يقول وهو ثَمِلٌ بأفكار المستعمرين : « قسَّموا البلاد إلى [دول] متعدِّدة - لماذا ؟ يجيب حتّي : - لأغراض إدارية » ! !

ومن يبرِّر للمستعمر تجزئة البلاد ، وتفريق أهلها شِيَعاً وأحزاباً .. بماذا نصفه ؟ !

ولماذا يخشى من القول بأن ذلك تمَّ لزرع الإقليميَّة والطائفيَّة بين السُّكان ؟ !

☆ ☆ ☆

٢١ - « وكان في حياة الشعوب العربيَّة في هذا الزمن شيء من التناقض الظاهر ، فقد كانوا يصدُّون تدخل الأوربيين في شؤون بلادهم بيد ، ويتقبَّلون بالأُخرى الطرق والأفكار الأوربيَّة ، وقد استعانوا بما اقتبسوه من أُوربَّة في حربهم

لصد الأوربيين ، وكان من أقوى الأفكار الجديدة الكثيرة التي استوردوها من أوربّة فكرتا القوميّة والديمقراطيّة السّياسيّة » ، صفحة : ٨٨٧ .

هذا الكلام المضطرب ، والفكر السّاذج ، كيف يرضى حتّي أن يُحْسَب عليه ؟ وكيف يسجّله ويقرّره ؟! لأن البون شاسع واسع بين قبول المخترعات العلميّة ، واقتباس وأخذ التقدم الصّناعي ، وبين قبول الاستعمار ومظالمه وأهدافه ، ذاك شيء وهذا شيء آخر .

والأمم والشّعوب على مرّ التاريخ ميّزت بين التقدّم العلمي والمخترعات .. وبين الفكر والعقيدة ، فعندما أخذت أوربّة مثلاً في العصور الوسطى التقدم الصّناعي والعلمي من الشرق المسلم أيام الدولة العبّاسيّة ، وخلال الحروب الصليبيّة ، مابدّلت عقيدتها ونهجها الروحي لأنها أخذت ماأخذت ، وبقيت على صليبيتها وحقدها .

أما أنّنا استوردنا من أوربّة « الديمقراطية السّياسيّة » ، فهذه أيضاً من رُؤى المخمورين .

أنسي حتّي قول أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه عندما بُويع بالخلافة : « أما بعد ، أيها النّاس ، فإنّي قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوّموني ، الصّدق أمانة ، والكذب خيانة ، الضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه[1] حقّه إن شاء الله ، والقويُّ منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله[2] .. » ؟

وهل نسي قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « متى تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » ؟

(١) أرَحْتُ على الرجل حَقَّه إذا رددته عليه ، أرِحْ حَقَّه أي رُدّه ، اللسان : ٤٦٥/٢

(٢) الطبري : ٢١٠/٣

قال حذيفة : دخلت على عمر فرأيته مهموماً حزيناً ، فقلت له : ما يهمك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : إنّي أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيماً لي .

فقال حذيفة : والله لو رأيناك خرجت عن الحقّ لنهيناك .

ففرح عمر وقال : الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقوّموني إذا اعوججت(١) .

ويكفي حتّي قول الله عز وجل :

﴿ وَأَمْرُهُم شُورَى بَيْنَهُم ﴾ ، [الشُّورى : ٣٨] ، ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَٱعْفُ عَنْهُم وَاسْتَغْفِر لَهُمْ وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ ﴾ ، [آل عمران : ١٥٩] .

☆ ☆ ☆

٢٢ ـ « وكان محمد عبده حسّاساً ، فكان يؤلمه تقهقر الإسلام ، ويحزّ في نفسه كثيراً » ، صفحة : ٨٨٨ .

وصوابه : الإسلام لا يتقهقر ، خالد ثابت عزيز في أحكامه وتشريعاته ومبادئه .. ولكن يتقهقر المسلمون كلما ابتعدوا عنه .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

(١) مختصر منهاج القاصدين : ١٣٤ ، وتراجع عمر أمام الشعب عندما أراد تحديد مهور النّساء لاعتراض امرأة في آخر الصفوف ، وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

خاتمة

سِلْسِلَةٌ متَّصلةُ الحَلَقاتِ

☆ « لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة ، حتى في الجامعات الغربيّة ، وربما كان هذا مقصوداً مع الأسف » .

رجا غارودي

[مسجد أبي النور، الجمعة : ١٩٨٤/٣/٢٣]

وهكذا ، إنّ ما قدّمه حتّي في كتابه « تاريخ العرب ـ مطوّل » صورة متكرّرة لافتراءات قالها المبشّرون ، الذين ركّزوا على أُمور تكرّرت في كل كتاباتهم ، منها :

☆ محمد ليس نبيّاً ، لأنه تلقّى القرآن من ورقة بن نوفل ، أو بحيرى ..

☆ والإسلام مزيج من اليهوديّة والنصرانيّة والوثنيّة .

☆ وانتشر الإسلام بالسيف ، الّذي قال للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرّهم وإحسانهم[1] ..

ويقع المبشّرون بذلك « بالإسقاط » ، ولو ألزموا أنفسهم البحث العلمي

(١) قدّمنا في كتاب « الإسلام في قفص الاتهام » ردّ ونقض هذه الشبهات والافتراءات وعشرات غيرها .

الذي يفرض على الباحث الحر المنصف أن يدرس الإسلام كما يعتقده أهلـه ، مجرّداً ىن نزعاته السّابقة على الدراسة ، غير جاعل لعقيدتـه سلطـانـاً على حكمـه « حتى لا تسيّره في دراسته ، وتتحكّم في اتجاهاته ، لأن ذلك قد يدفعـه لأن يتزيّـد على القـوم ، والتزيّـد ليس من شيمـة العلمـاء ، أو يـدفعـه لأن يتـأوّل كـلامهم بغير ما يريدون ، وذلك لا يجعل العقل يدرك الأُمور كما هي في ذاتها ، بل يدركها كما انعكست في نفسه ، وكما رُسمت على قلبه ، وقد يباعد ذلك الأمر في ذاته »[1] .

ونحن لا نريد أن نهاجم اعتقاداً ، أو نبطل عقيدة ، فعندنا من سعـة الصـدر مـا يتّسـع لردّ افتراءاتهم وهفـواتهم . ولكننـا نـذكّر هـؤلاء المبشّرين الـذين « أسقطـوا » علينـا مـا فيهم ، ومـا عنـدهم ، أن مجمـع نيقيـة ٣٢٥ م أمر بتحريـق الكتب التي تخـالف رأيـه ، وتتبّعهـا في كل مكان ، وحثّ النـاس على تحريم قراءتهـا ، فهو بهـذا منع أن يصل النـاس إلى علم بـأي أمر من الأُمـور التي تخـالف رأيه ، وهو بهذا أيضاً يحـاول التحكّم في القلوب ، والسّيطرة على النفوس بحملهـا على قراءة ما وافق رأيه ، ومنعها منعـاً بـاتّـاً جـازمـاً أن تقرأ غيره ، وسـدّ عليهـا منافذ النور للاهتـداء إلى مـا يخـالفـه . والمجمع مخطئ في ذلـك التحريم ، وآثم في ذلك التحريق ، بل إن المجامع العامّـة من بعـده خطّـأتـه ، فـأعـادت إلى حظيرة التقديس كتباً حرّمها .

يقول المؤرخ أبوسيبـوس الـذي تقـدّس كـلامـه الكنيسـةُ ، وتسميـه سلطـان المؤرّخين : « إن قسطنطين عُمِّد حين كان أسير الفراش ، وأن الذي عمّده هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقـد كان لـه صـديقـاً » ، والتعميـد إعلان دخول المسيحيّـة ، إذن قسطنطين ما كان مسيحيّاً في إبّان انعقاد ذلك المجمَع ، وما كان من حقّـه أن يحكم بفلـج هـؤلاء ، ويسـوغ لنـا أن نقـول إنّـه كان في هـذا أرب خـاص هـو تقريب

---

(١) « محاضرات في النصرانية » محمد أبو زهرة ، ص : ٨ ، ط ٣ ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

المسيحيّة من وثنيّته ، أو على الأقل عندما رجّح رأي فريق على فريق كان يرجّح ما هو أقرب إلى وثنيّته[1] .

ويذكر ابن البطريق أن أوسابيوس أسقف نيقومدية كان موحّداً من مناصري أريوس[2] ، وأراد أن يقترب من قسطنطين ، فأظهر أنّه وافق على مجمع نيقية ، فأزال عنه قسطنطين اللعنة ، وجعله بطريرك القسطنطينيّة ، فما أن وليَ هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانيّة في الخفاء ، فلما اجتمع المجمع في صور ، وحضره هو وبطريرك الاسكندريّة الذي كان يمثّل فكرة ألوهية المسيح ويدعو إليها ، وينفرد من بين البطاركة في المبالغة في الدعوة إليها ، والحث عليها ، ولعن كل من يقاومها ، انتهز أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع ، وأثار مقالة أريوس ، ورأيه في المسيح ، وإنكار ألوهيّته ، وكان في ذلك المجمع كثيرون من الموحّدين المستمسكين به ، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم ، كما فعلوا في المجمع العام بنيقية ، واشتدّ النقاش بين رئيس الكنيسة الاسكندريّة وبين المجتمعين ، ولم يكتفوا بالنقاش القولي ، بل امتدت الأيدي إلى بطريرك الاسكندريّة ، وعمدت إلى رأسه لإخراج الوثنيّة منها ، فضربوه حتى أدموه ، وكادوا أن يقتلوه ، لم يخلّصه من أيديهم إلاّ ابن أخت الملك ، الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك قسطنطين كرّمه .

لقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة ، أجمع على ذلك مؤرّخو النصرانيّة ، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي ، وأوائل القرن الثالث ، أن تحافظ على الأناجيل الصّادقة في اعتقادها ، فاختارت هذه الأناجيل الأربعة ، وألزمت المسيحيين بها ، وفرضت عليهم سلطاناً كهنوتيّاً أبعدهم عمّا في أناجيلهم ، ماذا كان

---

(١) « محاضرات في النصرانيّة » ، ص : ١٢٨ ـ ١٣٠

(٢) كان أريوس يقول ويعتقد : إن الآب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن .

في هذه الأنـاجيل الّتي أُلغيت ؟ وقـد ثبت أن قسطنطين الوثني ، هو الـذي رسَّخ التثليث ودعمه ، على حساب التوحيد !!

☆ ☆ ☆

والغريب أن المبشِّرين يؤمنون بعشرات الأنبياء لبني إسرائيل ، فـأيَّـة صفـة فيهم لا نجدهـا في محمَّـد بن عبـد الله ؟ ومـا هي الأدلَّـة والمعجزات والخوارق الّتي قاموا بها ولا نجدها في محمد بن عبد الله إن لم نجد أعظم منها عنده ؟

أما قولهم « انتشر الإسلام بالسَّيف » ، نذكِّرهم بثلاثة أشياء :

١ - قول المسيـح في إنجيـل لـوقـا : « ومن لم يكن لـديـه سيف فليبـع رداءه ويشتره » .

٢ - فرض شارلمان المسيحيَّة على السكسونيين بـالسَّيف وبوحشيَّـة وعنف[١] ، وفي الدنمارك نشر الملك كنوت Cnut المسيحيَّـة بـالقوَّة والإرهـاب على ممتلكاتـه ، والشعوب التي حاربها وقهرها[٢] .

وفي روسية انتشرت المسيحيَّـة على يـد جمـاعـة اسمهـا : « إخوان السَّيف » ، Bretheren of the sword[٣] ، وكـذلـك في النروج ، وفي أمريكـة بعــد الكشـوف الجغرافيَّة ..

٣ - إن أكثر البلاد إسلاماً ، لم تصلهـا جيوش المسلمين ، وعلى سبيل المثـال : ملايين المسلمين في إنـدونيسيـة ، والمـلايـو ، والفيليبين ، وأواسـط إفريقيَّـة ، وفي أمريكة اليوم .

---

(١) مـوسوعـة « المعرفـة » ، العـدد الثـامن ، ص : ١٢٢ ، و ١٢٣ ، النـاشرة شركـة ترديسكيم ، جنيف .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ، السِّير توماس أرنولد ، ص : ٣٠

(٣) الدعوة إلى الإسلام ، ص : ٣١

ولا نستغرب هذا العداء من المبشّرين الصّليبيين ، فكل دين جديد وجد معارضة وهجوماً من أصحاب العقائد السّابقة ، فلقد لقيت المسيحيّة نفسها مثل ذلك وأكثر من معتنقي اليهوديّة ، ويكفي أن نذكّر هنا بما لقي السيد المسيح عليه السّلام من اليهود .

ونحن ننصح المبشّرين اليوم ، بتحويل جهودهم الجبّارة ، والأموال الطّائلة الّتي يصرفونها في الافتراء والدسّ على الإسلام ورسوله الكريم[1] ، إلى دراسة الإسلام دراسة موضوعيّة ، توصلهم إلى الحقائق ، كما فعل كبار رجال القانون والفكر في أوربّة ، عندما طلبوا اجتماعاً للتعمّق في مفاهيم حقوق الإنسان في الإسلام ، فعقدت ثلاث ندوات في باريس ابتداءاً من يوم الأربعاء : ٢٢ آذار (مارس) ١٩٧٢ م ، مثّل فيه الجانب العربي المسلم كبار العلماء ، ومثل الجانب الأوربي وفد حقوقي مؤلف من السّادة :

معالي سين ماك برايد ، الأستاذ في جامعة دوبلن ، ووزير خارجيّة ايرلندة السّابق ، والرئيس السّابق لاتحاد المجلس الأوربي ، والسكرتير العام في اللّجنة التشريعيّة الدوليّة .

والأستاذ ك . فاساك ، أستاذ القانون العام في كليّة بوزانسون ـ فرنسة ، ومدير قسم حقوق الإنسان في المجلس الأوربي ، ومدير المجلّة الدوليّة لحقوق الإنسان .

والأستاذ المستشرق لاووست ، أستاذ في الكوليج دو فرانس في باريس ، وأستاذ الدراسات الإسلاميّة والمدنيّة الإسلاميّة .

---

(١) والعجيب الغريب أنهم لم يوجّهوا للوثنيّة والإلحاد جزءاً يسيراً من هذه الجهود والأموال !!

والأستاذ جان لويس أُوجول ، من كبار المحامين في محكمة الاستئناف في باريس ، وصاحب الاقتراح لعقد هذه الندوات .

وكما فعلت السُّويد ، في تخصيصها عاماً كاملاً ، هو عام ١٩٨٥ ، لدراسة الإسلام ، اشتركت فيه أربع عشرة جامعة ومتحفاً ومكتبة .. كشفت خلاله وسائل إعلامها عن الإسلام ، وفتحت الباب على مصراعيه أمام العلماء المسلمين لعرض عقيدتهم ، وشرح تشريعاتهم ، رغبة منها في الوصول إلى الحقيقة ، والانتفاع بالخير ، بعيداً عن الأفكار المشوَّهة المسبقة ، والتي بثَّها على مدى قرون ، أصحاب الأغراض المشبوهة .

لقد افتتح رئيس وزراء السويد « أُولفا بالما » في ٢ أيار « مايو » ١٩٨٥ الاحتفال الكبير بحضور عدد كبير من العلماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وبحضور أهل الفكر والثقافة بالسويد ، وهدفه : الحرص على زيادة التعريف بالإسلام كدين وحضارة وأسلوب حياة ، خاصَّة بعد أن بدأ الوعي بأهميَّة هذه العقيدة الكبرى التي يعتنقها الملايين من بني البشر ، ينتشرون على رقعة واسعة بالعالم أجمع ، لا في الدول الإسلاميَّة وحدها . ولأنَّه في السّويد نفسها أصبحت هناك جالية إسلاميَّة تضم ما يزيد على ستين ألف مسلم ، ولا بدَّ من التَّفهم لحضارتهم وثقافتهم ، وإيجاد نقاط التقاء معها ، بل ومحاولة استلهام هذه الحضارة والاستفادة منها .

وقال رئيس وزراء السويد : إن أي مجتمع يحتاج إلى دوافع جديدة ، وإلهام من ثقافات أُخرى لكي لا يصيبه الجمود ، وينضب معين ثقافته ، ولدى العالم العربي والإسلامي من تقاليد الثقافة وأساليب العيش ما يمكن اقتباسه ، لإثراء ثقافتنا وحضارتنا ، فنحن في حاجة إلى المزيد من المعارف عن شعوبكم وحضارتكم ، وعندما تتقابل نماذجنا الحضاريَّة مع تقاليدكم الروحيَّة ، فسوف

نستطيع معاً تعقب أثر القيم المشتركة وإمكانياتنا المشتركة ـ شعوباً ودولاً ـ لمواجهة مستقبل نواجهه معاً ، ويقف أمامنا جميعاً نذيراً وبشيراً في آن واحد[1] .

هذه المعاني والمبادئ تلقّفتها الأجهزة والمؤسّسات الثقافيّة السّويدية على الفور ، وبدأت المتاحف السّويديّة الكبرى تراجع محتوياتها ذات الطابع الإسلامي ، وبدأ المجلس القومي للشؤون الثقافيّة يتّصل بالخبراء والمؤرخين المختصّين في الإسلام وتاريخه وحضارته ، وأخذ « المعهد السّويدي » ، وهو الجهة الرّسميّة المنوط بها تدعيم الرّوابط الثقافيّة السّويديّة مع العالم الخارجي ، يخصّص الاعتمادات لتكلفة المشروع ، وتشكّلت مجموعات عمل برئاسة يوران لوفدال رئيس المجلس الوطني للشؤون الثقافيّة ، والسّفير جونار يارنج الخبير بالشؤون الإسلاميّة ، وأولوف يساكسون مدير المتحف التاريخي السّويدي ، الذي عُهد إليه إحصاء وتصنيف المعروضات ذات الطابع الإسلامي بالسّويد ، والقيام بجولة في بلدان العالم الإسلامي لإحضار نماذج من الحضارات الإسلاميّة ، والاتصال بالمتاحف الكبرى في لندن وباريس وكوبنهاجن ولينينغراد وبرلين لنفس الغرض ، أي استعارة معروضات تمثّل العصور الإسلاميّة المختلفة ، ونماذج من سائر جوانب ثقافة الإسلام وتراثه .

وتقرّر أن يطوف أحد المعارض جميع أنحاء السّويد ، حيث يَعْرِضُ على طلبة المدارس أعمالاً مبسّطة بتاريخ الإسلام وحضارته ، وأساليب حياة الشعوب الإسلاميّة ، وممارستها شعائر دينها .

☆ ☆ ☆

(١) وتقرّر إصدار كتاب عن الإسلام بالسويدية يحمل اسم « الإسلام » ، ويضم أربعة أجزاء : الدين والتاريخ ، الفن والثقافة ، الإسلام والعالم ، المسلمون في السويد ، وجزء خامس هو معجم للمصطلحات والعبارات الإسلاميّة ، وكان شعار المؤتمر : « لاإله إلاّ الله » .

ومـاذا يضير هـؤلاء المبشّرين في انتشـار عقيـدة الإسـلام على سطـح الكرة الأرضيّة ، وقد طرحت مبدأ المـآخـاة والتّسـامح ، ولم تجعلها شعـاراً ، بل منهجـاً أثبتته الوقائع والأعمال في كلّ بلد فتحه المسلمون ؟

لقد كان من المفروض أن يطبع النصارى القرآن الكريم مع إنجيلهم ، طبعوا التوراة وهي التي لم تذكر السّيّد المسيح وأُمّهُ ولو مرّة واحدة ، أمـا القرآن ، فثلثـه حياة مريم والمسيح .

جـاء في القرآن الكريم سـورة بـاسم عـائلـة السّيّـد المسيـح « آل عمران » ، و « آل » كلمة تُخَاطب بها العائلات الكريمة الطّيّبة الشّريفة .

وسورة باسم معجزة السّيّد المسيح « المائدة » ، وفيهـا ثلاث معجزات للسّيّـد المسيح لم تذكرها الأناجيل ، وهي :

١ ـ نزول المـائـدة : ﴿ إذ قـال الحواريُّون يـا عيسى ابن مريم هل يستطيـع ربُّك أن ينزل علينا مائدة من السّماء ؟ قال : اتّقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قـالوا : نريـد أن نـأكل منهـا وتطمئن قلوبنـا ، ونعلم أن قـد صـدقتنـا ونكون عليهـا من الشّاهدين ، قال عيسى ابن مريم : اللّهم ربنا أنزل علينـا مـائـدة من السّماء تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنـا ، وآيـة منـك ، وارزقنـا ، وأنت خير الرّازقين ، قـال الله إنّي منزلها عليكم ، فمن يكفر بعـد منكم فـإنّي أُعـذّبـه عـذابـاً لاأُعـذّبـه أحـداً من العالمين ﴾ ، [المائدة : ١١٢ ـ ١١٥] .

٢ ـ وإحيـاء الطير : ﴿ وإذ تخلـق من الطين كهيئـة الطير بـإذني فتنفـخ فيهـا ، فتكـون طيراً بـإذني ، وتبرئُ الأكمَـة والأبرصَ بـإذني .. ﴾ ، [المائدة : ١١٠] .

٣ ـ والتكلُّم بـالمهـد : ﴿ إذ قـال اللهُ يـا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليـك

وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناس في المهد وكهلا[1] .. ﴾ ، [المائدة : ١١٠] .

وسورة باسم والدته البتول « مريم » : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّاً ، قالت : إنّي أعوذ بالرّحمن منك إن كنت تقيّاً ، قال : إنّما أنا رَسُولُ رَبِّكِ لأهب لك غلاماً زكيّاً ، قالت : أنّى يكون لي غلام ولم يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ولم أكُ بغيّاً ؟ قال : كَذَلِكِ قال ربُّكِ هو عَلَيَّ هَيِّنٌ ولنجعلَهُ آيَةً للنّاسِ ورحمةً منا ، وكانَ أمراً مقضيّاً ﴾ ، [مريم : ١٥ ـ ٢١] .

وسورة باسم الأتباع « الكهف » : ﴿ إنَّهُم فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِم وَزِدْنَاهُم هُدَىً ﴾ ، [الكهف : ١٣] .

وكُلُّها من السُّور الطِّوال .

لقد فتح القرآن الكريم حواراً مع المسيحيَّة عن طريق سورة المائدة : ٨٥ و ٨٦ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُم لاَ يَسْتَكبِرُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾ .

وعن طريق سورة مريم وآل عمران ، حيث التقدير والاحترام للمسيح وأُمِّهِ الطاهرة : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ

---

(١) وفي سورة مريم ٢٩ ـ ٣٣ : ﴿ قَالُوا كيفَ نُكَلِّم مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً ، قَالَ إِنِّي عبد الله آتاني الكِتَابَ وَجَعَلني نَبِيّاً ، وَجَعَلني مُبَارَكاً أَيْنَمَا كنت ، وَأَوْصَاني بالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ مادُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بوالِدَتي ، وَلَمْ يَجْعَلني جَبَّاراً شَقِيّاً ، وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وَلِدْتُ وَيومَ أَمُوتُ وَيومَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ .

عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ ، يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ، [آل عمران : ٤٣] ، ولو وجدنا في الإنجيل : واذكر في الكتاب خديجة ، أو آمنة ، أو إنَّ الله اصطفى فاطمة .. لكان الحبُّ واللِّقاء مع من يُعَظِّم ويقدِّر ويُبَجِّل ، ولرددنا التَّحية بأحسن منها ، أو بمثلها على الأقل .

وفتح الحوار للتآلف أمر طبيعي في الإسلام ، لسعة صدره من ناحية ، ولعالميَّته من ناحية ثانية : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ، [آل عمران : ٦٤] .

ونذكِّر هؤلاء الذين يدَّعون الغيرة على المسيحيَّة ، أن السَّيِّد المسيح عليه السَّلام كان قد بشَّر بنبيٍّ سيأتي من بعده ، كما في إنجيل برنابا[١] .

☆ ☆ ☆

ينكر المبشِّرون على الإسلام ونبيِّه كُلَّ صواب ، وكلَّ فضل ، وكل جديد ، ويريدون أن يثبتوا لأتباعهم قبل أن يدرسوا الإسلام ويعجبوا به ويعتنقوه ، أنَّه مزيج متنافر بين اليهوديَّة والمسيحيَّة والوثنيَّة[٢] ، وخطؤهم كامنٌ في حقدهم الَّذي

---

(١) أقدم نسخة معروفة من إنجيل برنابا هي النسخة الإيطالية ، يمتد وجودها إلى منتصف القرن الخامس عشر ، أو القرن السَّادس عشر ، وقد وُجِدَت في جوٍّ مسيحي خالص ، لامظنَّة لأن تكون مدخولة عليهم ..

(٢) ونحن لسنا في موقف الهجوم على معتقد ، أو إبطال عقيدة ، وكان بوسعنا ذلك فالمراجع متوفِّرة ، مثل الكتب التالية :

« العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة » ، « محاضرات في النصرانيَّة » ، « شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل » ، « إنجيل برنابا » ، « مقارنة الأديان » ، « الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل » ، « الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام » ، « إظهار الحق » ، « دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة » ...

أوصلهم إلى قِصَرِ النظر ، فمن الغريب ألاَّ نجد شيئاً مشتركاً بين الدّيانات السّماويَّة ، لقد جاء موسى متأخّراً عن إبراهيم فآمن به ، وجاء عيسى متأخّراً عنهما ، فآمن بإبراهيم وموسى ، وجاء محمد ﷺ بعدهم ، فآمن بإبراهيم وموسى وعيسى ، عليهم أفضل الصّلوات والتّسليم .

قال رجا غارودي : « لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة حتّى في الجامعات الغربيّة ، وربما كان هذا مقصوداً مع الأسف » ، ولذلك ألّف الكاتب البريطاني « جان دوانبورت » كتاباً عنوانه : « اعتذار لمحمّد والقرآن » ، اعتذر فيه مؤلّفه عن التّصورات والأحكام التي كانت شائعة في الغرب حول نبيّ الإسلام ﷺ .

ومن أواخر هذه المحاولات التشويهيّة المفترية كتاب للأب جرجس داود داود ، تحت عنوان : « أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي » ، حيث قَلَب الحقائق ، وغيَّر الروايات ، وبدَّل الأحداث ليثبت أن كلَّ ما في القرآن الكريم من النصرانيّة : « هذه الشذرات الإلهيّة ، من أين أتى بها شعراء الجاهلية ـ التي اقتبسها القرآن منهم كما يدّعي الأب جرجس ـ لو لم يطّلعوا من أهل الكتاب ، وخاصّة النّصارى على إيمانهم وما يشمله هذا الإيمان .. » !!.

القرآن من عند ورقة بن نوفل ، مقتبس من اليهوديّة والمسيحيّة والوثنيّة .. كفانا هذه الافتراءات المتكرّرة على مرّ مئات السّنين ، منذ أيام يوحنا الدمشقي

= إن هناك تطابقاً تاماً بين كثير من النصوص التي في كتب الهنود والوثنيين (عن كرشنة وبوذا) وبين ما قالته الأناجيل عن السّيّد المسيح عليه السّلام ، [العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة ، طبعة بيروت ١٨ ربيع الأول ١٣٣٠ هـ ، من ص ١٣٠ ـ ١٦٧] .

ولكننا ندعو إلى حوار نافع ، وتسامح متبادل يوصل إلى تفاهم مفيد للطرفين ، للوقوف في وجه الأخطار المشتركة كالإلحاد ، على صورة ماجرى من مؤتمرات إسلاميّة ـ مسيحيّة ، كان آخرها المؤتمر الذي عقد في الجماهيرية الليبيّة ما بين : ٢ ـ ٦ صفر ١٣٩٦ هـ ، ١ ـ ٥ شباط (فبراير) ١٩٧٦ م .

وابن العبري ، مروراً بحلقات جديدة من سلسلة آلت على نفسها ألاّ تتوقّف عن الافتراء مثل : جرجي زيدان ، وسلامة موسى ، وفيليب خوري حتّي ، ولويس عوض ..

المرحلة القادمة مع إشرافنا على نهاية القرن العشرين ، مرحلة الانتفاع من الخير أينما وجد ، ولو كان عند الإسلام ونبيّه ، وخاصة بعد أن اعترفت الڤاتيكان بالإسلام ديناً سماوياً .

وإلاّ فمثالنا مع المبشرين كما يلي :

كان أعمى وأصَمٌّ يشربان الخمر على طرف النهر ، فلما لعبت الخمرة في رأسيهما ، قال الأعمى : إنّني أرى على طرف النهر الآخر شجرة ، فأرى النّمل يسير على جذعها وأغصانها ، فقال الأصم : أنا لاأرى النّمل ، بل أسمع دبيب أقدامها على الشجرة .

فماذا نتوقّع أن يقول عنهما إنسانٌ على الضفة الأُخرى للنهر ، سَوِيٌّ ، سليمُ الحواس ، سمع ماقالا ؟!

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

الْمُحْتَوَى

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

كتب للمؤلف

١ ـ الإسلام في قفص الاتهام	الطبعة السادسة
٢ ـ منْ ضَيَّع القرآن ؟	الطبعة الثانية
٣ ـ الإنسان بين العلم والدين	الطبعة الرابعة
٤ ـ هارون الرشيد	الطبعة الخامسة
٥ ـ غريزة ... أم تقدير إلهي ؟	الطبعة الخامسة
٦ ـ آراء يهدمها الإسلام	الطبعة الرابعة
٧ ـ الإسلام وحركات التحرر العربية	الطبعة الثالثة
٨ ـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي	الطبعة الثالثة
٩ ـ الهجرة « حدث غيَّر مجرى التاريخ »	الطبعة الثالثة
١٠ ـ جرجي زيدان في الميزان	الطبعة الثالثة
١١ ـ أطلس التاريخ العربي	الطبعة الثالثة

☆ ☆ ☆

سلسلة « غزوات الرسول الأعظم »

١ - بدر الكبرى	« يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » .
٢ - غزوة أُحد	« عاقبة المخالفة » .
٣ - غزوة الخندق	« غزوة الأحزاب » .
٤ - صلح الحديبية	« الفتح المبين » .
٥ - غزوة خيبر	« الفتح القريب » .
٦ - غزوة مؤتة	« فإنما هي إحدى الحُسْنَيَين » .
٧ - فتح مكة	« الفتح الأعظم » .
٨ - حنين والطائف	« لن نغلب اليوم عن قلة » .
٩ - غزوة تبوك	« غزوة العسرة » .
١٠ - حروب الرِّدّة	« من قيادة النبي ﷺ إلى إمرة أبي بكر » .

☆ ☆ ☆

سلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام »

١ ـ **القادسية**	بقيادة سعد بن أبي وقاص .
٢ ـ **اليرموك**	بقيادة خالد بن الوليد .
٣ ـ **نهاوند**	بقيادة النعمان بن مقرّن المزني .
٤ ـ **ذات الصواري**	بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
٥ ـ **فتح الأندلس**	بقيادة طارق بن زياد .
٦ ـ **بلاط الشهداء**	بقيادة عبد الرحمن الغافقي .
٧ ـ **فتح صِقِلّيّة**	بقيادة أسد بن الفرات .
٨ ـ **الزّلاقة**	بقيادة يوسف بن تاشفين .
٩ ـ **الأرك**	بقيادة المنصور يعقوب الموحدي .
١٠ ـ **العقاب**	بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحدي .
١١ ـ **مصرع غرناطة**	« أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر » .

☆ ☆ ☆